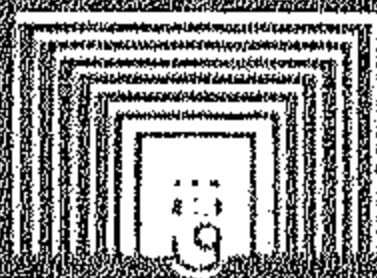


# الخطاب الأدبي والطفولة

د. أحمد زلط

مكتبة الشباب



الهيئة العامة لقصور الثقافة



**إهداء 2006**

ورثة الكيميائي/ محمد فاروق الفران  
الإسكندرية

مكتبة الشباب

٥٤



المكتبة العامة  
للقصور الثقافية

# الخطاب الأدبي والطفولة

تأليف

د. أحمد زلط

مارس ١٩٩٧



## مكتبة الشباب

شهرية

الهيئة العامة لقصور الثقافة

رئيس مجلس الإدارة

ورئيس التحرير

د. فوزي فهمي

المشرف العام

علي أبو شادي

نائب رئيس التحرير

محمد كشيك

مدير التحرير

أحمد عبد الرازق أبو العلا

المراسلات باسم مدير  
التحرير على العنوان التالي  
١٦ شارع أمين سامي  
القصر العيني - القاهرة  
رقم بريدى ١١٥٦١



# **الفصل الأول**

## **أدب الطفولة في التراث العربي**





## تَهْنِئَة :

الطفل ثروة الأمة وأساس مستقبلها، والنصوص الباقية عن العرب تدل على اهتمام العرب بالطفولة ومدى عناية أسلافنا بالطفل فالاطفال هم (قرة أعين) كما ورد بسورتي الفرقان والقصص من القرآن الكريم، قال تعالى: (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما) الآية ٤٧ سورة الفرقان (وقالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك) الآية ٩ سورة القصص. الأطفال هم زينة الحياة الدنيا وعز الأهل، قال تعالى: (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا) الآية الكريمة ٦٤ سورة الكهف.

والطفل مكانة هامة فى حياة رسول الله (صلعم) وقد خص الطفولة بالرعاية والاهتمام،

ففى السيرة النبوية نجد مظاهر حبة للطفولة والتوفر على حسن تهذيبها، والرحمة بها، وكان صلى الله عليه وسلم يسمى الولد ريحان الله، وكان الحسن والحسين وهما طفلا ابنته ريحانتيه من الدنيا، وولد الأبناء عنده بمنزلة الولد، وفى الحديث: «ريح الولد من ريح الجنة». وهو ريحان الله وريحانة من رياض الجنة. وقد أقسم الله تعالى بالولد فى سورة البلد، وذكر الطفل فى سورة النور وسورة الحج.

ومن على الناس أن أمدّهم بالاطفال فى أربع سور مباركات هن :  
الاسراء، والمؤمنون، ونوح والمدثر. وفى اللغة ومعاجمها، ما يشير إلى  
مفهوم الطفل ومكانته ومنزلته فى كتب اللغة وآدابها، إذ اهتم علماء  
اللغة بالطفل ودونوا ما يتعلق به من كلمات وألفاظ وأسماء وصفات  
وأصوات، وقد استتبع ذلك أن حظى الطفل فى تاريخ الأدب العربى  
بنتاج ادبى منظوم ومنثور يجمع بين التنوع والغزارة، وقد استهدف  
العربى القديم - وهو يكتب للطفل - مراحل نموه العقلى واللغوى  
واتسم النتاج الأدبى الموجه للطفل بالرعاية والحب والعطف وتنمية  
النوق والخيال.

لقد تناولت أغلب المؤلفات التراثية - اللغوية والأدبية والعامية -  
بين ثناياها، أدب الطفل ومكانته وتربيته وتهذيبه، من زمن مرحلة  
المهد الى بداية مرحلة الفتوة والشباب. وصورة أدب الطفل فى  
التراث العربى لم تهملها الحياة العقلية العربية كما يتصور بعض  
الباحثين، فهى ليست غائمة أو ساذجة، وإنما حفلت باهتمام من  
الكتاب والعلماء والأدباء يعدل اهتمام الآباء والأمهات ورجال الدين،  
غير أن صورة أدب الطفل فى تراثنا فى مجملها صور مركبة تتوزع  
بين الأدبين الرسمى والشعبى، فبعض أشكال التعبير الموجهة للطفل  
من حكايات الأدب الشعبى توارثتها الأمة جيلا بعد جيل على ألسنة  
الجدات والأمهات والمربيات والرواة، شأنها شأن الأغانى الشعبية

للطفل فى مناسباته المختلفة.

لقد عرف الأدب الرسمى نظام المقطوعات الشعرية فى قالب الرجز قبل القصيدة المطولة، وقد دون الأدب الرسمى العديد من صفحات كتبه عبر تاريخ الأدب العربى، أغانى الترقيص، والمقطوعات المجزوءة، والأشعار البسيطة وغيرها من الأدب المكتوب. أما الذى ينقصنا فهو رصده وجمعه من بين ثنايا كتب التراث تحت جنس أدبى مستقل. أما استمرار وقوفنا عند منطقة الحذر من وجود مثل هذا اللون الأدبى، وبالتالى إهمالنا لتأصيله، فهو من أسباب تأخرنا فى مواكبة تطور العلوم الانسانية المعاصرة، والأدب بالقطع يلازم الانسان طوال رحلته فى الحياة فى علاقة ترابطية.

ونخلص من هذا المدخل الى حقيقة هامة مؤداها أن أدب الطفل فى التراث العربى، له جذوره، ونتاجه النثرى والشعرى فى الادبين الرسمى والشعبى ، وإن لم يحظ طوال القرون الماضية بمهمة بحث جوانبه وتوجهاته وتثبيت دعائمه فوق خارطة الأدب بالدرس والتأصيل، لقد اهتم الادب العربى اهتماما كبيرا بالطفل، وكان للأدب الموجه للطفل دوره الذى لا يقل أهمية عن الأدب المكتوب عنه<sup>(١)</sup>. اذ كان للأدب الموجه للطفولة والناشئة فى جميع عصور الأدب العربى دوره الحيوى فى تكوين الشعور الوجدانى للطفل، فإن تأصيل العلاقة المميزة بين الأدب والطفل تقوم على مدى قدرة الفنون الأدبية فى

التأثير فى الطفولة كوسيلة وغاية. لذلك انطلقت أدبيات الطفل المتناثرة فى أمهات كتب التراث لتحقيق المفاهيم الوظيفية لهذا اللون الأدبى. الحقائق التى تطالعنا فى الأدب العربى المدون هى وجود نتاج أدبى متنوع الاشكال والمضامين بين ثنايا كتب اللغة والأدب والأخبار وغيرها، وفى النثر توجد القصص والحكايات وأحاديث السمار والنوادر والأمثال والألغاز والخرافات والأساطير، وفى مجال الأشعار وجدت أشعار الترقيص، والمنظومات التعليمية والتهديبية، والمقطوعات والأراجيز الخفيفة السهلة، وهذه الأشكال والفنون التعبيرية تستهدف فى بعض توجهاتها الأطفال والناشئة. وقد كشف المدخل السابق عن مسلمة هامة فى تاريخنا الأدبى مؤداها أن أدب الطفولة كوجه مستحدث من وجوه الأدب العربى لم يحظ بتأصيل تحت نوع ما من الأنواع الأدبية، لأن الأجناس الأدبية كانت تجى عرضا فى كتب اللغة والأدب، وقد عنى الرواد والعلماء عناية فائقة بتسجيل وتنوين الأدب الرسمى - ابداعه ونقده - بينما تناثرت أدبيات الطفل فى بطون أمهات الكتب دون أن يفرد لها المصنفون والنقاد، الأجناس أو الأحكام الخاصة بها. وعدم التفات هؤلاء العلماء إلى أدب الطفل فى نشأته وتطوره وفى أشكاله ومضامينه، جعلنا نطلق على هذا اللون الأدبى - رغم تدوين أغلبه - نفس المفاهيم والأحكام القاصرة التى يطلقها البعض على الأدب الشعبى. وليس

معنى ذلك أننا نقلل من الأهمية البالغة للادب الشعبى فى حياة الأمة، فلا يختلف أحد على أهمية وسريان تأثيرات الأدب الشعبى فى أدب الطفولة، وعلى الأخص فى الفنون النثرية بنماذجها المتنوعة مثل الحكايات القصصية والشعبية والخرافية والاساطير وقصص الحيوان. وأزعم أن الجانب الشعرى فى أدبيات الطفولة يخرج عن دائرة مفاهيم وخصائص الأدب الشعبى ، وأعنى بالشعر هنا، شعر الاطفال الذى يندرج تحت أدبنا الرسمى المكتوب، على نحو ما يوضحه الكتاب. أما الأغانى الشعبية الموروثة للاطفال وأغانى ألعابهم ومناسباتهم وعاداتهم فهى من الأدب الشعبى ، ويكاد يجزم المؤلف بأن عزوف الرواد والنقاد من علماء اللغة العربية عن تحديد المفاهيم أو الخصائص المميزة لأدب الطفل، أو وصفه على الأقل كنوع أدبى له نتاجه الذى يخاطب الناشئة - يجرى هذا العزوف غير المقصود - نتيجة نظرة المجتمع العربى القديم تجاه الصغير، فالصغير منذ القدم: الصغير فى كل شئ حتى يشب عن الطوق ويكبر، هذا من ناحية، والعبقريّة العربية التى شيدت دعائم الأدب الرسمى - بفنونه ومضامينه وخصائصه وقواعده - غير عاجزة بأى حال من الأحوال عن تعيد القواعد، ومن ثم التأسيس النقدى لهذا اللون الأدبى الذى يشكل وجدان أكثر من أربعين بالمائة من ثروة الأمة البشرية. ومهما يكن من شئ فإن نظرة رجال النقد وعلماء اللغة والأدب للأدب

الشعبي كانت تسير فيما أعتقد في خط مواز لنظرتهم لأدب الطفل، لأن هؤلاء الرواة والنقاد ورجال التدوين كانوا يرون أن النصوص<sup>(٢)</sup> النثرية والشعرية الموجهة للأطفال والناشئة يقوم بها في الغالب الأمهات والجوارى والمربيات أو المؤدبون في بيوت الخلفاء والأمراء عن طريق التلقين والاستماع ومن ثم رأوها من الأدب الشعبي، ويمكن بالتالي أن تنتقل هذه النصوص من جيل إلى جيل. وقد دفع هذا التصور الذي أشرنا إليه أحد الباحثين العرب إلى القول بأن ترقيص الأطفال الذي يعبر عن هذه الصلة ويصورها شعرا إنما هو أدب شعبي أصيل<sup>(٣)</sup>.

### الفنون النثرية والطفل :

وفي ضوء ما تقدم يمكن القول إن الأدب العربي - عبر عصوره المتتابعة - قد تنبه في اطار رعايته للطفولة لنقطة البداية في التكوين الأدبي للطفل، وكانت قاعدة البداية الأولى التي انطلق منها تتشكل إرهاباتها وأصولها التراثية عند محور : الفنون النثرية الموجهة للطفل. وقد اضطلع النثر بفنونه المتنوعة بمهمة التشكيل الوجداني والأخلاقي للناشئين عن طريق تلقينهم الحكايات القصصية بأنواعها والحكم والأمثال والمأثورات القولية والنوادر والألغاز وغيرها باعتبارها من الوسائل الفنية النثرية الموجهة للأطفال بهدف تربيهم وأخلاقي وجمالي ، وقد ظلت هذه الوسائل الفنية الأدبية تحمل في

مضامينها الأهداف الوظيفية لأدب الطفل من زمن العصر الجاهلى الى العصر الحاضر، وإن كنا لا نستطيع تحديد تاريخ معين تم خلاله تسجيل أو تدوين كتب تجمع هذا اللون الأدبى أو ما يشير إلى نشأة النثر الأدبى الموجه أساسا للطفل فى العصر الجاهلى أو قبل ذلك، لصعوبة ذلك، ومن ناحية أخرى فإن عملية الانتقال الثقافى عملية تغيير متطورة يتم من خلالها نقل الثقافة من جيل إلى آخر، وهو ما يؤكد عليه علماء الأنثروبولوجيا للإشارة الى التراث غير المكتوب الذى تعبر عنه القصص الشعبية والأغاني والحكم والأمثال الشعبية<sup>(٤)</sup>.

ومما لا شك فيه أن كتب التراث العربى حملت إلينا بين ثناياها ماتم تدوينه من فنون نثرية متعلقة بأدب الطفل ، وكان لتلك الفنون الأدبية وجودها فى الجماعة وتأثيرها فى الأمة، كما أشار القرآن الكريم إلى أساطير الأولين<sup>(٥)</sup> قال تعالى : (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا) الآية ٥ سورة الفرقان، وحكايات الأطفال بأنواعها لها جذورها فى الأدب العربى الموروث «والقصص الروائى الشفوى للأطفال يلعب دوره فى مخاطبة حواس الطفل وحفز مشاعره وخياله، ونحن لا نستبعد ما يقال من أن الوصيفات والمربيات كن يقصصن على الأطفال قصصا مبسطة . . . وهذا القص يحتمل أن يكون هو نفسه ما ألفناه من حكايات الجدات

والتي لا تزال متداولة في بعض بيئاتنا، وحكايات الجن والشياطين  
جوهريّة في تراث حكايات الجدات القديمة وبداية لخط قصصى بلغ  
قمته في القرنين الرابع والخامس الهجريين، ومن أبرز أمثله رسالة  
التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسى، كما كانت قصص الحيوان  
التي بدأت شهرتها مع كيلة ودمنة التي ترجمها ابن المقفع وما  
صاحبها وتبعها من الملاحم الشعبية وقصص ألف ليلة وليلة، وحى  
بنى يقظان وغيرها - مصدرا هاما للأدب القصصى للطفل»<sup>(٦)</sup>

وقد عرفت الأمة العربية الأدب القصصى - منذ حققت وجودها -  
بالكلمة والخبر، وتطورت الحكايات القصصية كشكل من أشكال  
التعبير النثرى تبعا لتطور الحياة العقلية والاجتماعية للأمة العربية.

وليس صحيحا ما استقر في أذهان البعض من أن العقلية  
العربية تنزع بفطرتها الى التجريد وتنأى بجانبها عن التجسيم،  
فبرز مصطلح الحكاية في الأدب القصصى وتزحزح عن مجرد  
الإخبار بالواقع الى الإيهام بحدث قديم مرت الدهور عليه أو واقعة  
في مكان بعيد، ولا بأس من التوسل بالخيال لبلوغ التأثير المنشود،  
كما برزت أيضا كلمة خرافة لتدل على الوقائع والأحداث غير المعقولة  
ثم أصبحت مرادفة لطائفة من حكايات الخوارق، ويستعمل المثل  
أيضا للدلالة على نوع متميز من أنواع الحكايات والقصص هو الذى  
يدور حول البهائم والطيور والذى تتخذ فيه الكائنات صفات غارقة



مفكرة ومديرة<sup>(٧)</sup>، والرؤية التي أشار إليها د. عبد الحميد يونس في الفقرة السابقة تجمع في طياتها التأكيد على وجود الفنون النثرية في الأدب العربي منذ القدم، وقد تطورت هذه الأشكال التعبيرية برغم خضوعها للتغيير بالحذف والاضافة، إلا أن العنصر الأصلي في الحكاية يبقى واحداً وتتفرع عنه العناصر البنائية عند إعادة القص أو الرواية.

ومن نافلة القول التأكيد على مدى شغف الأطفال بالحكايات بأنواعها فقد توارث أطفال الجاهلية حكاياتهم الخاصة بهم، وانتقلت إليهم من جيل إلى جيل، غير أن الجانب الرسمي في المجتمع لم يلق بالاً إلى هذا اللون من الفن القصصي ولم يقدره الكبار قدره، ولم يلتفت إليه الرواة، فظل محصوراً بين جدران الخيام والمنازل والدور لا يخرج إلى المجتمع ليكون تعبيراً عن مرحلة التفكير والعواطف والخيال والمعتقدات للإنسان بل تناقلته شفاه النساء والأطفال في حدوده الضيقة المحدودة<sup>(٨)</sup>. ونخلص مما تقدم إلى حقيقة مؤداها أن معظم الأنواع النثرية الموجهة للطفل في الأدب العربي القديم، دارت في فلك الأدب الشعبي، فامتسع تأثيرها بالتالي لتشمل سائر طوائف المجتمع ومستوياته وليس الأطفال وحدهم أو النساء في حدودهن الضيقة المحدودة، وليس لطائفة عمرية بذاتها Age-Set وقد ظلت مادة الحكايات - على تنوعها وتطورها بعيدة عن الأدب الرسمي

المدون لعدة قرون، فى الوقت الذى كانت تتناقل هذه المادة القصصية الجذات والأمهات والمربيات والمؤدبون والمعلمون، كما خضعت الأعمال التى قدر لها التدوين إلى التعديل عن الأصل، والتغيير غير مرة من جيل إلى جيل.

إن عقل الطفل وإدراكه بحاجة إلى مثل هذه الأجناس الأدبية على تنوع مادتها وثراء خيالها وسحر تأثيرها واختلاف أساليب تشكيلها الفنى «ومثل هذه الحكايات المتنوعة فى الأدب القصصى تغذى جوانب تفكير الأطفال وتقوى نواحي الخيال عندهم ووسيلة من وسائل التعليم والتثقيف والمشاركة فى الخبرة، وطريقا لتكوين العواطف السليمة، والوطنية الصادقة للأطفال، وأسلوبا يقفون به على حقيقة العقيدة ويكشفون مواطن الصواب والخطأ فى المجتمع، ويتعرفون طرق الخير والشر فى الحياة»<sup>(٩)</sup>.

والطفل يشعر بالمتعة وهو يستمتع بالحكاية التى تروى له، هذا جانب، كما يستفيد من مغزاها والأثر الوجدانى الذى تتركه فى مخيلته من جانب آخر. ومن هنا راح الرواة يقصون على الناشئين حكاياتهم القصصية، والتى ازدادت تنوعا وخصوصية بتطور الحياة العقلية والاجتماعية للأمة، وفى ذلك يقول د. فؤاد حسنين «يعد القصص من أهم الأجناس الأدبية التى تعبر عن روح الأمة وعقليتها وطبيعتها» فالأمة منحت حظا موفورا من الخيال والقدرة على صياغة

المادة المحيطة بها قصصا جميلا، كما أنها تمتاز - كغيرها من عقليات الشعوب السامية - بإعادة تأليف القصص القديمة التي تتوارثها من أقدم العصور وازدهارها في ثوب يكاد يكون جديداً<sup>(١٠)</sup>.

وتعد أيام العرب في الجاهلية مصدرا خصباً صافياً من ينابيع الأدب ونوعاً طريفاً من أنواع القصص بما اشتملت عليه من الوقائع والأحداث «وما روى في أثنائها من نثر وشعر، وما تدس خلالها من مآثور الحكم وبارع الحيل، ومصطفى القول ورائع الكلام». والفقرة الآتية تتضمن الإشارة إلى أصل قديم من أصول التراث العربى يتضمن عدة أشكال من التعبير الأدبى - نثره وشعره - فأيام العرب حملت البذور الأولى في تربة الأدب القصصى عند العرب . وقد تأثر أدباء العصر الجاهلى بالبدايات الأولى لمعالم هذا اللون النثرى القصصى، فالأسلوب القصصى (أسلوب الحكاية) اتبعه الشعراء فى معرض الحديث عن ذكرياتهم لدرجة الاقتراب من السرد بما يشير إلى عفوية الشعراء وبساطتهم فى التعبير «.. وفى اشعار الهذليين يتضح الأسلوب القصصى فى الشعر خاصة عند الشاعر أبو نؤيب الهذلى، وقد برع الشعراء الهذليون فى تمثيل قصص الحيوان وأصبح هذا الأسلوب شبه تقليد فنى عندهم»<sup>(١١)</sup>.

والمأمل فى تاريخنا الأدبى القديم يجد فى شىء من اليسر الطبيعة التعددية فى الأدب القصصى المدون منه، والشعبى، والطفل وهو يتلقى هذا النتاج المتعدد أو شيئاً منه فى مراحل طفولته، كانت

النماذج القصصية المقدمة له عن طريق الأمهات والجذات والمربيات أو الرواة القصصيون أو المؤدبون - يراعى فى تقديمها عقلية وإدراكه، وقد طرأ على هذه الطبيعة التعددية فى الأدب القصصى التجديد فى الأطر والموضوعات، وبذلك استقرت فى تاريخ الأدب العربى عدة أنواع تندرج تحت الأدب القصصى العربى: أيام العرب فى الجاهلية، الحكايات القصصية المتنوعة، الأمثال والحكم والوصايا، الأساطير، الألغاز والاحاجى.. وسنقف فيما يلى عند بعض هذه الأنواع القصصية وفقاً لاستمرار فعاليتها وتأثيرها على الطفل، وهو ما ستوضحه الصفحات التالية:

### أنواع الحكايات القصصية فى الأدب العربى:

لا جدال أن فن الشعر هو ديوان العرب وأبرز ميراثهم الإبداعى، ومع ذلك فإن التراث القصصى العربى من حكايات وأساطير يدفع الآراء القائلة بأن العرب أمة لا تملك الأساطير والحكايات القصصية الأصلية من وحي ابتكار العرب أنفسهم، وهذه الفرية التى يروج لها المستشرقون فى مؤلفاتهم هدفها التقليل من شأن العرب وتاريخهم الأدبى. ويرد أحد علماء الاستشراق على هؤلاء فى حيدة وانصاف فيذكر: «وصل العرب بفن الحكايات الخاص بهم إلى حد الاكتمال الفريد، ثم هناك قيمة العبر الخالدة من حيث أنهم خلقوا عن طريق فنهم فى الرواية صوراً جديدة كل الجدة سواء من خلال تلك الحكايات التى نشأت عندهم، أو عن طريق تلك التى أخذوها من

الشعوب الأخرى»<sup>(١٢)</sup>.

يقول الراغب الأصفهاني في كتابه «الذريعة في أحكام الشريعة» في مستهل الباب الخامس والعشرين (الطفل في حالة صباه كالشمع تشكل بكل شكل يشكل به) وقد أحس العرب بضرورة إشباع احتياجات أطفالهم الوجدانية والعقلية في مراحل نموهم، فوضعوا لهم التأليف القصصي، والحكايات الشعبية والحكايات الخرافية وغيرها من الحكايات التي تدور حول التسلية والاقناع والتعليم والتهديب وإيجاد علاقات مميزة مع البيئة أو الطبيعة المحيطة بالطفل، وكذلك قصص الحيوان، والأخيرة تلعب دورها البارز في تاريخ الأدب الموجه للأطفال، وهذا الاحساس العربي القديم يدلنا على معرفة العرب وعمق نظرهم العقلية والوجدانية في الذوق والخيال عند الأطفال بمروياتهم الأدبية التي تنمى مداركهم وفقا لانتقالهم من مراحل الحس الجزئي إلى التجريد الكلي كما يدلنا على ذلك نتائج علم النفس الارتقائي، فالطفل يولد معه الاستعداد الذاتي للاستجابة والاكتشاف ومن ثم يستوعب الشيء في صفاته الشاملة لأن مشاعره وتصوراتهِ تزداد مع مراحل نموه وتمده بطاقة خيالية أروع من أي تفاصيل جزئية. في ضوء ذلك يمكن القول إن الطفل يستجيب مباشرة للشيء الآخر أو الشيء المجهول الذي يجد فيه انعكاسا لذاته، ولا غرو أن يكون عالم الحكاية الخصب والمثير هو الأقرب إلى عالم الطفل، إذ الطفل صفحة بيضاء قابلة لما ينقش فوقها، وهو في

حركة دائبة لا تهدأ إلا بالانتقال من حركة إلى حركة ومن خيال إلى خيال آخر فى ترقب واستجابة للاستمتاع بالمشير الخيالى والوجدانى فى الأدب القصصى بعامة وعالم الحكاية بخاصة.

وكان للبيئة الطبيعية العربية أثرها الحاسم فى تربية الخيال لدى المبدع العربى والمتلقى كذلك، فقد «عاش العرب فوق صحراء مبسوبة الرقعة مجلوة الآفاق وفيرة الوحش والطير، فى جو صحيح الهواء، وتحت سماء صافية الأديم ساطعة الكواكب ضاحية الشمس، سافرة البدر، جلت لحسه مناظر الوجود، وعوالم الشهود، فكان لخياله من ذلك مادة لا يغور ماؤها، ولا ينضب معينها، فهام بها فى كل واد وأفاض منها إلى كل مراد، وكان له من لغته وفصاحة لسانه أقوى ساعد. وأكبر معاضد»<sup>(١٣)</sup> ويقف أحمد ضيف من أثر الخيال فى تشكيل العقل والوجدان العربى موقفا تحليليا يرد به تهمة غلاة المستشرقين بضعف الخيال - وهو عنصر رئيسى فى الابداع - عند الأمم السامية، من ناحية، ويؤكد وجود مزية الاستكشاف وحب الاستطلاع من ناحية أخرى فيذكر: «لقد تصور العرب فى جاهليتهم آلهة متعددة ونصبوا لها الأصنام قبل الاسلام، وكانت لهم اساطير، ولكنها لم تظهر فى شعرهم ظهورها عند الأمم الأخرى، كما تخيلوا لشعرائهم نفوسا أخرى من الجن توحى إليهم عبقريتهم وعدوهم أصحابا لكبار الشعراء ورووا عنهم الشعر، أما إن كانت الأمم السامية ذات أفكار هادئة غير قلقة، راضية بصدق وصحة ما ترى،

فهذا صحيح فى جملة، لأنهم أقنع الأمم فى حب الاستطلاع» وفى ضوء التعليل السابق «كانت القصص والأساطير فى المكان الأول من الحياة الأدبية، وإنها كانت الفن المفضل عند الغالبية العظمى فى الجاهلية»<sup>(١٤)</sup>.

فالحكايات القصصية الخرافية والأساطير مادة أدبية، كان لها وجودها فى تراثنا القديم، ويمكن أن تحتل مثل هذه الأنواع الأدبية مكانا فى أدب الطفل المعاصر إذا دقق الكتاب والمؤدبون والمعلمون فى اختيار النصوص التى تناسب أعمار ومدارك الأطفال، أو إعادة صياغة (معالجة) الحكايات الخرافية والأساطير لتحقيق الوظائف التربوية والجمالية واللغوية فى مجال أدب الأطفال، وهذه المعالجة لن تفقد أصول الحكايات على ألسنة الحيوانات Fables أو الأسطورة Myth شيئا من مغزى أيهما أو روعة الخيال التصويرى فى سردهما بإعادة المعالجة، فالحكايات الخرافية أو الأسطورية على تنوعها قديمة<sup>(١٥)</sup> قدم الأدب العربى، وقد وجدت قصص الجان الخرافية وقصص الحيوان فى الحياة العربية منذ عصر ما قبل الاسلام، وقد تناثرت خيوط الحكايات القصصية وتعدد نسيجها على ألسنة الرواة مشافهة جيلا بعد جيل أو تم تدوينها فى بطون كتب اللغة والأدب والأخبار وأيام العرب، وكان الكتاب والمربون يهدفون من وراء قصص الحكايات إلى عدة مقاصد منها الغاية الوعظية، وجلب السرور والمتعة لدى الأطفال وحفز خيالهم، والحكايات تستهدف فيما تستهدف الأدب

التهديبى للطفل أيضا والأدب التعليمى فى إطاره النثرى من خلال الحكمة والمثل والقصص عن طريق الحكايات بأنواعها، لأن الخيال الفنى فى مضمون القصص والحكايات والأساطير تصنعه من خلال الشخصيات والأحداث ، والفكرة أو الأفكار - تصنعها - شخصيات غير بشرية تحمل صفات الإنسان وتعمل مثله، وهذه الشخصيات غالبا ما تكون فى نصوص الحكايات العربية القديمة التى وصلتنا من الحيوان أو النبات أو الجن.

ومن نافلة القول التأكيد على أن هذه الحكايات الخرافية احتلت مكانا هاما فى حياة الأسرة العربية، خاصة فى بيوت الخلفاء والأمراء فى أماكن التسلية واللهو، وامتدت آثار هذه الحكايات الموجهة لوجدان الطفل إلى العصور المتتالية من أدبنا العربى القديم وحتى عصرنا الحاضر. إن موضوع الأدب الوعظى أو الأدب الحكيم، اشتمل فى أحد روافده: القصص العربى القديم فى فترات تاريخية سبقت ظهور الاسلام، وقد عاشت هذه القصص العربية الخرافية فى وجدان المجتمع العربى<sup>(١٦)</sup>.

وقد كانت الحكايات القصصية، بخاصة حكايات الحيوان فى الأدب العربى القديم، إما شعبية تشرح ما سار بين العامة من أمثال وحكم ووصايا أو مقتبسات من عصور قديمة وتتصل بالعقائد والطقوس، أى ذات طابع دينى يتصل بالعقائد الدينية، باعتبار الدين يتسم بالفطرة الوجدانية والاقتناع العقلى، وقد حظيت المكتبة العربية



بمجموعة مؤلفات هامة فى هذا المجال<sup>(١٧)</sup>.

مما سبق يتضح لنا وجود الأصول التراثية فى أدبنا العربى القديم، لكنه يجب الاعتراف بأن الحكايات المروية للأطفال كانت تعيش حالة على «خيال الكبار وتسير فى ظل الخيال تستلهم منه عناصرها، وتتخذ من التراث الإنسانى المصدر الذى تأخذ منه مضامينها، وصارت حكايات الأطفال كالجدول الصغير ينساب من فيض النهر الكبير، من قصص الكبار»<sup>(١٨)</sup> ومهما يكن من شىء فإن مفهوم الحكايات بأنواعها يطوف فى عقل الطفل بدرجة كبيرة، ويفزع الطفل عندما يسمع أو تتطرق أمامه كلمة «قصة خرافية» والتى تستحضر فى ذهنه صوراً مذهشة ولا يمكننا تخيل مناهج التعليم المدرسى دون سماع الأطفال لقصص الخيال أو أن يخلقوا هم الأقاصيص من وحي خيالهم، وقصص الحيوان تقوم بأدوار هامة ووظائف حيوية فى حياة الطفل كانتصار الحيوان الذكى صاحب الحيلة على الحيوان الغبى المغفل ولو كان قويا.

ومثل هذا القص يثير خيال الطفل ويستجيب لخاصيتين عنده هما: حبه للحياة، وقدرته على إدراك المشابهات دون الدخول فى تفاصيل وجوه الشبه والاختلاف<sup>(١٩)</sup>. ويرد الدكتور محمود ذهنى أسباب التقسيمات الفرعية أو بعبارة أخرى التقسيمات النوعية، الفرعية التى طرأت على اللونين الأساسيين فى الحكايات وهما: الحكايات الخرافية المسلية (حكايات الجان)، والحكايات على السنة

الحيوان - يرد اسباب ذلك- إلى طبيعة التطور فى خصائص الأدب الشعبى من ناحية، أو الاتجاه التخصصى الدقيق للعلوم والفنون والآداب من ناحية أخرى، وفى ضوء ذلك يذكر: «إذا كان الأدب الرسمى أدبا ثابتا يتطلب سلامة النص، وتوثيق الأصل وصحة النسب، فإن الأدب الشعبى أدب متغير متطور، لا يبقى على حال واحدة، بل لا يغير من عصر إلى عصر ومن مجتمع إلى مجتمع، ومن بيئة إلى بيئة، ومن مجال إلى مجال، فالحكاية الشعبية مثلا قد يكون لها أصل مدون فى كتب التراث، ولكنها تحكى بطرق مختلفة متعددة تناسب كل منها زمن حكايتها والبيئة التى تحكى فيها، وحال المتلقين، وتفسيرا لهذه الظاهرة يقول المتخصصون إن العصر الأصلى فى الحكاية واحد أو ثابت، وتتغير من حوله عناصر الربط والشكل البنائى، فينتج عنها عشرات الحكايات المتحدة فى الفكرة، المختلفة فى الشكل وبالتالى مختلفة فى الهدف» (٢٠).

ولاريب أن أدبنا العربى عبر عصوره المتتابعة من زمن العصر الذى سبق ظهور الاسلام إلى الأزمنة الحاضرة وما بينهما، قدم مادة خصبة من الحكايات الأصلية فى تراثنا العربى، تعد من أغنى المصادر الأدبية فى حكايات الجن والخرافة والأسطورة، بحيث أمتعت بمضمونها الثرى المتنوع وبشخصياتها غير الطبيعية وغير البشرية الأجيال المتعاقبة من الأطفال العرب.

ومن أشهر الحكايات الباقية عن التراث العربى، حكايات وقصص

ألف ليلة وليلة، وحى بن يقظان، وأفكار وعناصر من مقامات بديع الزمان الهمذاني، وكليلة ودمنة وغيرها من النوادر والأمثال الوعظية والأدب الحكيم أو القصص المسلية. وقد تولدت موضوعات جديدة عن أصول تلك الحكايات العربية الراقية «فمن الموضوعات التي أذاعتها ألف ليلة وليلة ومكنت لها في عالم الأدب موضوع الرحلات، ولقد أوحى قصص السندباد إلى كثير من كتاب الرحلات في الغرب أن يؤلفوا عن رحلاتهم أو عما يتخيلون من رحلات.. كذلك أحييت قصص ألف ليلة وليلة موضوع أدب الحيوان، فأصبحنا نجد الكثير منه، وخاصة في أدب الأطفال والصبية، كذلك موضوع أدب الحيوان أو الأدب الحكيم، وكان الفضل في إبرازه بصورة جيدة يعود إلى قصص ألف ليلة وليلة»<sup>(٢١)</sup> وألف ليلة وليلة من أهم المنابع الأولى في التراث العربي، التي تحوى فيما تحوى نماذج عجيبة وغريبة ومثيرة في الأفكار والشخصيات والسرد على ألسنة البشر والحيوان والطيور والجن والشياطين وبساط الريح وغيرها، وتضم أصول كتاب ألف ليلة وليلة العديد من القصص الخيالية والطريقة والنادرة، وهي في مجمل دلالتها الفنية تعبير عن الخيال الخصب في الأدب العربي، لعلنا مازلنا نذكر الحكايات التي تم تداولها أو تبسيطها للناشئين من كتاب ألف ليلة وليلة مثل حكاية بساط الريح الذي جاب البلدان، والجواد الخسبي الذي إذا فرك عرفه سهل بسبب حكمة صنعه التي صنع بها، أيضا قصة عبد الله البرى وعبد الله البحرى، وكيف أن عبد الله

البرى استطاع أن ينزل إلى أعماق البحار ويجوب فيها ويعرف خوافيها وغيرها من القصص التى قرأها الأطفال أو استمعوا إليها مثل: على بابا، عبد الله والدرويش، الملك العجيب، السندباد البحرى وغيرها من مثل هذه الحكايات القصصية المثيرة والعجيبه يستمتع بها الطفل وتنمى خياله.

ومن الثابت أن الخيال القصصى ينمى لدى الأطفال المعرفة بالكون والكائنات، بالطبيعة ومفرداتها، ومن ثم يتحول هؤلاء الأطفال بالتدرج إلى الاقتراب من الحقيقة أو الواقع، من خلال الانغماس بين صراع الخير والشر فى المغامرات القصصية الخيالية التى تنقلهم من عالم محدود إلى عالم متسع لا حدود له، فلا توجد قصة أو حكاية بدون خيال. وفى ضوء هذا يمكننا القول بأن «القصص الخيالية تجعل الأطفال أكثر وعيا بالعالم ليس فقط عن طريق عقولهم بل عن طريق وجدانهم أيضا. فهم لا يكتسبون المعرفة من خلال الأحداث والأفكار الخيالية ولكنهم يتفاعلون مع الأحداث والظواهر فى العالم المحيط بهم»<sup>(٢٢)</sup> ونحن واجدون بالطبع فى بناء الحكايات القصصية صياغة فنية غير مألوفة للقصة أو الرواية بمعناها الفنى الحديث، إذ الأصل فى الحكايات الخرافية أن تصوغ عالمها الفنى الخاص بها بأسلوب منعزل عن معطيات الزمان والمكان، عن طريق الأشياء المألوفة وباستخدام السحر والاثارة، والتسطيح وحفز الخيال، والبناء الفنى للحكاية يتناغم مع عقل الطفل وإدراكه لأنه بناء يتسم

بالتجريد، والابتعاد عن الواقع الذى لا يصل إليه الطفل إلا مع دخوله مرحلة الفتوة والشباب.

لذلك تحاول الحكاية بأسلوبها الانعزالى التجريدى خلق عالم أثيرى أجمل من العالم الواقعى وأكثر منه بهاء وتسلية وسحرا. إن أول شئ يسترعى نظرنا فى الحكاية الخرافية هو اتجاهها الأخلاقى، فهى تكافىء الخير بخيره والشرير بشره.. وربما كان من المؤلف فى الحكايات الخرافية أن الطفل يظهر له فى ساعة يأسه رجل، أو امرأة عجوز تقدم له النصيح وتسدى له المعونة، وقد يظهر له حيوان خير يتحدث إليه ويقدم له المساعدة اللازمة.. إن بطولة الطفل ظاهرة تشيع فى الأسطورة أو الحكاية الخرافية والحكاية الشعبية على السواء.

وتحقق الأنواع القصصية الموجهة للطفل فى مضامينها المتعددة البناء التربوى المتمثل فى الأدب التهذيبى والتعليمى، فقصاص الحيوان حكايات قصيرة تهدف إلى أن تنقل معنى أخلاقيا أو تعليميا، أو حكمة، أو تنقل مغزى أدبيا، وعادة ما تكون الشخصيات الرئيسية فيها حيوانات أو جمادات أو نباتات لكنها تحمل صفات الإنسان وتعمل عمله، وفى الواقع إن المكتبة العربية لها فضل الريادة فى مجال تأصيل حكايات الحيوان من حيث التأليف والجمع.

ويعد كتاب ابن المقفع (٧٢٤ - ٧٥٩م) أشهر كتاب فى الأدب القصصى على ألسنة الحيوان والطيور «.. فكتاب كليله ودمنة لمؤلفه

الأصلى الفيلسوف الهندى بيدبا، يحتوى على حكايات وأقاصيص خيالية على أقواه البهائم والطيور لإظهار الحكمة والتهديب والتثقيف باستخدام وسيلة أدبية هى القص الخيالى الرمزى، ومادة الكتاب تزخر بالأمثال والأحاديث الوعظية، وتنطق بالحكمة فى ثوب من السحر والخيال والتشويق»<sup>(٢٣)</sup> وقد تأثر بهذا الكتاب فى مجال الاقتباس والمحاكاة معظم الآداب الأجنبية فى العصور الأدبية المختلفة. والآداب الأجنبية التى اقتبست الحكايات القصصية وحكايات الحيوان من الأدب العربى مدينة فى الأخذ بالمادة الموضوعية أصلاً فى كتب التراث من مثل ألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة، والملاحم القصصية الشعبية، وقد ألبس هؤلاء الأجانب المادة العربية الأصلية من فيض محاكاتهم واقتباسهم وفنهم فى التصرف<sup>(٢٤)</sup> فى مادة موضوعاتها ليلائموا أنواقهم.

والذى لا جدال فيه أن الأصول الأولى للحكايات القصصية فى مجال الأدب الوعظى التهذيبى أو الأدب الحكيم يعود الفضل فى ظهورها فى الآداب الأجنبية إلى الجذور التراثية فى أدبنا القديم.

ونستطيع استقراء فضل تلك الريادة من فقرة أوردها ابن المقفع كتاب كليلة ودمنة تقول: «... وأما كتاب كليلة ودمنة فجمع حكمة ولهوا، فاختره الحكماء لحكمته والأغرار للهوه، والمتعلم من الأحداث ناشط فى حفظ ما صار إليه من أمر يربط فى صدره ولا يدرى ما هو، بل عرف أنه قد ظفر بمكتوب مرقوم... وأول ما ينبغى لمن قرأ هذا

الكتاب أن يعرف الوجوه التي وضعت له، والرموز التي رمزت إليه وإلى أى غاية جرى مؤلفه فيه عندما نسبه إلى البهائم، وأضافه إلى غير مفصح وغير ذلك من الأوضاع التي جعلها أمثالاً»<sup>(٢٥)</sup> ونستطيع القول فى اطمئنان أن المقدمة السابقة التي أوردها ابن المقفع فى كلية ودمنة تحمل، غير الريادة التي أشرنا إليها، إظهار الحكمة على أفواه البهائم والطير - تحمل التوجيه الأخلاقى والمعرفى للكبار والصغار فى أن واحد وبلون أدبى ورمزى، ويزعم المؤلف أن اختزان الأطفال لمغزى حكايات وأمثال الكتاب عن طريق الحفظ هى نظرة تربوية تحمل التعليم والتهديب كذلك، وهو الذى قصده من عبارة المقدمة: «والمتعلم من الأحداث (الصغار) ناشط فى حفظ ما صار إليه من أمر يربط فى صدره ولا يدرى ما هو بل عرف أنه ظفر من ذلك بكتاب مرقوم»، وعناية الأدب العربى القديم بالحكايات القصصية والخرافية وقصص الجان، لم تأت من فراغ، بل نتيجة منطقية لتطور حياة الجماعة العربية العقلية والاجتماعية، فأخبار الأمم السابقة، وذكر أيامهم ووقائعهم، وتطور الخيال للبحث فى الكون - كل ذلك - ألقى على العرب إرهاصات الأخبار والسرد والقص، ومن ثم تطورت إلى ماثورات ومرويات وحكايات تجمع بين المنفعة والتسلية، وقد أحس العربى بعمق نظريته أنه فى بيئة خصبة تضم إلى جوار البشر، الطير والحيوان فى ذلك الواقع المعيش وتنبه بإعمال خياله إلى الاعتقاد بوجود كائنات أخرى لا يعرف كنهها، فهى عنده الجان

والشياطين تارة، والملائكة والآلهة تارة أخرى، وفي تراث الانسانية مرويّات تجعل الحيوان أو الطير يتحدّث بالأنباء والخيال، كما ورد في القرآن الكريم غير مرة - في سياق السور - آيات، تتحدّث عن الحيوان والطير<sup>(٢٦)</sup> ومن الملامح الدالة على ذيوع الأساطير في البيئة العربية القديمة وجود الأساطير الطقوسية وأساطير الخلق أو التكوين، وما واكبها من وجود الأسطورة الرمزية التي تحمل الرمز في مضمونها. ومؤداها أنه لما كان الإنسان مازال يعيش في جو أسطوري، حول الآلهة، فقد خلع صفات العالم الإنساني على الآلهة فأصبحت الآلهة تتصرف تصرف الإنسان أو أصبح الإنسان يسلك مسلكا إنسانيا من خلال الآلهة.

وقد يقول قائل: ما علاقة الأسطورة وأنواع الأساطير بالطفل؟.. ومحاولة المؤلف للرد على هذا التساؤل يسيرة، إذ الهدف من الأسطورة في الغالب هو إعادة النظام للحياة وتقوم بوظيفتها الأخلاقية في هداية الإنسان وهي قبل تلك الغاية لتفسير الكون بظواهره لأنها تحتاج الخيال الذي لا يخلو من المنطق، وقد عرفت الحضارات الإنسانية - وعلى الأخص الحضارة الشرقية - العديد من النماذج الأسطورية، قبل ظهور الأديان، فأسطورة أوزوريس في الأدب الفرعوني القديم وأسطورة التكوين البابلية وأسطورة جلجامش الآشورية من أنواع الأساطير التي سبقت ظهور الأديان. الأمر الذي يؤكد مقولة برونسلا مالنوفسكى القائلة بأن «الأسطورة



تقوم بوظيفة لاغناء عنها فهي تعبر عن العقيدة وتزكيها وتقننها  
وتصون الأخلاق وتدعمها وتبرهن على كفاءة الطقوس وتضم قواعد  
عملية لهداية الإنسان»<sup>(٢٧)</sup> إن شغف الطفل بالاستماع والاستمتاع  
بالحكايات الخرافية والأسطورية مسلمة من المسلمات عميقة الصلة  
بخصائص مرحلة الطفولة واحتياجها ما يساعد على حفز خيال  
الطفل وتنمية مداركه بالتفاعل بالظاهرة المحيطة به ومحاولة سبر  
أغوارها، فالطفل مولع بالخيال ومحاولة ايجاد العلاقة بين الظواهر  
والأشياء غير المألوفة<sup>(٢٨)</sup> ولو لم يكن للحكايات القصصية أو الخرافية  
أو الأساطير وجود فوق خارطة الأدب العربى ما عاشت مثل تلك  
الفنون النثرية الأدبية بين الأجيال تتردد وتدون، بل وتستمر ينبوعا  
أصيلا للمحاكاة والاقتباس فى الآداب الأجنبية، على نحو استلهاهم  
الغرب لمضامين ألف ليلة و ليلة وكليلة ودمنة وحى بنى يقظان وغيرها  
من الحكايات القصصية المفيدة والعجيبة وقصص الحيوان Fables  
وقصص المخلوقات المفيدة والعجيبة التى تضمنها كتاب عجائب  
المخلوقات للقزوينى أو الحيوان الجاحظ، والحيوان للدميرى، أو فى  
السير والملاحم المثيرة فى تتابع أحداثها ومعجزات أبطالها وعبقورية  
مضامينها وأشهرها فى الأدب العربى السيرة الهلالية وسيف بن ذى  
يزن وعنترة بن شداد والأميرة ذات الهمة وغيرها.

وتكاد تتفق الروايات أن أول من قص القصص وحدث بالحكايات  
فى الأدب العربى مع ظهور الاسلام هو تميم الدارى وهو نصرانى

أسلم فى سنة تسع من الهجرة، ومن أشهر ما قص به من قصص خيالى قصة (الجساسة والدجال)<sup>(٢٩)</sup> وتحمل هذه القصة فى مضمونها النظر الجزئى والموضوعى للعقلية العربية، ويمثل شكلها التعبيرى إشراك الحيوان فى الحكاية وتروى قصة الجساسة والدجال «على لسان الدارى»<sup>(٣٠)</sup>.. أنه ركب سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لحم وجذام فلعب بهم الموج شهرا فى البحر ثم ارتأوا أن يأووا إلى جزيرة فى البحر حين مغرب الشمس فجلسوا فى أقرب سفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم «دابة» أهاب كثيرة الشعر فقال: ويلك ما أنت؟ فقالت أنا الجساسة، وسميت الجساسة لأنها تتجسس الأخبار فتأتى بها الدجال. ومما يذكر فى هذا الشأن أن صورة تقديم الحكايات القصصية العربية كانت تؤدى على ألسنة الرواة فى الأسواق ومنتديات السمار وعلى ألسنة المربيات والجوارى فى بيوت الأغنياء قبل الاسلام، ويظهر الاسلام كانت تؤدى الحكايات القصصية فى المسجد بالإضافة إلى الأماكن التى ذكرناها، وكان القصاصون الرواة يتولون مهمة القص من داخل المسجد، والناس من حول القاص يتحلقونه ويستمعون إلى ما يلقيه عليهم من قصص وحكايات وأمثال وأساطير، وكان يضيف إلى مادته ما يضيف عليها المتعة والمنفعة والخيال فكان لا يعتمد فيها على الصدق بقدر ما يعتمد على الترغيب والترهيب. ومن المؤكد أن إدخال القاص لمفهوم

الترغيب والترهيب فى الحكايات القصصية يمثل - غير النظرة العقيدية - تطور الشعور الجمعى والعقل العربى باعتناق دين سماوى روحى يسمو بالإنسان ويتجاوز جمود صراع الأفكار البدائية إلى صراع جديد محوره العقل والوجدان، وينمى لدى الإنسان الميل إلى الاستقصاء والإدراك وحفز الخيال.

وقبل أن ننتقل من الحكايات القصصية والأسطورية التى أشرنا إلى وجودها فى أدبنا العربى القديم إلى أنواع نثرية لها أهميتها بالنسبة للطفل تجدر الإشارة إلى أن كتب اللغة والآداب التى أشرنا إليها غير مرة تشتمل على وصف دقيق لنتاج خاص بالأطفال وتعرض صفحات عديدة لحكايات ومقطوعات وأخبار تدلنا على اهتمام العقل العربى بالطفولة، وكيف كان المؤدبون يعاملون تلاميذهم ويكافئون النابهين منهم. إن استقراء تاريخنا الأدبى يعطينا حقيقة هامة فى مجال أدب الأطفال وهى اهتمام العقل العربى بالأنواع القصصية الموجهة للطفولة. وقد كتب لتلك الحقيقة الاستمرار إلى عصرنا الحاضر، فالقصة أو الحكاية التى تقدم للطفل هى لون أدبى رائد فى المناهج التربوية وعلى ألسنة الأمهات المعاصرات اللائى يهملن هذا الجانب، فالحكايات القصصية تلائم طبيعة مراحل انتقال الطفل من مرحلة ما قبل المفاهيم (النمو الحركى والحس العقبى) إلى مرحلة الخيال المنطلق، ومن الخيال المنطلق إلى مرحلة الاقتراب من

العمليات الفكرية المحسوسة (الواقع). وفي قصة حي بن يقظان ما يؤكد صدق تلك المقولة السابقة ومدى معرفة العربى بأبعاد القصة وعلاقتها بخصائص الطفولة، فابن طفيل فى سرده لحي بن يقظان هياً خيال الصغير للادراك وشغف الاستمتاع، فهو يرى بخياله الرائع أن الجسد الحى تتحكم فيه عناصر أربعة هى أساس وجود حي بن يقظان الذى نشأ نتيجة منطقية لتفاعل العناصر الأربعة فى جزيرة طيبة الأرض والهواء معتدلة المناخ، وما أن تكون حي بن يقظان حتى تتولى رعايته غزالة أرضعته من لبنها حتى شب وأدرك وأصبح عقله هو قائده الذى يرشده ويهديه، ثم عرف من بعد حقائق الأمور المحيطة به إلى أن أدرك الخالق جل جلاله. إن الاستقراء المفصل لحكايات ألف ليلة وليلة، وحكايات كيلة ودمنة، وقصص الحيوان عند الجاحظ والقزوينى والدميرى وحكايات الخوارق، وما تتضمنه عناصرها من أحداث وشخصيات وغرائب وعجائب وأفكار، يدلنا على وجود مادة أدبية قصصية، لها خصوبتها، وأثارها، ويمكن للمبدعين الذين يتوفرون على كتابة نوع أو أنواع نثرية فى أدبنا العربى أن يجلوا صفحاتها ويعمقون توجهاتها من خلال إعادة المعالجة لأصول تلك النصوص الأدبية أيضاً إمكانية تبسيطهم تلك الأنواع الأدبية، للطفل لأهمية تأثيرها الوجدانى فى نفوسهم وشخصياتهم. إن ولع الأطفال المعهود بالحيوان والطير يحفزنا

لتقديم<sup>(٣١)</sup> المادة القصصية - مكتوبة ومروية - فى أشكال جذابة تجمع بين التسلية والمتعة والفائدة وصقل الخيال وحفز الادراك، ومن نافلة القول الإشارة إلى أن تقديم المادة القصصية للأطفال نقلا عن أصولها الأولى يتطلب التنقيح والتهذيب بما يلائم خصائص الطفولة.

### الأمثال والحكم والوصايا (الأدب الحكيم):

أوضح المبحث السابق أهمية تأثير الأشكال القصصية الموجودة فى التراث العربى فى التكوين الأدبى للأطفال، واستتبع ذلك التعرض لنشأة وتطور أنواع الحكايات القصصية والأسطورية فى الأدبين الرسمى والشعبى عن طريق استقراء الأصول التراثية للحكايات بأنواعها وتتبع انتقالها من جيل إلى جيل، وقد ألمحنا كذلك إلى عمليات التعديل أو التبسيط التى تمت على ألسنة الرواة والمعلمين والمؤدبين بما يحقق النظرة الوظيفية للأدب.

وعرفنا أن القصص الخيالى هو الذى يجرى - فى معظمه - على السنة الحيوانات والطيور والجمادات، ويشترك الإنسان أحيانا فى هذا اللون الأدبى بطريقة غير مألوفة تتسم أحداثها وتفصيلاتها بخرق النواميس الكونية، كما أن القصص التهذيبى أو التعليمى يهدف بطريقة مباشرة إلى غرس القيم العليا الصحيحة، والأخلاق الفاضلة، والمثل السامية فى عقل ووجدان الطفل، أما القصص الأسطورى والذى يعزى وجوده إلى عصور سحيقة فكان يدور حول

الجان أو الشياطين والمخلوقات الغريبة<sup>(٣٢)</sup> وغيرها، وأهم ما يميز هذا اللون القصصى قيام البطل الأسطوري بخوارق العادات ومواجهة الصعاب التي تعترضه من خلال تسلسل أحداث مثيرة تهدف إلى إعادة تنظيم الحياة.

وليس بمقدور المؤلف المنصف وهو يرصد ظاهرة مادة أدب الطفل في تراثنا العربى ويتتبع وجود أشكالها النثرية والشعرية أن يسقط من بين ثنايا كتابه عدة أنواع نثرية لها تأثيرها على الناشئين، وقد كتب لبعضها الآخر التوقف عن المسير تبعاً لتطور الحياة العقلية والاجتماعية للأمة.

وتعد مقامات بديع الزمان الهمذانى (٣٥٨ - ٣٩٨ هـ) أحد الأصول التراثية التي تزخر بالقصص والأمثال والحكم بحيث يمكن إعادة تبسيطها للأطفال لأن الأسلوب اللغوى، نثره وشعره فى مقامات الهمذانى يصعب فهمه وإدراكه من قبل الأطفال، ويمكن لكتاب الطفولة إعادة المعالجة بالتبسيط دون أن تفقد أصالتها ومضامينها الفريدة، أو وظائفها الأخلاقية.

ومن الأنواع النثرية فى الأدب العربى التى كتب لها الاستمرار: الأمثال والحكم والوصايا، وهى أنواع تنتشر مادتها الأدبية فى الأدبين الرسمى والشعبى، ونحاول من خلال السطور التالية بيان علاقة تلك الأنواع بالطفولة وتكوينها الأدبى.

## الأمثال الحكيمة :

الأدب الحكيم، أو الأقوال الحكيمة من مآثور القول والحكمة والمثل والوصايا والعظات، هى جميعا خير تعبير يمثل الرؤية الأخلاقية فى أدبنا الموروث. وقد خاطبت هذه الألوان الأدبية فى أحد مقاصدها وجدان الطفل وحواسه بمثل مخاطبتها عقله ومنطقه. وقد لعبت هذه الألوان دورها الحاسم فى التكوين الأدبى للأطفال. ومما يلفت النظر أن الأدب العربى قد جعل محور ارتكازه بالنسبة لتكوين الطفل الأدبى من خلال الحكم والأمثال والمواعظ والمآثور الشعرى والنثرى من القول قبل تعامل الأطفال مع الحكايات القصصية وما تتطلبه من نمو معرفى ووجدانى لمتابعة الأفكار والأحداث والخيال والمقاصد الأخلاقية. وقد قال الله عز وجل فى شأن كمال النبوة الأخلاقى «وإنك لعلى خلق عظيم» الآية ٤ سورة القلم.

وقال سبحانه وتعالى: «ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد» فالعتيد هو المهيأ والحاضر واعتد الشئ هياؤه وأعدده<sup>(٣٢)</sup> فالنظرة الإلهية للنبوة تتسم بالكمال الأخلاقى، ولنا فى رسول الله (ص) الأسوة الحسنة، كما أن الأدب العربى فى إحدى غاياته لا ينفصل عن تلك الرؤية الإسلامية الشاملة، فالأدب من هذا الجانب التهذيبى الأخلاقى يمثل «كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان، والمحاكاة

تكون بمزاولة الأقوال الحكيمة التي تضمنتها لغة أى أمة وهو ما أودع نثرها وشعرها من نتاج عقول أبنائها وأمثلة طبائعهم، وصور أخيلتهم ومبلغ بيانهم. مما شأنه أن يهذب النفس، ويثقف العقل ويقوم اللسان»<sup>(٢٤)</sup> والعقلية العربية احتفلت بالطفل من زمن ولادته إلى أن يشب، فالأدب فى أحد مقاصده العربية رياضة النفس بالتعليم والتهديب على ما ينبغى أن يكون، وكان الطفل ينمو ويشب على القول الجميل والمنظوم والمنثور، والحكمة رأس الأخلاق الحسنة وهى التى قال الله عز وجل فيها: (ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا) سورة البقرة الآية ٢٦٩، وفى الحديث النبوى (إن خياركم أحسنكم أخلاقا)<sup>(٢٥)</sup>.

وقال النبى عليه الصلاة والسلام فى معنى استحسان المنطق وإيراد الحجة البالغة والبيان المؤثر «إن من البيان لسحرا»، ومقولة على بن أبى طالب «علموا بينكم أخلاقا غير أخلاقكم فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم» مقولة لها مغزاها فى ضرورة حسن إعداد الطفل للمستقبل الذى ينتظر الأم»<sup>(٢٦)</sup> وقيل «إن معاوية سأل عمرو بن العاص من أبلغ الناس؟ فقال أقلهم لفظا وأسهلهم معنى وأحسنهم بديهة. ولم يكن فى ذلك الفخر الكامل لما خص به سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم وأفتخر به حيث يقول نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم، وذلك أن كان عليه الصلاة والسلام يتلفظ باللفظ



اليسير الدال على المعانى الكثيرة» (٢٧).

وفى آيات القرآن الكريم من الحكم والأمثال وجوامع الكلم، التى تجرى بين الناس هداية ووعاء للمعانى والقيم المحموده، من مثل : (ولقد آتينا لقمان الحكمة) و(حكمة بالغة فما تغنى النذر) و(اتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) و(قل لا يستوى الخبيث والطيب). فالأدب الوعظى الحكيم يلعب دوره المباشر فى حفز مشاعر الأطفال، والآداب القديمة تزخر بالحكم والوصايا، وأشهرها ذيوعاً وتأثيراً تلك التى يحدثنا عنها القرآن الكريم (إذ قال لقمان لأبنه وهو يعظه يابنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) الآية ١٣ سورة لقمان.

وما من شك أن شغف عقول الأطفال بالمجهول وميلهم إلى حب الاستقصاء جعل الرواة وعلماء اللغة والأدب والمعلمون والمؤدبون يحفزون خيال الطفل العربى بالوقوف والتأمل عند الأمم السابقة كي يحصلوا على ثمرة القول السائر والحكمة الباقية. وفى ذلك قال أكرم بن صيفى حكيم العرب (ذللو أخلاقكم للمطالب وقودوها إلى المحامد وعلموها المكارم ولا تقيموها على خلق تدمونه) (٢٨) فالأخلاق المحموده غاية وظيفية أجد وسائلها الأدب بمعناه التهذيبى العام ومعناه الأدبى الخاص كذلك، فالقدرة المكتسبة التى يكتسبها الطفل من تأثير الأنواع الأدبية فى النفوس من أهم الدعائم الوجدانية التى تؤسس عليها الملكات اللغوية والأدبية بين الناشئين «والعرب نظرتهم الفلسفية

للكون، وهى نظرة ذات طبيعة خاصة تنقسم بالجزئية والتغير.. وعلى أساس هذه النظرة تملكوا ألسنتهم»<sup>(٣٩)</sup> وهناك علاقة من نوع خاص تتعلق بالادراك لدى الأطفال ومدى فهمهم للحكم القصار والأمثال الحكيمة - نثرية وشعرية - فالحكمة أو المثل من أقرب الفنون وصولاً إلى عقل الطفل وإدراكه بسبب قصر الحكمة أو المثل وإيجازهما من ناحية والبساطة فى الأسلوب اللغوى المستعمل من ناحية أخرى.

وهذا لا يعنى أن الأمثال والحكم التى وصلتنا عبر العصور الأدبية من تاريخ أدبنا العربى كانت فى جملتها رسالة أدبية موجهة للكبار فى المقام الأول من خلال خطبة أو عظة أو منظومة أو رواية ونحو ذلك من وسائل الإبلاغ أو التدوين، ولكن الذى لا شك فيه أيضاً، أن أمثال العرب وحكمهم لم تخل من نماذج نثرية أو شعرية يفيد منها الطفل ويستمتع ببيانها، ومن الإنصاف إذن القول بأن تأثير الأمثال والحكم فى نفوس الكبار له ما يبرر تأثيره كذلك فى نفوس الصغار. وهذا يقربنا من تعريف المثل وتأثيره. فكلمة «مثل» تطلق على الحكمة السائرة، وعلى الحكاية القصيرة ذات المغزى وهى مأخوذة لغة من قولك: مثل هذا الشيء. ومثله كما تقول: شبه وشبهة فالأصل فى المثل التشبيه بواسطة الأداء اللغوى البسيط الموجز<sup>(٤٠)</sup>.

والأمثال مرآة تريك صور الأمم وقد مضت، وتقفك على أخلاقها وقد انقضت، وهى ميزان يوزن به رقى الشعوب وانحطاطها،

وسعادتها وشقاؤها، وأدبها ولغتها، ولقد أكثر العرب منها فلم يتركوا باباً إلا ولجوه، ولا طريقاً إلا وسلكوه وقد أفردوا العلماء بالتأليف، وأقدم الأمثال المأثورة هي أمثال لقمان الحكيم، «والمثل قول محكى سائر يقصد منه تشبيه حال الذى حكى فيه بحال الذى قيل لأجله، والحكمة قول رائع يتضمن حكماً صحيحاً سليماً، وكما يكون كل منهما نثراً يكون نظماً»<sup>(٤١)</sup> وفى الحديث: إن من الشعر لحكمة، أى أن فى الشعر كلاماً نافعا يمنع من الجهل والسفه وينهى عنهما، قيل أراد بها المواعظ والأمثال التى ينتفع الناس بها.. ويرى أن من الشعر لحكمة، وهو بمعنى الحكم.. وقد سمي الأعشى القصيدة المحكمة حكيمة فقال: (وغريبة تأتي الملوك حكيمة.. قد قلتها ليقال: من ذا قالها؟) والمثل لغة: «الشىء الذى يضرب لشيء مثال فيجعله مثله، وفى الصحاح: ما يضربه من الأمثال.. وقد يكون المثل بمعنى العبرة، ومائل الشىء: شابهه»<sup>(٤٢)</sup>. وفى غير موضع من سور القرآن الكريم وردت لفظة المثل ومنه: قول الله عز وجل: (يا أيها الناس ضرب مثلا فاستمعوا له)، (مثل الجنة التى وعد المتقون).

ومما يلاحظ أن الذوق العربى جعل الأمثال الحكيمة والحكم القصار ترجمة لشئون الحياة ووصف مظاهرها، ورصد الخبرات المستفادة منها، لذلك تعد الحكمة محورا للاستدلال العقلى ونقل الخبرة بين الأجيال وأشهر الحكم العربية المأثورة هي التى قال بها

أَكْثَمُ بَن صِيْفَى فِى الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِمَامِ عَلِىِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِى الْإِسْلَامِ  
وغيرهما من حكماء العرب. وقديما اتفقت مقولة الألوسى مع ابن  
رشيقي في أن العرب كانوا أتم الناس عقولا وأحلاما، وأطلقهم ألسنة  
وأوفرهم إلهاما، استتبع ذلك «أن حكمة العرب أشرف الحكم» (٤٣)  
وعلى بساطة لغة الحكمة أو المثل فهما يطلقان الخيال للمعاني  
المقصودة من وراء ضربهما، وهو خيال غير تركيبى لا يعرف المبالغة  
والإغراق والتعظيم، لأن الصورة الفنية في الأدب الحكيم تنتزع من  
شئون الحياة وخبراتها، ومن الطريف أن توجد طائفة كثيرة ومتنوعة  
من الأمثال الحكيمة نثرية وشعرية في أدبنا العربى، يدخل فيها  
عنصر الحيوان، الأمر الذى يعمق من مفهوم الأدب التهذيبى على  
ألسنة الحيوان والطيور ومدى صلاتهما المعهودة والمحبة إلى عالم  
الطفل. وفي ضوء ما تقدم يمكن القول بأن «الأدب التهذيبى» أو  
التعليمى فى الأمثال ينحو إلى افتراض من نوع ما يرمز إلى واقعة  
أو ظاهرة فى فترة زمنية من حياة المجتمع يكثر فيها الظلم.

ويميل المؤلف إلى رأى القائل أن الأمثال الحكيمة الفرضية  
«تكثر فى الأيام التى يكثر فيها الجور والاستبداد والتضييق على  
الهداة والمرشدين، فيضطرون إليها للوصول إلى أغراضهم، مع الأمن  
على حياتهم على ما فيها من الترويح عن المخاطر، ولطف المدخل،  
وجمال الفكاهة المطوية فى تضاعيفها النصحية» (٤٤) ومن الأمثلة

الفرضية: فى بيته يؤتى الحكم، وهو محكى لسان الضب. ومنه أيضا:  
أحمق من عجل. وهو عجل بن لجيم وذلك أنه قيل له: ما اسميت  
فرسك؟ ففقأ عينيه، قال سميته الأعور، فقال الشاعر: (٤٥)

رمتنى بنو عجل بداء أبيهم      وأى امرئ فى الحمق أحمق من عجل  
أليس أبوهم عار عين جواده      فصارت به الأمثال تضرب فى الجهل

ومن الأمثال النثرية التى ترتبط بحكاية أو طرفه مأثورة:

رب رمية من غير رام      ما يوم حليلة بسر  
مكره أخاك لا بطل      سبق السيف العذل

ومن الأمثال المنظومة :

لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها ،      ان كنت شهما فاتبع رأسها الذنبا

ومنه أيضا :

أن ترد الماء بماء أوفق      لا ذنب لى قد قلت للقوم استقوا

ومن كذلك قول ابو العتاهية:

والنقـرذل عليه باب      مفتاحه العجز والتوانى

ويقول بشارد بن برد:

وليس عتاب المرء للمرء نافعا      إذا لم يكن للمرء لب يعاتبه

وقال طرفه بن العبد: كلهم أروغ من ثعلب، ما أشبه الليلة  
بالبارحة. وديوان الشعر العربى كما هو معلوم، تتناثر فوق صفحاته  
منظومات غزيرة فى الحكم القصار والأمثال الحكيمة مما يمكننا من

انتخاب ما يوافق عقل الطفل وإدراكه، وهذا لا يتعارض مع شعر  
الحكمة كفرض أساسى من أغراض الشعر العربى الموجه للكبار  
وتبقى بطبيعة الحال الفروق فى التوجه واللغة لدى المتلقى.

ان استقراء الأمثال الحكيمة والحكم القصار يعطينا من السهولة  
فى الألفاظ وإعمال الخيال، وذكر خلق العالم وفنائه وأحوال الآخرة  
وصفات الخالق، والافادة من مواقف وخبرات الحياة، فالحكمة كلمة  
جامعة تلخص نظرية أو مجموعة ملاحظات وتجارب المفروض فيها  
أن يسلم بها الجميع. مثال ذلك قول المتنبى:

من يهن يسهل الهوان عليه      ما لجرح بميت إيلام  
والمثل فى تعريفه ونماذجها التى عرضنا لها، يتضمن الحكمة  
الذائعة منذ القدم وتتضمن ملاحظة عامة، غالبا ما تكون فى أسلوب  
مجازى من مثل: اليأس إحدى الراحتين. المورد كثير الزحام.  
فالحكمة والمثل يكتب لهما الخلود والنقل بين الأجيال تدوينا ورواية  
نظرا لتداولهما بين الناس وتميزهما بالدلالة الموحية الموجزة. وكثيرا  
ما تسمى الحكم القصار والأمثال بالمثل المتداول أو المثل السائر.  
ومن الثابت أن الجملة القصيرة الموجزة، أو المقطوعات ذات البحور  
الشعرية الخفيفة المجزوءة أقرب إلى عقل الطفل وإدراكه من الجملة  
الطويلة المحملة بالخيالات البعيدة والألفاظ الحوشية المبهمة.

وأدب الأمثال والحكم فى النهاية له جذوره الضاربة فى أعماق  
تاريخنا العربى. وقبل تدوين الحكم والأمثال العربية حفظ الموروث

الشعبي أدب الأمثال والحكم على نحو ما نقلناه عن الآداب القديمة البابلية والكنعانية والمصرية والهندية وغيرها، ولأهمية الأمثال فقد سارع العرب إلى تدوينها منذ أواسط القرن الأول للهجرة، إذ ألف فيه صحار العبدى أحد النسابين فى أيام معاوية بن أبى سفيان (٤١ - ٦٠هـ) كما ألف فيها عبيد بن شريه معاصره كتابا آخر، ويقول صاحب الفهرست أنه رآه فى خمسين ورقة. وإذا انتقلنا إلى القرن الثانى وجدنا التأليف فى الأمثال يكثر إذ أخذ علماء الكوفة والبصرة جميعا يهتمون بها ويؤلفون فيها، وقد وصلنا من هذا القرن كتاب أمثال العرب للمفضل الضبى. ونمضى إلى القرن الثالث لنجد الأمثال لأبى عبيد القاسم بن سلام. وما تزال المؤلفات فى الأمثال تتوالى حتى يؤلف أبو هلال العسكري كتابه «جمهرة الأمثال» ويخلفه الميدانى فيؤلف كتابه «مجمع الأمثال» وهو يقول فى مقدمته أنه رجع إلى ما يربو على خمسين كتابا.

ومن يرجع إلى هذه الكتب يجدهم يسوقون الكلمة السائرة التى تسمى مثلاً، ولا يكتفون بذلك، بل يقفون غالباً لسرد القصة أو الأسطورة التى تمخض عنها المثل وقد تتمخض عن أمثال فتروى فى تضاعيفها<sup>(٤٦)</sup>، وقد اهتم علماء الاستشراق بالأمثال العربية الحكيمة. وأبرز محاولة علمية فى هذا الشأن قام بها المستشرق الالماني جورج فيلهام فريتاخ (١٧٨٨ - ١٨٦١م) حيث توفر على إصدار موسوعة

كبرى بعنوان «أمثال العرب» فى ثلاث مجلدات ضمت ثلاثة آلاف  
وثلاثمائة وواحد وثلاثين مثلاً عربياً. والأهم من إصداره الموسوعة هو  
اضطلاع به بجهد علمى فائق رائد فى ترجمة «أمثال لقمان الحكيم»  
إلى اللاتينية نقلاً عن مخطوطه عربية موجودة بباريس<sup>(٤٧)</sup> فقد وجد  
مادتها الثرية تفيض بالفائدة وما تحمله من مقاصد أخلاقية وتعليمية  
ووعظية. وبالرغم من أن كتاب فريتاخ «أمثال العرب» له فضل يذكر  
على المكتبة العربية فإن عمدة كتب الأمثال عند العرب هو كتاب  
مجمع الأمثال للميدانى<sup>(٤٧)</sup> لأنه جمع مادة كتابه القيم بعد الرجوع  
لمطاب الأمثال العربية الأولى، فجاء كتاب الميدانى أغزر مادة وأقوى  
مضموناً فى جمعه وتأليفه، وقد بلغ عدد الأمثال التى أوردها الميدانى  
كتاباً أربعة آلاف وسبعمائة وستة وخمسين مثلاً عربياً، وهذا لا يقلل  
من دور التحقيق والترجمة اللذين قام بهما فريتاخ فى تقديم لون  
أدبى عربى إلى الآداب الإنسانية.

إن الحكم القصار والأمثال الحكيمة الموروثة تحقق الوظيفة  
اللغوية والأخلاقية باعتبارها وقفاً على الأدب التهذيبى والوعظى  
والأخلاقى، واستخدام الأسلوب اللغوى البسيط والموجز فى تلك  
الأنواع الأدبية أدى وظيفته بحيث يتعامل الطفل مع اللغة فى العبارة  
أو الجملة القصيرة الدالة وفى إيجازها الإيقاعى، وفى إطار هذا  
النمو اللغوى تعمقت فى مخيلة الطفل العربى قدرات أو ملكات التذكر



والتخيل الاسترجاعي، والاكتشاف والتعريف، والتعلم، والتجريد والقياس والإدراك.

ونستطيع القول فى النهاية إن اللطائف الحكيمة المروية من خلال قول مأثور بأسلوب المثل أو الحكمة من خلال قصة مروية على ألسنة الطير والحيوان، أو قصص خيالى، أو خرافى، تستهدف جميعا عقل الطفل ووجدانه بما يحقق المنفعة والمتعة.

ومن الثابت أن وراء كل مثل هذه الأمثال السابقة وغيرها من الأمثال قصة أو موقف أو طرفة، ومهمة كتاب الطفولة سرد تلك الأمثال الحكيمة فى قالب فنى معاصر يستفيد منه جمهور الطفولة.

### الاحاجى والطفل :

تهدف الاحاجى والألغاز فيما تهدف إلى تعليم الأطفال والكبار معاً كيف ينظرون إلى المشكلة من كل جوانبها؟. ثم يحتفظون بعد الكد والتفكير بحس فكاهى، من ثم فقيمة اللغز أو الهدف منه قيمة تعليمية وترويحية بغرض المنفعة والتسلية. كان الإنسان دائماً مفتوناً بالتشبيه التمثيلى منذ أمد طويل.. لقد أدرك أرسطو وجود علاقة بين اللغز والاستعارة، فاللغز يستخدم الأسلوب الشعرى أو فيما يقارب الشعر مثل القافية والإيقاع والجناس الاستهلالى والتشخيص والرمز والاستعارة، وهذه الامكانيات الأسلوبية فى اللغز تطورت به منذ

القرن السادس الميلادي إلى العصر الحاضر تطوراً كبيراً، فالقياسات التمثيلية المركبة أو التشبيهات التمثيلية أكثر تعقيداً، ومن إدراك عناصر اللغز الأدبي يأتي بالطبع حله.

### اللغز لغة :

الألفوزة ما يعنى به من الكلام والجمع الأغيز، اللغز جحر الضب والفار واليربوع، وألغز كلامه، وفيه عمى مراده وأضمرة على خلاف ما أظهره (٤٨) وفي اللسان: اللغز الكلام وألغز فيه: عمى مراده وأضمرة على خلاف ما أظهره واللغز من كلام فشبه معناه، مثل قول الشاعر أشده الغراء.

ولما رأيت النسر عز ابن دابه وعشش في وكره جاشت له نفسى

واللغز فى الأصل جحر ملتو للضب والفار واليربوع، والألغاز طرق تلتوى وتشكل على سالكها (٤٩) وفى معجم الأدب ورد اللغز كمصطلح من مصطلحات الأدب بمعنى: صورة الشئيين أو أكثر للتكنية عن كلمة، وكل صورة لأحد الشئيين ترمز لجزء من هذه الكلمة (٥٠) وأفرد علماء اللغة العرب فى كتبهم المعنى اللغوى لمادتي «لغز» ورصيفتها مادة «حجا»، فالحجا، مقصوده العقل والفطنة وأنشد الليث للأعشى:

اذ هي الفصن مـيـالة      تروق عيني ذى الحجا الزائر  
والجمع أحجا، قال ذو الرمة:

ليوم من الأيام شبيه طوله ذو الرأى والاحجاء مقلع الصخر  
وكلمة محجية: مخالفة المعنى للفظ، وهى الأحجية والأحجوة، وقد  
حاجيته محاجة وحجاء: فاطنته فحجوته.. ولا الأحجية بالحجيا أى  
بالأغاليظ. <sup>(٥١)</sup> ويعرف الدكتور مجدى وهبة اللغز، والاحجية فيذكر:  
«اللغز، والأحجية: سؤال يتضمن أوصافا لشيء ما ويطلب من  
المخاطب تحديد ذلك الشيء بقصد الاختبار الذهني أو الترفيه، وله  
أنواع: منها ما يصف الشيء بعبارات غامضة ويطلب معرفة  
الموصوف عن طريق القياس أو المقارنة، مثال ذلك اللغز الذى حله  
الملك أوديب حينما سأل الأسفنكس، ما هو الشيء الذى يمشى على  
أربع فى الفجر واثنين ظهرا وثلاث مساء؟ والجواب هو الإنسان فى  
فجر حياته وشبابه وشيخوخته، ومنها ما يتضمن التلاعب فى حروف  
الكلمة بالحذف أو الزيادة مثال ذلك: كلمة إذا أهمل ثانيها كانت  
اسما لحشرة تخرج طعاما شهيا، وإذا أعجم ثانيها أصبحت علما  
على شجرة تنتج ثمرا جنيا والجواب النحلة والنحلة.. ويرجع اللغز فى  
الأدب إلى عهد بعيد، فنجد مستعملا مثلا فى الأساطير الآشورية  
واليونانية القديمة حيث تصور السنة مثلا شجرة ذات اثني عشر  
غصنا، يذبل الواحد تلو الآخر، ثم ينمو من جديد، أو القطعة من نثر  
الثلج عصفورا ناصع البياض مجردا من الجناحين تزدرده فتاة  
مقطوعة اليدين (كناية عن الشمس) فيبدو إذن أن الألغاز القديمة

ذات صلة بالرموز والمجاز»<sup>(٥٢)</sup> والألغاز بناءة وليست اختبارات أو قياس البراعة فحسب كما يبدو من الأسلوب التعبيري لشكل اللغز الظاهري، بل للألغاز وظيفة أخلاقية وتعليمية شأنها شأن الأنواع الأدبية التي عرضناها في هذا الفصل، وتأثيرها في مرحلة الطفولة أقوى من أى مرحلة تالية لها، فهي تحقق راحة نفسية وعلاج سلوكي غير مقصود للميول العدوانية التي تصاحب مرحلة الطفولة المتأخرة، فالطفل عندما يحل اللغز ويفك رموزه اللغوية والذهنية يشعر بنوع من تقدير الذات يضيف للإنسان رغبة أو رغبات جديدة للاكتشاف والاستطلاع، وبالتالي إلى حفز الخيال من الناحية الفنية، أى تدبر الواقع الجمالي للغز.

واللغز من الناحية الأسلوبية كثيرا ما يكون مرتبطا بالشعر الشعبي، فاللغز قد يكون إيقاعيا جدا، أو شعرا مقفى، أو الاثنين معا، والوزن والقافية الشعرية قد يبرزان. بتحليل فني للعناصر المتقابلة أو المتضادة في اللغز، أنظر مثلاً إلى اللغز البسيط والشائع جدا الذى يقول:

(حزر فزر.. ما أقوله.. شىء كثير العيون ولا أنف له) فبالإضافة إلى القافية أو السجع، نلاحظ أن اللاحاح بتكرار الكلمات فى السطر الافتتاحي تقليد لكلام الأطفال، وتستخدم لتأكيد التقابل أو التناقض الظاهري فى السطر التالى، وليس من شك فى أن أرسطو قد فطن

إلى العلاقة الوثيقة بين فكرة اللغز من ناحية والاستعارة البلاغية (أسلوب اللغز) من ناحية أخرى، وفي ضوء ذلك يمكن القول بأن اللغز ليست مجرد أحجية لفظية تطرح للتسلية والتسرية فقط وإنما يحمل اللغز الوظيفة الأخلاقية التعليمية شأنه شأن الحكايات القصصية بأنواعها والأساطير والأمثال والوصايا والحكم، فاللغز يمكن أن يحل مشكلة ما أو ينمي معلومة أو معلومات، ويؤكد على القيم الاجتماعية والأخلاقية في المجتمع، كما يقوم اللغز بتحريك الذهن وتنمية الخيال بأسلوب نقدي ساخر، وأهم ما يميز الألغاز هو الأسلوب اللغوي البسيط في غير تعقيد أو إبهام لفظي، لأن الإبهام في اللغز يكون فيما وراء الألفاظ التي يطرحها لا في الألفاظ ذاتها، وبساطة ألفاظ اللغز وسهولتها تجمع بين الجملة الموجزة والاستعارة التمثيلية القرابية المعنى، وعندما تقترب لغة اللغز من الألفاظ الدارجة في لغة العامة يسمى باللغز الشعبي.

إن استمتاع الطفل بإلقاء اللغز المنظوم وانطلاق خياله نحو فك رموزه وحله يعدل درجة فائدة النمو اللغوي المكتسب: في إيقاعه، وإيجازه، ومن ثم يمكن أن يتوسع كتاب الطفولة في إنشاء الألغاز اللغوية، مما يحقق مكاسب النمو اللغوي والمعرفي عند الطفل وقد أفرد الابشيهي صاحب كتاب المستطرف فصلاً للألغاز في كتابه (المستطرف في كل فن مستظرف) نقتطف منه هذه الألغاز، وأهم ما

يلفت النظر فى أسلوبها اللغوى ومادتها الذهنية هو تحريك خيال  
الطفل وحفزه لإدراك مغزى اللغز، كما أن الأسلوب الشعرى المنظوم  
على بساطته يحقق مبدأ الإحساس بجمال اللغة، ومنه فى غزال:

اسم قد هويته.. ظاهر فى صروفه.. فإذا زال ربه.. زال باقى حروفه

وفى دواة :

ومرضعها ولادها بعد ذبحهم      لهب ما لذ قط لشارب  
وفى بطنها السكين والثدى رأسها      وأولادها مـذخـورة للنوائب

وفى قلم:

وأهيف مذبوح على صدر غير،      يتـرجـم عن ذى منطق وهو أبكم  
تراه قصيرا كلما طال عمره      وأضحى بليفا وهو لا يتكلم

وفى كتاب:

وذى أوجه ولكنه غير بائع      بسر ونو الوجهين للسر يظهر  
تناجيك بالأسرار أسرار وجهه      فتسمعها بالعين ما دمت تبصر

وفى الموز:

ما اسم شىء حسن شكله      تلقاه عند الناس مـوزونا  
تراه معدودا فإن زده      واوا ونونا صار مـوزونا

وفى فيل:

أيما اسم تركيبه من ثلاث      وهو نو أربع تعمـالى إلاله  
حيوان والقلب منه نبات      لم يكن عند جوعه يرعاه  
فيك تصحيفه ولكن إذا      رمت عكسا يكون لى ثلثاه (هـ)

واللافت للنظر أن الألفاظ والأحاجي - رغم ندرتها - وتوزعها بين متفرقات الكتب لم تغفل الجوانب المحببة للطفل فهي تتركز في بعض نماذجها على عالم الحيوان باعتباره عالم اثيرى لدى الأطفال، ويمكن للمبدعين المحدثين إيقاظ هذا اللون التراثي فهو «أنفع» و«أمتع» من الألفاظ العقلية المعقدة وألعاب الحسابات الآلية المستحدثة التي تنمى في الطفل المادة على حساب إهمال الروح.

#### خاتمة :

تتبعنا الجذور التراثية لأدبيات الطفولة في الأدبين الرسمى والشعبى، ووقفنا عند تحديد الأشكال الأدبية التي تتفرع منه كجنس أدبي مستقل يتصل بشجرة الأدب الكبرى، وقد أشرنا إلى الحكايات القصصية في الأدب العربى القديم ومدى عمق الصلة بين الأدبين الرسمى والشعبى فى هذا الجانب، وعرفنا أن المربيات والجوارى والأمهات والجندات كن يقصصن الحكايات وهن يجلس ومن حولهن الأطفال. وقد وصلت إلينا المأثورات القولية التي كانت تستهل بها الحكايات من مثل: (كان يا ما كان فى سالف العصر والزمان) (كان يا مكان - يا سادة يا كرام وما (يحلى) الكلام، ألا بذكر النبى عليه الصلاة والسلام). وتوارثت الأجيال العربية الناشئة مادة (محتوى) الحكايات القصصية الموروثة من عنصر الترهيب الذى طبعت عليه وجدانات الأجيال من تأثير سماع الحكايات المخيفة التي تتخللها

عناصر (الجان والشياطين والغيلان ونحوها، وقد تضاعل عنصر الترهيب فى الحكايات القصصية بتطور الحياة العربية وبدأت تميل الحكايات القصصية إلى تحقيق المنفعة بهدف تنمية الخيال وتنقيف الناشئين، كما أشرنا إلى حكايات الحيوان فى الأدب العربى القديم ولنماذج منها فى العصر الجاهلى وفى ظل الحضارة الإسلامية، وتأثيرها الفعال فى الكبار والصغار على السواء وأوضحنا كيف تنوعت حكايات الحيوان فى الأدب العربى الذى اشتمل على الحكايات الخرافية والخيالية المروية على ألسنة الحيوان والطير، واقترب بعض تلك الحكايات من الشكل الأسطورى، خاصة الحكايات التى اعتمدت فى بنيتها ومضمونها<sup>(٥٤)</sup> على مقتبسات من العهد القديم الأمر الذى يفسر تأويلات عدة مؤادها أن الأسطورة ذات طابع دينى تتصل بالعقائد. ومهما يكن من شىء فإن الحكايات القصصية بأنواعها ترتبط بالأطفال وتتوجه إليهم بما يحقق النظرة الوظيفية لأدبهم وسط عالمهم الخيالى البرىء، وفى خط مواز لتلك النظرة كانت الألفاظ والأحاجى تعمل تأثيرها وسحرها فى عقل ووجدان الصغار مثلاً يحققه عند أطفالنا الأدب الوعظى الحكيم من خلال الأمثال والوصايا، وأوردنا كذلك الشواهد الشعرية للدلالة على تحديد ملامح صورة الطفل فى التراث الشعرى، وهى غزيرة بمثل غزارة الحكايات القصصية فى الأدب القصصى الوعظى الحكيم،



والمرجح أن الشواهد الشعرية التي أوردناها كفيلة بالرد على الآراء القائلة بأن النتاج الشعري الموروث والخاص بالطفل غير كاف - بل ويزعم البعض ندرته أو عدمه - وبالتالي فلا يمكن الموازنة المصطلحية لأدب الطفل. وفي الواقع أن أدب الطفل مادته الشعرية والنثرية في الأدب الرسمي. وفي ضوء ذلك كله يمكننا القول إن أدب الطفل جنس أدبي له أصوله في التراث العربي والإسلامي ونمط من أنماط التعبير في الأدب الشعبي للأمة كذلك، أما الأهداف التعليمية (التربوية) والأخلاقية حيث ينشأ ويتوجه في سياقها في أغلب الأحوال نتاج أدب الطفل، فليس في ذلك من نقص أو تقصير، إذا لا يزعم الخبير بخصائص مرحلة الطفولة أن الأوائل لم يفتنوا إلى طبيعة ودرجة الفائدة أو التوجه المنشود في أدبيات الطفل، ويستدل على ذلك بمقولة الإمام الغزالي:

(كل لكل عبد بمعيار عقله، وزن له بميزان فهمه، حتى تسلم منه وينتفع بك، وإلا وقع الانكار لتفاوت المعيار)<sup>(٥٥)</sup>.

فالقصص الأخلاقية أو الأدب الحكيم يناسب عقل الطفل ودرجة فهمه وتصورات، وكذلك النظم التعليمي في الشعر يحقق الفائدة<sup>(٥٦)</sup> أما الترنيمة الغنائية فتحقق للطفل المتعة والتسلية وفرحة الحياة، أما الرموز اللغوية والألفاظ الجزلة والثراء الضخم في المعاني فهي تناسب الآداب الرفيعة التي تستهدف الكبار.

## صورة الطفل فى التراث الشعرى العربى :

لقى الطفل العربى من الأوائل أوجه الرعاية والعناية فى الإعداد البدنى والعقلى والوجدانى تنشئة وتربية، ففى الحديث «ريح الولد من الجنة» وقال صلى الله عليه وسلم للحسين والحسن «... وأنكم من ریحان الجنة»<sup>(٥٧)</sup>

وسبق أن أفردنا فى سياق عرض المفاهيم اللغوية والاصطلاحية للطفولة أو الناشئة، أنها تعنى إنشاء الصغير حالا فحالا إلى حد التمام، قال عز من قائل: «أو من ينشؤا فى الحلية» الآية ١٨ سورة الزخرف، فالناشئ النشء والنشأة: وإحداث الشئ وتربيته ورعايته جميعا. فالطفل فى ضوء ذلك هو المأخوذ بالحنو والتربية والتعليم والتثقيف من مهد إلى أن يبلغ الحلم.

والأدب نثره وشعره من أخص العوامل الوجدانية فى تهذيب الطفل وترقية مشاعره. والشعر من الأجناس الأدبية التى أسهمت وما تزال فى التربية الوجدانية للطفل العربى، وانطلق فن الشعر بأراجيزه ومقطعاته القصيرة يشكل البناء الروحى فى وجدان الطفل، فالمنظومات الشعرية اتكأت على العامل التعليمى كعامل حاسم يعقب مرحلة الترقيص والتطريب التى كان يتلقاها الأطفال فى مهدهم.

ولا يضير شعر الطفل أنه نظم تعليمي - في أحد مقاصده - وأن نماذجَه في معظمها تهدف إلى تلقين القيم، وأنه يحمل بين أغراضه التعاليم الدينية وأنها جميعا من الدعائم الإيجابية التي يتشكل من فوقها البناء المتكامل للإنسان الذي نستهدفه، ففي المستقبل بإمكان ذلك الكائن الصغير الذي اكتسب وتنوق قدرا من الشعر التعليمي أو التهذيبي أن يتعامل مع الأدب بمضمونه المتنوع ومستوياته اللغوية والفنية الراقية.

وقد روى عن النبي أنه قال : « لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين ». ويروى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم بنى لحسان بن ثابت في المسجد منبرا ينشد عليه الشعر. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: « الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه ». وكتب إلى أبي موسى الأشعري: « مر من قبلك بتعلم الشعر فإنه يدل على معالي الأخلاق وصواب الرأي ومعرفة الأسباب ». قال معاوية: « يجب على الرجل تأديب ولده والشعر أعلى مراتب الأدب »<sup>(٥٨)</sup>.

ولم تكتف العرب برواية الشعر وإنشاده وتعليمه في المجالس والمحافل وإنما كانوا كذلك يعلمونه الصبيان تعليما، وكانت توزع الصحف على الصبيان في المكتب ليتعلموه ويرووه، وفي ظل الإسلام ازداد اهتمام الخلفاء والأمراء والقواد بتعليم الأولاد الشعر وروايته،

وقد أفاض فى تفصيل ذلك د. ناصر الأسد فى كتابه «مصادر الشعر الجاهلى» ووثق نقوله من مصادر القرون الهجرية الأولى فى مظاهرها الأولى، ومنه مقولة عبد الملك بن مروان لمؤدب أولاده: «إرو لهم الشعر يمجدوا وينجدوا».<sup>(٥٩)</sup> وبرغم أن أرسطو هو أول من حاول فصل النظرية الجمالية عن النقد الأخلاقى، فإن نظريات العرب القدماء كانت تنسب للشعر الأهداف الأخلاقية والتعليمية بالإضافة إلى الأهداف الأخرى للشعر فى طبقته العالية وقيمته الفنية الراقية، ومن قبل أشار ابن خلدون فى مقدمته إلى أهمية الأدب التعليمى وإلى ما قالت به العرب، فى هذا الشأن، لما له فائدة فى تنمية الطباع والملكات، وهى لا تنمو فيما يرى ابن خلدون إلا بالتلقين والتكرار وعبر عن مذهب الاوائل فى تأديب الناشئين وتهذيبهم فيقول: «ومن أحسن مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد لمعلم ولده الأمين فقال: يا أحمر إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وثمره قلبه، فصير يدك عليه مبسوطه، وطاعته لك واجبه، فكن له بحيث وضعتك أمير المؤمنين، أقرئه القرآن وعرفه الأخبار، وروه الأشعار وعلمه السنن، وبصره بواقع الكلام وبدئه...»<sup>(٦٠)</sup> ويؤكد ابن خلدون على أهمية تنمية الملكات اللغوية عند الأطفال إلى أن تتأصل فيهم عن طريق التلقين اللغوى وتكرار الاستعمال، وهى رؤية ثاقبة فى مجال النمو اللغوى عند الطفل أثبتتها غير مرة بحوث علم النفس اللغوى المعاصر.

فالملكات اللغوية تصير طبعا عند الطفل والطبع لا ينمو إلا بتكرار الأفعال، وقول ابن خلدون «... اعلم أن اللغات كلها شبيهة بالصناعة إذ هي ملكات فى اللسان للعبارة عن المعانى، وجودتها ومقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها.. يسمع الصبى استعمال المفردات فى معانيها فيلقنها أولاً، ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك، واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة، ويكون كأحدهم، هكذا تصير الألسن واللغات من جيل إلى جيل، وتعلمها العجم والأطفال، وهذا معنى ما تقوله العامة من أن اللغة العربية بالطبع أى بالملكة الأولى التى أخذت عنهم، ولم يأخذوها من غيرهم»<sup>(٦١)</sup>. ومنه قول عائشة رضى الله عنها «رووا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم»<sup>(٦٢)</sup> وأزعم أن النزعة الدينية فى إطارها التربوى والأخلاقى فى الشعر العربى الموروث، وبخاصة الأشعار القصار الموزونة للصغار قد تمحورت عند اللغة فجاءت النماذج التراثية لشعر الطفل - أو حتى فى الأشعار المكتوبة عنه - فى أطف معنى وأوجز عبارة وأسهل لفظ وأقصر بحر عروضى.

ومن الأشياء المألوفة أن التطور الاجتماعى والحضارى فى البيئة العربية فى ظل الحضارة الإسلامية أسهم إلى حد كبير فى التشكيل اللغوى وفى الصورة الشعرية كذلك، يقول الجرجانى «فلما ضرب الاسلام بجيرانه واتسعت ممالك العرب وكثرت الحواضر ونزعت

البوادي إلى القرى وفشا الأدب والتظرف اختار الناس من كلام الناس آليته وأسهله، وعمدوا إلى كل شيء ذي أسماء كثيرة اختاروا أحسنها سمعا وألطفها من القلب موقعا.»<sup>(٦٢)</sup> وفي ضوء ما تقدم في إمكاننا القول بأن الأغراض الشعرية الكبرى في الشعر العربي القديم تتنوع وتتشعب في أطر جديدة بتطور الحضارة الجديدة في مرحلة إثر مرحلة وبدأ الشاعر يتخلص بالتدريج من آثار القصائد الطوال، وبخاصة القيود التقليدية في مطلع القصائد من البكاء على الرسوم والتشبيب والنسيب وغيرها، وتحول الشاعر إلى أغراض جديدة واكبت التطور الحضاري - وقتذاك - من مثل : الشعر السياسي، الشعر الديني (الصوفي والأخلاقي)، والغزل (المتجدد من مثل الغزل بالذكر) والوصف المتجدد للمنتجات الحضارية كالأدوات والصنائع المستحدثة والشعر التعليمي والوعظي وغيرها.

أما الأساليب اللغوية فهي الوعاء الذي حمل الأفكار والمضامين الجديدة فمالت الأساليب إلى السهولة والايجاز واستعمال المؤلف من معطيات البيئة الحضارية الجديدة، وفي أدبيات الطفل لجأ الشعراء إلى استعمال أسلوب الخطاب الحوارى وهم يكتبون قصائدهم في أولادهم وفي العتاب أو الرثاء وغيرهما من الأساليب المتجددة لغة وفنا. فقد جرى بعض الشعراء حوارا بينهم وبين أبنائهم ويتحدثون معهم ويبادلونهم الحديث، وهذا أكثر وقعا من

الخطاب الذى من وجهة واحدة، وقد أسماه النقاد بالمراجعة. يقول ابن حجة الحموى: «منهم من سمي هذا النوع السؤال والجواب وهو أن يحكى المتكلم مراجعة فى القول ومحاورة فى الحديث بينه وبين غيره بأوجز عبارة وألطف معنى وأسهل لفظ» (٦٤).

ومنه قول ابن الرومى فى قصيدة له عن ابنه:

أريحانة العينين والأنف والحشا      ألا ليت شعرى هل تغيرت عن عهدى  
كأنى ما استمتعت منك بضممة      ولا شمة فى ملعب لك أو مهد (٦٥)

ويلتقط المؤلف هذه المحاورة أو «المراجعة» التى قال بها ابن حجة الحموى، نقلا عن ديوان الصنوبرى، الذى يحاور وحيدته ليلى فيقول

يا ابنتى، أين غـلبت عن      رمضـان وقد حـضر  
ولقـد كنت أنسـنا      فى عـشـاياـه والبكر  
ولقـد كنت بعـت نو      م ليـاليـه بالسـهر  
واعـسـتكاف على الدعـا      ء أو الدرس للسـور

ترد عليه ليلى :

يا أبى ليس عند من      مات علم ولا خـبر  
لا هلال الصـيام ير      عى ولا الفطر ينتظر  
لا فطور ولا سـحـو      ر لنا إن دنا السـحر  
درست يا أبى المحـا      سن وانمحت الصـور (٦٦)

ومنه أيضا استعمال الأسلوب الواحد في خطاب شغرى، ومنه ما كتبه أميه بن أبي الصلت<sup>(٦٧)</sup> يعتب على ابن له فيذكر:

|                              |                              |
|------------------------------|------------------------------|
| غذوتك مولودا وعلتك يافعا     | تعل بما أدنى إليك وتنهل      |
| إذا ليلة نابتك بالشكو لم أبت | بشكواك إلا سساهرا أتململ     |
| كأنى أنا المطروق دونك بالذى  | طرقت به دونى، وعينى تهمل     |
| تخاف الردى نفسى عليك، وإنها  | لتعلم أن الموت حتم مؤجل      |
| فلما بلغت السن والغاية التى  | إليها مدى ما كنت فيك أومل    |
| جعلت جزائى منك جيبها وغلظة   | كأنك أنت المنعم المتفضل      |
| فليستك إذا لم ترع حق أبوتى   | فعلت كما الجار المجاور بفعل  |
| وسميتنى باسم المفند رأيه     | وفى رأيك التفنيد لو كنت تعقل |
| تراه موعدا للخلاف كأنه       | يرد على أهل الصواب موكل      |

لقد ألمحنا بذكر الأمثلة السابقة من المقطوعات الشعرية بفرض إظهار الأسلوب التعبيري في اللغة الشعرية في الكتابة (عن) الطفل، أما الكتابة للطفل بوجه خاص فسيعرض لها هذا المبحث بشيء من التفاصيل لرصد ظاهرة وجود نصوص عربية مدونة حول شعر الطفل بين ثنايا كتب اللغة والأدب، والأغراض الشعرية في شعرنا العربى لم تترك عالم الطفل دون الحديث عنه، حقا إن حديث القدامى من شعراء العربية عن الأولاد كان يجيء عرضا في قصائدهم الطوال في أغلب الأحيان، ولكننا نستطيع أن نلتفت إلى مقطوعات شعرية متفرقة أو أبيات متناثرة في ذخائر التراث، ومن هنا نقدر



على رصد وجود الأبناء في الأغراض الشعرية الكبرى لشعرنا القديم، ومن أهم الأغراض التي تناولها الشعراء في صدد حديثهم عن الولد: الرثاء<sup>(٦٨)</sup> والعتاب والفخر والحث على العلم والتهديب بمكارم الأخلاق، فالأولاد عند شعراء العربية القدامى هم قرّة العين، ومهجة النفس وطيور جنان الخلد، ولذلك تنوعت تلك الأغراض ومنه سنطوف حول حديقة الأدب الموروث نختار شواهدنا الشعرية، فحاتم الطائي يعمق خاصية الكرم عند غلامه:

أوقد فإن الليل ليل قر      والريح يا غلام ريح صر  
عل يرى (نارك) من يمر      أن جلبت ضيقاً فانت حر

ومنه قول لبيد في الفخر:

فبنى لنا بيتاً رقيقاً سمكه      فسما إليه كهلها وغلامها

ومنه أيضاً هذا البيت الشهير لباشمة بن حزن النهشلي:

وليس يهلك منا سيّد أبداً      إلا افتلينا غلاماً سيّداً فينا

وفي جانب الفخر يقول عمر بن كاثوم في معلقته: (٦٩)

ألا يجهلن أحد علينا      فنجهل فوق جهل الجاهلينا  
إذا بلغ الرضيع لنا فطاماً      تخر له الجبابر ساجدينّا

وغير هذ الفخر القبلي، تقول أعرابية في رثاء ابن لها:

تركنتني في الدار لي وحشة      قد ذل من ليس له ناصر

ومنه أيضا رثاء أعرابي في ولد له:

سأبكيك ما هبت رياح من الصبا وما طلعت شمس وما ضاء كوكب

ومنه قول الصنوبري: (٧٠)

كنت القسري العين إذا كنت لي      تحلو أحاديثي وأخبياري  
وكان شعري يتغنى به      فأستحسننت للنوح أشعاري

وصاحب العقد الفريد في ذلك يذكر: (٧١)

أفرخ جنان الخلد طرت بمهجتي      وليس سوى قصر الضريح له وكر

ويقول ابن الرومي:

وأولادنا مثل الجوارح أيها      فقدناه كان الفاجع البين فقد  
لكل مكان لايسد اختلاله      مكان أخيه من جزوع ولا جلد  
هل العين بعد السمع تكفى مكانه      أم السمع بعد العين تهدي كما تهدي (٧٢)

ولو انتقلنا لى لون آخر من الألوان الشعرية التى عبر عنها

الشعراء القدامى عن وصف أحوالهم تجاه الأبناء، سنجد مثل هذه

القصة الشعرية الطريفة فى المستطرف:

أحب بنييتى وودت أنى      دفنت بنييتى فى قاع لحد  
وما بى أن تهون على لكن      مخافة أن تذوق الذل بعدى  
فان زوجتها رجلا فقيرا      أراها عنده والهم عندى  
وان زوجتها رجلا غنيا      فيلطم خدها ويسب جدى  
سألت الله يأخذها قريبا      ولو كانت أحب الناس عندى

ومن خشية الوالد على المستقبل الذى ينتظر ابنته، نلاحظ الاهتمام  
العاقل بالأولاد فى حكمة مقرونة بالسعادة التى تلغهم، وفى ذلك يقول  
بن الجهم القرشى:

من وراء الشباب شيب حثيث الـ      سير والليل مزعج بنهار  
ومع الصحة السقام وحال الـ      عز مقرونة بحال الصغار  
ولعل ضادية حطان بن المعلى خير ما عبر به الشعراء القدامى  
عن منزلة الطفل، فالحنو عليه والرعاية له. يقول حطان بن  
المعلى: (٧٣).

أنزلنى الدهر على حكمه      من شامخ عال إلى خفض  
وغالنى الدهر بوفر الغنى      فليس لى مال سوى عرضى  
أبكأنى الدهر ويا ربما      أضحكنى الدهر بما يرضى  
لولا بنيات كزغب القطا      رددن من بعض إلى بعض  
لكان لى مضطرب واسع      فى الأرض ذات الطول والعرض  
وإنما أولادنا بيننا      أكبادنا تمشى على الأرض

وابن الرومى عقد مزاجه رائعة بين الربيع والابناء فيذكر:

رياض تخايل الأرض فيها      خيلاء الفتاة فى الأبراد  
منظر معجب، تحية أنف      ريحها ريح طيب الأولاد (٧٤)

وفى مجال الاعتذار والاستعطاف كتب الحطيئة هذه الأبيات  
وأرسلها من سجنه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وكان قد أمر  
بسجنه لهجائه أمه وأبيه وامراته، وفى أبيات جمعت بين الاعتذار  
والاستعطاف بالأطفال أرسل يقول: (٧٥)

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ      حمر الحواصل لا ماء ولا شجر  
القيت كاسبهم في قعر مظلمة      فاغفر عليك سلام الله يا عمر  
أنت الأمام الذى من صاحبه      ألفت إليك مقاليد النهى البشر  
ما أثروك بها إذا قدموك لها      لا بل لأنفسهم قد كانت الأثر

ومن الذين عبروا من اتتلاف العلاقة بين الشعر والطفل: ابن  
رشيقي القيروانى فى أبيات تقول:

الشعر شىء حسن      ليس له من حـرج  
فـعلمـوا أولادكم      عـقـار طـب المـهـج (٧٦)

وتكاد تجمع المنظومة الشعرية السابقة وظائف الشعر الذى  
نستهدف تعميق مفاهيمه وتوجيهاته لاستثارة العوامل الوجدانية عند  
الأطفال فالبيت الأخير من المقطوعة القائل فى بساطة واضحة:  
فـعلمـوا أولادكم      عـقـار طـب المـهـج

نلاحظ أنه يسلمنا فى رفق إلى تحقيق النظرية الوظيفية من أدب  
الطفل: تعلم وتذوق وبناء للوجدان، على جانب آخر من الأغراض  
الشعرية المستحدثة المنظومات التعليمية التى أحسن بها الشاعر  
العربى القديم فى إطار التحول الاجتماعى والحضارى العربى، ويقول  
الشاعر مشيرا إلى الأدوات (المحلات)، وسميت المحلات لأنها من  
كانت مع الإنسان حيثما حل وارتحل:

ان المحلات ست فاسمعن لها      الزند والدلو والسكين والفأس  
والقدر والزق لا تبغى بها عوضا      فحيث ما كن كان الناس والبأس (٧٧)

ومنه ما يحمل العظة مثل قول بديع الزمان الهمذاني:  
ويحك هذا الزمان زور      فلا يفرنك الفرور  
لا تلتزم حاله ولكن      در بالليالي كما تدور (٧٨)

ومنه أيضا يقول صاحب بن عباد:

الزم الصدق انه      حيلة العلم والأدب  
كذب المرء شينه      لعن الله من كذب (٧٩)

وتوسع القدماء من رجاز وشعراء وبلغاء في نظم العظات  
والنصائح في أسلوب شعري يحمل القيم الأخلاقية في اطار الأدب  
التنبيضي يقول الشاعر: (٨٠)

يا مغرقا في أدب الدرس      أفضل منه أدب النفس (٨١)

وقديما وصي (يعرب قحطان) أولاد فقال:

بنى أبوكم لم يعد عما      به وصاه قحطان بن هود  
فوصاكم بما وصى أباكم      أبوه عن أبيه عن الجدود  
أذيعوا العلم ثم تعلموه      فما ذو العلم كالكل البليد

ومنه قول طرفة بن العبد:

إذا كنت في حاجة مرسلا      فارسل حكيما ولا توصه  
وإذا ناصح منك يوما دنا      فلا تنأ عنه ولا تقصه  
ولا تذكر الدهر في مجلس      حديثا إذا أتت لم تحسه

ومنه نصيحة سيفان بن عيينة لولده:

بنى، ان البر شيء هين      وجهه طليق وكلام لين

أما عبده الطيب فيعمق في وصيته لأولاده الحكمة فيذكر:

أوصيكم تقوى الإله فإنه يعطى الرغائب من يشاء ويمنع

ومنه أيضا وصية «سبيعة بنت الأحب بن عبلان» لابن لها تعظم

عليه حرمة مكة فتذكر وهي تنصحه بتلك الأبيات:

|                   |                      |
|-------------------|----------------------|
| ابنى لا يظلم بمكة | لا الضغير ولا الكبير |
| واحفظ محارمها     | بنى ولا يفرنك الفرور |
| ابنى من يظلم بمكة | يلق اطراف الشـرور    |

وفي الحث على الجد بهدف المجد يقول عمر بن الأهتم:

|                        |                              |
|------------------------|------------------------------|
| وان المجد أوله وعـور   | ومصدر غبه كرم وخير           |
| وانك لن تنال المجد حتى | تجود بما يضمن به الضمير (٨٢) |

ومحبة الأطفال والعطف عليهم والحرص على حاضرهم وتأمين مستقبلهم من أهم الجوانب التي التفت إليها كذلك ديوان الشعر العربي، وقد كشفت «ضادية» حطان بن المعلى، «ولامية» أمية بن الصلت، وقصائد الرثاء وغيرها من الأغراض التي تناولت الأطفال عن اهتمام بالغ بالأبناء في ديوان الشعر العربي، وبين يدي المؤلف خاصية أخرى يطرحها في هذا المجال وهي إظهار الشاعر العربي المسلم لمفهوم المحبة والحنو والعطف على «البنات» لأن البنات أحوج من الصبيان إلى الرعاية والعطف نظرا لأنهن خلقن بحاجة متصلة إلى الحماية والرقّة والحنان من الأبوين بل ومن المحيطين بهن جميعا.

قال عز من قائل «وليخش الذين الذين تركوا من خلفهم ذرية  
ضعافا خافوا عليهم، فليتقوا الله، وليقولوا قولا سديدا».

وقد غنى الآباء من الشعراء العرب للبنات، يقول الشاعر  
الاسلامي اسحاق بن خلف في مقطوعة طريفة:

|                              |                                   |
|------------------------------|-----------------------------------|
| لولا أميمة لم اجزع من العدم  | ولم أقاس الدجى فى حندس الظلم      |
| وزادنى رغبة فى العيش معرفتى  | أن اليتيمة يجفوها ذوو الرحم       |
| أحاذر الفقر يوما أن يلم بها  | فيهتك الستر عن لحم على وضم        |
| تهوى حياتى، وأهوى موتها شفقا | والموت أكرم نزال على الحرم        |
| اخشى فظاظة عم، أو جفاء أخ    | وكنت أبقى عليها من أذى الكلم (٨٣) |

وعندما كتب قطرى بن الفجاءة إلى ابن خلدون القنائى يستدعيه  
لمشاركته قتال رجال الخوارج للدولة الأموية، اعتذر إليه فى الأبيات  
التالية فيذكر (٨٤):

|                           |                          |
|---------------------------|--------------------------|
| لقد زاد الحياة إلى حبا    | بناتى، أنهن من الضعاف    |
| أحاذر أن يرين الفقر بعدى  | وأن يشربن رتقا بعد صافى  |
| وان يعرين إن كسى الجوارى  | فتنبو العين عن كرم عجاف  |
| ولولا ذاك قد سومت مهري    | وفى الرحمن للضعفاء كافى  |
| أبانا، من لنا إن غسبت عنا | وصار الحى بعدك فى اختلاف |

وقال أعرابى لعمر ابن هبيرة الغزارى يستعطفه رعاية أولاده  
الفقراء من فيض ثروته فيذكر:

أصلحك الله قل ما بيدي      فما أطيق العيال إذا كثروا  
رجوك للدهر أن تكون لهم      غيث سحاب إن خانهم مطر (٨٥)

وفى معنى ما قصدنا أنشد الرياشي هذا البيت لأعرابي:

زينها الله في الفؤاد كما      زين في عين والد ولد

ومن الصور الشعرية الطريقة التي أنشدها أبو فرعون الساسي

في أطفاله يقول مرتجزاً وهو يصور البؤس الذي يعيشونه:

|                        |                        |
|------------------------|------------------------|
| وصبية مثل صفار الذر    | جاءهم البرد وهو بشر    |
| بغير قميص وبغير أزر    | وبعضهم ملتصق بصدري     |
| وبعضهم ملتصق بظهرى     | وبعضهم منحجر بحجرى     |
| إذا بكوا عللتهم بالفجر | حتى إذا لاح عمود الفجر |
| ولاحت الشمس خرجت أسرى  | عنهم وحلوا أصول الجدر  |

كأنهم خفافس في جحر (٨٦)

وقالت أم ثواب الهزلية في ولد لها:

ربيته وهو مثل الفرخ أعظمه      أم الطعام ترى في ريشة زغباً

وليس أدق مما صور الشاعر العربي في ضرورة وفاء الأبناء

للآباء، وعن دوام الصلة وفعل الخير يقول أبو رباط لابنه: (٨٧)

|                            |                                 |
|----------------------------|---------------------------------|
| رأيت (رباط) حين تم شبابه   | وولى شباب ليس فى بره عتب        |
| إذا كان أولاد الرجال مرارة | فأنت الحلال الطو والبارد العذب  |
| لنا جانب منه أنيق وجانب    | شديد على الأعداء مركبه صعب      |
| وتأخذ هذه المكارم هزة      | كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب |



ولم ينس الشاعر العربى الإشارة إلى الحكاية القصصية حول  
الطير والحيوان فى مناسبات عديدة، وفى كتب الأمالى للقالى،  
وأغانى الأصفهانى، والبيان والتبيين للجاحظ، وحياة الحيوان  
للميرى وغيرها من كتب اللغة والأدب طرائف ونوادر وألغاز تحرك  
خيال الطفل بخاصة، والإنسان بعامة، ومنه أبيات أنشدها العباس  
بن الأحنف فى مجلس الرشيد يقصها الأصمعى فيذكر: (٨٨)

لو أن صورة من أهوى ممثلة      وصرتى لاجتمعنا فى الجدار معا  
إذا تأملتنا ألفيتنا عجبا      إلفان ما افترقنا يوما ولا اجتماعا

وقيل للأصمعى ما معنى قول أمية بن أبى الصلت:

وما ذاك إلا الديك شارب خمرة      نديم الغراب لا يمل الحوانيا  
فلما استقل الصبح نادى بصوته      ألا من غرب هل رددت ردائيا

فقال الأصمعى: (إن العرب كانت تزعم أن الديك فى الزمان الأول  
كان ذا جناح يطير فى الجو وأن الغراب كان ذا جناح كجناح الديك  
لا يطير به، وإنهما تتادما ذات ليلة فى حانة يشربان فنقد شرابهما  
فقال الغراب للديك: لو أعرتنى جناحك لآتيك بشراب، فأعاره جناحه  
فطار ولم يرجع، فزعموا أن الديك إنما يصيح عند الفجر استدعاء  
لجناحه من الغراب) (٨٩). ومن الطرائف الشعرية ذات العلاقة بعالم  
الطفل هذا الموقف النادر الذى يحكيه الشاعر العربى الحطيئة فى  
حوارية بينه وبين ولده الصغير، من قصيدته الشهيرة التى مطلعها:

وطاوى ثلاث عاصب البطن مرمل      ببیداء لم يعرف بها ساكن رسما  
فالحطيئة وأولاده لم يذوقوا طعاما منذ ثلاث ليال، وقد عصب  
بطنه من الجوع، وحينما رأى شبعا ضعيفا من بعيد كثر همه  
وحزنه:

رأى شبعا وسط الظلام فراعته      فلما رأى ضيفا تشمر واهتما  
وقال هيا رياه ضيف ولا قرى      بحقك لا تحرمه تاليلة اللحم

ثم يأتى موقف ابنه على هذا النحو:

فقال ابنه لما رآه بحيرة      آيا أبت أذبحنى ويسر له طعاما  
ولا تعتذر بالعدم على الذى ترى      يظن لنا مالا فيوسعنا ذما

ويهم الحطيئة بذبح ولده، كأنه يسترفد قصة إبراهيم وإسماعيل  
عليهما السلام، لولا أن رأى قطيعا من الأتн الوحشية عن بعد كأنما  
أرسلتها العناية الإلهية فداء للصبي الصغير). (٩٠)

ولم تغفل الحضارة الإسلامية أهمية المنظومات الشعرية التربوية  
للطفل. يقول ابن سينا فى كتابه السياسة: (من الضرورى البدء  
بتهديب الطفل وتعويده ممدوح الخصال منذ الفطام). وما رواه  
الجاحظ فى البيان والتبين: (.. علموا أولادكم العوم والفروسية،  
وروهم ما سار من المثل وما حسن من الشعر.. نعم ما تعلمته العرب  
الأبيات من الشعر يقدمها الرجل أمام حاجته فيستنزل بها الكريم،  
ويستعطف بها اللئيم). ولحث الطفل العربى على اتقان ملكة من

ملكات وصنعة من الصناعات قال الملهب لبنيه: (يا بنى لا يقعدن أحدكم السوق، فإن كنتم قاعنين فأنى ررأد أو سراج أو رواق)<sup>(٩١)</sup>. وكانت مظاهر الحفاوة بالطفل العربى تبدو جلية فى الاتجاه الوجدانى بدرجة تفوق الاتجاه العقلى إلى حد ما، ومن ذلك نلحظ دوران النظرية التربوية الاسلامية حول الاطار الوجدانى فى العقيدة والأخلاق فى منهج يقترب من الاتجاه العقلى، والأدب ديوان العرب عمق ذلك المفهوم بتأثيراته الوجدانية، ومنه أن كان الطفل يذهب إلى المكتبات (الكتاب) وسنه قريب من السابعة ثم يقضى ما يقرب من ثلاث سنوات أو أربع فى استظهار القرآن والوقوف على أصول الدين وتعلم بعض مبادئ اللغة والشعر.. وقد لاحظ «ابن جبير» أن تمارين الكتابة التى كانت تعطى للتلاميذ كانت من الشعر.

يقول ابن سينا فى أرجوزة طويلة حول الطفل:

ناغنه بالأصوات فى تعلم      كيما تدربه على التكلم  
وامنعه أن يقصد أو أن يسأل      حتى تراه يفعة قد اعتلى

والارجوزة غاصة بالنصائح المقصودة لتهديب الأبناء وغرس الخصال الحميدة فى نفوسهم وهى على طولها (تقع فى ألف وثلاثمائة وست وعشرين بيتا) تعمق العادات الحمودة والآداب السليمة عند الطفل بأسلوب تعليمى موجه.. كأنما عبر الفلاسفة عن ترجمتهم للنظرية الاسلامية فى التربية والتى تتمحور حول العقيدة

والأخلاق وفى الحديث ما يوافق تلك الرؤية الدينية والأخلاقية.

«وإنما الشعر كلام، فحسنه حسن، وقبيحه قبيح»<sup>(٩٢)</sup> وفى ذلك قال المتنبى:

وما الحسن فى وجه الفتى وشرفا له إذا لم يكن فى فعله والخلائق

وقد حرص العرب على تنمية الخصال الحميدة فى الطفل كالشجاعة والكرم والعطف والشهادة والنخوة وغيرها من الخصائص الإيجابية فى الشخصية العربية، وذلك عن طريق أشعارهم وأمثالهم وحكمهم وقصصهم. والإمام الغزالى خير من عبر عن الفلسفة الأخلاقية فى الإسلام، فكتابه «إحياء علوم الدين»، ورسائله المعنونة «أيها الولد المحب» وكتابات المتفرقة تعد ترجمة للفكرة الدينية والأخلاقية الدائرة حول الأدب بمعناه التهذيبى ومعناه الفنى. يقول الغزالى:

«لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات، ويستشهد هنا بالحديث النبوى: حسنوا أخلاقكم» و«مانحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن»<sup>(٩٣)</sup>.

ويكشف الغزالى عن موقفه من الأنواع الأدبية فى إطار هجومه على المرذول والماجن ونحوهما من فنون الأدب، فيحذر من أشعار الهوى والعشق والمجون وأهله عندما قال «ويحفظ (أى يبعد الطفل) من الأشعار التى فيها ذكر العشق وأهله»<sup>(٩٤)</sup>.

وفى ضوء ذلك قال د. طه حسين:

(.. أنا أعلم حق العلم أن من المتقدمين من كان يعدل عن رواية الفاحش من الشعر سواء أكان فحشه مؤذيا للعاطفة الدينية أو للأخلاق والأدب).

ولا يضير الطفل أو يقلل من طبيعة الأنواع الأدبية الموجهة له أنها تقوم فى أساسها على ركيزة روحية (دينية وأخلاقية) وبأسلوب تهذيبى فيه التثقيف والتعليم أكثر مما فيه من فنية عالية. ويعبر البوصيرى (٦٠٨ - ٦٩٥هـ) عن أثر التنشئة على طبع الإنسان من زمن الطفل فى مرحلته الأولى، من هذا البيت الشهير الذى أورده مطولته (البردة):

والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تطفمه ينظم

وإذا كان فن الرجز قد نشأ فى أحد مقاصده لهدف لغوى فى العصر الجاهلى، فإن العصر العباسى توسع فى استعمال البحور الخفيفة والقصيرة والمجزوءة كالمجتث والمقتضب والمضارع، بل واستحدث العباسيون المزدوج والمسمط أما المزدوج فلعل أول من استخدمه بشار بن برد، وأخذ الشعراء يستخدمونه من حوله ومن بعده فى الشعر التعليمى كما نرى فى قصيدة بشر بن المعتمر التى رواها الجاحظ فى كتاب الحيوان<sup>(٩٥)</sup>.. وسبق أن ذكرنا فى تتبع نشأة وأغراض الأشعار القصار فى الأدب العربى أن كانت العرب تقول

الرجز فى الحرب والحداء والمفاخرة وما جرى هذا المجرى، فتأتى من آيات يسيرة، فكان الأغلب العجلى أول من قصد الرجز، ثم سلك الناس بعده طريقته<sup>(٩٦)</sup> وقد استتبع التقاء العرب بالثقافات الهندية والفارسية واليونانية فى زمن الحضارة الاسلامية الزاهرة، التجديد فى استعمال البحور الشعرية وبالتالى الأغراض التى كان يقصد إليها الرجاز الشعراء وظهر الميل إلى استخدام الأوزان المجزوءة بتأثير ازدهار الموسيقى والغناء فى الأمصار فعرفوا الخمس والمزج.

وقد اختار اصحاب الشعر التعليمى القالب الأخير لشعرهم، وكأنا أغرتهم وفرة الموسيقى فيه، حتى «تتلاقى وما فى معانيهم من جفاف معرفة الحكمة.. أما الأسلوب فهو أسلوب مبسط استطاعوا بذوقهم الحضارى الرقيق أن يحدثوه، فإذا لغته أشد ما تكون نقاء». وهذا لم يمنع ندرة الاستعمال لبعض تلك البحور منه قول مسلم بن الوليد: (٩٧).

يا أيها المعمود      قد شفقك الصدود

وله أيضا من تلك الأوزان المقتضبة:

نبأ بك الوساد      وامتنع الرقاد

وتحقيقا للفائدة من استعمال الرجاز الشعراء للبحور القصيرة فى عالم الشعر التعليمى وما يتضمنه من معارف وعظات وأمثال وحكم الناشئين، وما فى هذه البحور الخفيفة من إيقاع موسيقى ولغة

موزونة سهلة - يوافقان عقل الطفل وإدراكه - نظم إبان بن عبد الحميد اللاحقى كليلة ودمنة شعراً يقول فى مقدمته:

|                     |                          |
|---------------------|--------------------------|
| هذا كتاب أدب ومحنة  | وهو الذى يدعى كليلتودمنة |
| فيه ضلالات وفيه رشد | وهو كتاب وضعته الهند     |
| فوضعوا آداب كل عالم | حكاية عن ألسن البهائم    |

كما تضمن كتاب الأوراق للصولى منظومات شعرية طويلة تشمل الأدب الوعظى أو الأدب الحكيم من أمثال ووصايا وعظات وتأديبات، من التى كتبها إبان بن عبد الحميد ترجمة لكيلة ودمنه شعراً<sup>(٩٨)</sup>.

ولم يكن ابن اللاحقى وحده، هو الذى نظم كليلة ودمنه شعراً، بل اقتفى أثره شعراء عديدون منهم الشاعر المصرى الأسعد بن ممت (١٦٠هـ) وقبل ذلك بنحو قرن محمد بن صالح العباسى المعروف بابن الهبارية (٥٠٤هـ) صاحب كتاب «نتائج الفطنة فى نظم كلية ودمنة»، ورصيفه الصادح والباغم الذى سار فى تأليفه على أسلوب كيلة ودمنة يقول ابن الهبارية فى نتائج الفطنة وهو يرتجى:

|              |                             |
|--------------|-----------------------------|
| هذا كتاب حسن | تحرار فيه الفطن             |
| قضيت فيه مدة | عشر سنين عمده               |
| بيوته الفان  | جميعها معان <sup>(٩٩)</sup> |

جانب آخر له أهميته للطفل وهو توظيف مادة الطير والحيوان على ألسنة الشعراء، فمن الضرورى الإشارة إلى أهمية ولع الطفل بالحيوان والطير ولذلك تناثرت فى ديوان الشعر العربى منظومات

شعرية تصف الطيور والحيوانات على نحو ما عبر عن ذلك فى رحلات الصيد والطرديات، ووصف عجائب المخلوقات العديد من شعراء العربية القدامى.

وعلى أية حال فقد تناول د. طه حسين فى الجزء الثانى من كتابه «حديث الأربعاء» ريادة ابان بن عبد الحميد اللاحقى لفن الشعر التعليمى فيذكر: «أنه ابتكر فى الأدب العربى فنا لم يتعاطه أحد من قبله، وهو فن الشعر التعليمى وهو فن ليس له فى نفسه قيمة أدبية، ولا سيما فى العصور المتحضرة» (١٠٠).

والعبارة التى قال بها د. طه حسين لا يمكن قبولها على إطلاقها لأنه من الظلم الواضح أن نصدر أحكامنا على المنظوم الشعرى التعليمى بنفس الأحكام التى نصدرها على الشعر فى أغراضه الأخرى أو فى طبقته العالية بمضمونه وبنيته اللغوية.

كما أن العصور المتحضرة فى أزهى فترات الحضارات الإنسانية ازدهر خلالها الشعر التعليمى مثل الحضارة الهندية والفرعونية واليونانية، فهى لا تقصد إلى الجمال الفنى فى الشعر بقدر ما تهدف إلى التعليم والتهديب والتسلية، والطفل بطبيعته يميل إلى المنظومات القصيرة يرددها ويفيد منها كما أفاد منها د. طه حسين - ذاته - وهو فتى على حد قوله حول تلك المنظومات فيذكر: (وكنا نروى هذه المنظومات التى حفظناها فى الأزهر أيام الصبا..) (١٠١) لقد كان



الشعر التعليمى هو الوعاء المفضل للعلوم على نحو ما هو معروف، كما أنه استشهد به لاثبات المعانى<sup>(١٠٢)</sup> ولو عدنا إلى إبان اللاحق باعتباره مخترع الفن التعليمى حينما نظم كيلة ودمنة بالشعر، وليسهل على هؤلاء الأطفال المتعة من نظم الحكايات والإفادة من مضامينها فى أسلوب تعليمى سهل، ألا وهو الالتفات إلى حكايات الحيوان والطير وعجائب المخلوقات، وهى من المخلوقات المحببة لعالم الطفل والمحفة لخياله، يقول إبان بن عبد الحميد وهو يستهل نظمه لكيلة ودمنة:

|                        |                           |
|------------------------|---------------------------|
| هذا كتاب أدب ومحنة     | وهو الذى يدعى مليلة ودمنة |
| فيه ضلالات وفيه رشد    | وهو كتاب وضعته الهند      |
| فوضعوأ أدا ب كل عالم   | حكاية عن ألسن البهائم     |
| فالحكماء يعرفون فضله   | والسخفاء يشتهون هزله      |
| وهو على ذلك يسير الحفظ | لذ على اللسان عند اللفظ   |

وانظر كيف افتتح باب الأسد والثور:

|                         |                           |
|-------------------------|---------------------------|
| وإن من كان دنىء النفس   | يرضى من الأرفع بالأخس     |
| كمثل الكلب الشقى البائس | يفرح بالعظم العتيق اليابس |
| وإن أهل الفضل لا يرضيهم | شئ إذا ما كان لا يغنيهم   |
| كالأسد الذى يصيد الأرنب | ثم يرى العير المجد هربا   |
| فيرسل الأرنب من أظفاره  | ويتبع العير على أدباره    |
| والكلب من دقته ترضيه    | بلقمة نقذفها فى فيه       |

وفى تاريخ الأدب العربى من الأمثال والحكم والعظات والنصائح الشعرية التى سارت فى خط مواز لمثيلاتها فى الفنون النثرية، فمنها

ما نظمه الرجاز والشعراء لسائر المتلقين (صغارا وكبارا) ومنه  
اختص به احدهما دون الآخر.

ومنه قول محمود الوراق:

|                           |                                 |
|---------------------------|---------------------------------|
| رأيت صلاح المرء يصلح أهله | ويعديهم داء الفساد إذا فسد      |
| يعظم في الدنيا بفضل صلاحه | ويحفظ بعد الموت في الأهل والولد |

ومن شعر اليزيدي:

|                              |                           |
|------------------------------|---------------------------|
| إذا نكبات الدهر لم تعظ الفتى | وأفزع منها لم تعظه عواذله |
| ومن لم يؤدبه أبوه وأمـه      | تؤدبه روعات الردى وزلازله |
| فدع عنك ما لا تستطيع ولا تطع | هواك ولا يغلب بحقق باطله  |

وجادت قريحة المتنبي بالأمثال الشعرية والحكم التي أودعها  
شعره ومنها قوله:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

وهذا جانب آخر نكمل به ملامح صورة الطفل في الشعر العربي  
الموروث، وهو وصف للحظات السفر أو الاغتراب عن الطفل، ومنه  
تذكر كاتب الأمير المنصور بن عامر وهو الشاعر ابو عمرو بن دراج  
القسطلي إذا يذكر ابنه وقد تركه لحظة سفره: (١٠٢).

|                            |                             |
|----------------------------|-----------------------------|
| ابني لا تذهب بنفسك حسرة    | عن غول رحلى منجدا أو مغوراً |
| فلئن تركت الليل فوقى راجيا | فلقد لقيت الصبح بعدك أزهرأ  |
| وحلت أرضا بدلت حشاؤها      | ذهبا يرف لناظري جوهرا       |

ومنه لابن دراج أيضا يصف فراقه لزوجته وابنه فيذكر في لحظة

الوداع: (١٠٤).

|                             |                             |
|-----------------------------|-----------------------------|
| ولما تدانث للوداع وقد هُفَا | بصيرى منها أنه وزفير        |
| تناشدنى عهد المودة والهوى   | وفى المهد مبغوم النداء صغير |
| عبي بمرجوع الخطاب، ولفظه    | بموقع أهواء النفوس خبير     |
| تبوأ ممنوع القلوب ومهدت     | له أذرع محفوفة ونحور        |

ومنه أيضا قوله الأعشى فى حوارية مع ابنته وهو على

سفر: (١٠٥).

|                            |                               |
|----------------------------|-------------------------------|
| تقول بنتى وقد قربت مرتحلا  | يا رب جنب أبى الأوصاب والوجعا |
| عليك مثل الذى صليت فاغتمضى | نوما فإن لجنب الماء مضطجعا    |

كما أحس العربى ببصريته بفرحة الطفل للقمر إذا ما نظر إليه  
كأنما تنعكس صفحة وجه الطفل الجميل (حادر) على بدر السماء،  
فألصبى عندما يرى القمر يهش له، وفى ذلك يقول الشاعر (١٠٦).

وحادر قال لى قولا قنعت به لو كنت أعلم أنى يطلع القمر

وفى استنفار الناشئة للجهاد والقيادة، كانت صورة مضيئة فى  
هذا الجانب من أغراض الشعراء ومنه قول لبىد: (١٠٧).

تطير عدايد الاشتراك شفعا ووترا والزعامسة للغلام

ومنه أنشد العباسى: (١٠٨)

قلل الأطفال آل بكر يجيبوا من دعاهم للحرب عند البراز

ويعد، إن التوفر على إيرادنا للشواهد التراثية السابقة من ديوان

الشعر العربى فى الأغراض المتنوعة (عن) الطفل بهدف تأكيد وجود شخصية «الطفل» فى نسيج الشعر العربى، رجزه وقصيده، ولا يزعم المؤلف إنه أتى بحصر واف لكافة الأشعار التراثية عن الطفل لندرة المصادر والمراجع، بل عدمها - مستقلة - فى مجال ديوان الطفل العربى، وإنما اقتضى ذلك الاجتهاد فى استقراء متفرقات أمهات كتب اللغة والأدب والأخبار لاستخراج البيت أو البيتين أو المقطوعة فى أحسن الأحوال وبهدف التنظير النقدى لأدبيات الطفولة.

وليس من شك فى أن صورة الطفل فى التراث الشعرى العربى حظيت على نحو ما بمكانه لا بأس بها عند الرجاز والشعراء، وأزعم أنها مكانه إيجابية فى أغلبها (باستثناء) أشعار الغزل الشاذ فى الغلمان، وهو كلون طارئ اندرج تحت فن الغزل بنوعية العفيف والصريح، ولكن هذا الغزل الشاذ أو الغزل المذكر فى الصبيان والغلمان طمست أغراضه من حياة الجماعة العربية وإن بقيت آثاره تنعكس بالسلب على حياة بعض الصبية الأطفال فى طفولتهم المتأخرة وهم يعملون فى بيوت الخلفاء والأمراء والقواد والأثرياء فى أخريات العصر العباسى وعصور الدويلات والطوائف.

ومما يرويه فى ذلك صاحب الأغاني: «دخل على ابن وهب يوما ومعه صاحب له، غلامان أمردان فقالا له لقد تحاكمنا إليك أينما أجمل

وجها وأحسن جسما: وجعلنا لك أجر حكمك أن تختار أينما حكمت له  
ف... ثم مال على الآخر ثم قال:

|                      |                         |
|----------------------|-------------------------|
| رئمان جاء... فحكمانى | لاحكم قاض ولا أمير      |
| هذا كشمس الضحى جمالا | وذا كبدر الدجى المنير   |
| فكان منى ومن قـرـينى | إليهما وثبة المغير      |
| فمن رأى حاكما كحكمى  | أعظم جورا بلا نكير(١٠٩) |

ومنه أيضا ما يرويه أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني:

كان أبو محمد التيمي يهوى غلاما، وكان الغلام يهوى جارية  
فكان بها مشغولا عنه فقال التيمي في ذلك:

|                       |                          |
|-----------------------|--------------------------|
| ويلى على أغـيـد ممكور | وساحر ليس بمسحور         |
| تؤثره الحور علينا كما | تؤثره نحن على الحور(١١٠) |

وممن تغزلوا بالغلمان أيضا مطيع بن أياس

|                 |                 |
|-----------------|-----------------|
| وليس يعـتـم إلا | سكران مع سكران  |
| يسقيه كلام غلام | كأنه غصنان(١١١) |

ومنه قول البحتري يتغزل في غلام: (١١٢)

|                 |                     |
|-----------------|---------------------|
| نبتت لحية (شقر) | أن شقيقت النفس بعدى |
| حلفت، كيف اتتـه | قبل أن ينجز وعدي    |

وعلى هذا النحو الشاذ تغزل الشعراء في الغلمان، ولم يكتب لمثل  
هذا الغرض الذبوع والاستمرار، واتجه الشعراء - يومئذ - إلى

الغزل بنوعيه العفيف والصريح، وارتبط الأخير في أغلب نماذجه بالخمريات، أما الغزل المذكر في غلمان القصور وبيوت الأثرياء فانقطع سبيله وانطفأ شعاعه.

### الطفل شاعرا:

والإطار الذى نستطيع أن تكمل به صورة الطفل فى التراث الشعرى العربى هو الالتفات إلى شاعرية الأطفال أنفسهم، من خلال ذكر أمثلة لنظمهم الشعرى ومن نافلة القول التأكيد مرة أخرى على اهتمام الأطفال العرب وشغفهم بحضور مجالس الأدب وحلقات الرواة ومن ثم تكونت لديهم ملكة التذوق الأدبى، ونظم بعضهم الشعر فى سن صغيرة، ومن بين هؤلاء الصغار يومئذ الشاعر الجاهلى طرفة بن العبد.. فيما نسب إليه الرواة أنه نجح فى نظم الشعر فى سن مبكرة وقد أورد الدميرى المصرى صاحب كتاب حياة الحيوان الكبرى رواية تتصل بطرفة بن العبد وخروجه مع عمه على سفر، فاستهواه صيد (القبرة) (١١٣).

وعندما عاد قال أول أشعاره فى القنابر، يستعيد ويصف التقاط القنابر للحب فيذكر:

|                          |                            |
|--------------------------|----------------------------|
| يا لك من قبرة بمعمر      | قد رفع الفخ فماذا تحذرى    |
| قد ذهب الصياد عنك فابشرى | خلا لك الجو فبيضى واصفرى   |
| ونقرى ما شئت أن تنقرى    | لا بد يوما أن تصادى فاصبرى |

وإذا قرأنا أخبار كعب بن زهير فى الأغانى لوجدنا كيف اهتم  
الآباء بتعليم الأبناء الشعر وإنشاده وإجازته وبالتالي إذاعته على  
الناس. وزهير أجاز غير مرة أبيات شعرية لابنه كعبا، بعد دربه  
وتثقيف معه، فكان يبدأ بإنشاء نصف البيت (صدره) ليكمل عجزه،  
أى يطلب منه أن يكمل البيت، ومن ذلك ما ينسبه الرواة إلى أول  
قصيدة أنشدها كعب بن زهير وهو فتى، ومنها هذا البيت:

أبيت فلا أهجو الصديق ومن يبع بعرض أبيه فى المعاشر يتفق(١١٤)

وأخبار لبيد بن ربيعة فى الأغانى - كذلك - تدلنا على مدى  
مقدرته على إنشاء الشعر صغيرا، وقد بدأ ابن ربيعة يقرض الشعر  
فى إطار الفخر القبلى فى تعصب لاعمامه من بنى عامر، فيهجو  
أخواله من بنى عبس قائلا:

|                           |                                  |
|---------------------------|----------------------------------|
| نحن بنى أم البنين الأربعة | سيوف حز وجفان مترعه              |
| نحن خيار عامر بن صعصعه    | الضاربون السهام تحت الخيضة       |
| والمطعمون الجفنه المددعه  | مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه(١١٥) |

وها هى حوارية أدبية طريفة دارت فى صدر الاسلام بأحد  
مجالس العرب وكان الرسول(ص) قد وفد معه صاحبه أبو بكر على  
مجلس من مجالس العرب فأخذ الصديق يسأل الحضور فى أنسابهم  
ويطونهم، فلما انتهى من ذلك قام إليه (عقل بن حنظله) وهو يومئذ  
غلام صغير وأنشد:

إن على سائلنا أن نسأله والعبد لا تعرفه أو نحمله

وأخذ الصبى يستفسره ويحاوره، حتى أحس أبو بكر بالدهشة  
من بلاغة الصبى وبيانه وحسن محاورته فرجع إلى رسول الله والغلام  
ينشد:

وافق در السيل در يدفعه      يهضيه حيناً وحيناً يصدعه

فتبسم الرسول(ص) وقال أبو بكر عبارته المشهورة التي ضربت  
مثلاً من بعد: «أن البلاء موكل بالمنطق» ومن اللافت للنظر أن عقل بن  
حنظلة عمر طويلاً فأدرك ولاية معاوية ووفد عليه فسأله يوماً: بم  
أدركت هذا العلم؟ قال: بلسان سئول وقلب عقول<sup>(١١٦)</sup>.

وظهرت ملامح شاعرية أبي الطيب المتنبي وهو فى عمر الصبا،  
وأول شعر نظمته ارتجالاً وقوله وهو صبى:

بأبى من وددته فافترقنا      وقضى الله بعد ذاك اجتماعاً  
فافترقنا حولاً فلما التقينا      كان تسليماً على وداعاً

وقال فى صباه وهو فى المكتب (الكتاب) يرد على المتعجب من  
شعره المجتمع على رأسه:  
لا تحسن الوفرة حتى ترى      منشورة الضفرين يوم القتال  
على فتى معتقل صعدة      بعليها من كل وافى السبيل

وقال أيضاً فى صباه، وقد أهدى إليه عبيد الله بن خلكان هديه  
فيها سمك ونحوه، فقال ارتجالاً:  
هدية ما رأيت مهيديها إلا      رأيت العبيد فى رجل  
أقل ما فى أقلها سمك      يسبح فى بركة من العسل  
كيف أكافىء على أجل بد      ومن لا يرى أنها يد قبلى<sup>(١١٧)</sup>



فى ضوء ذلك يمكن القول إن أمارات الموهبة الشعرية، تظهر عند الشاعر أى شاعر، فى سن مبكرة، ولكن تدوين شعر مرحلة الطفولة عند معظمهم تخفيه عادات الزمن، فضلا عن عدم اكتراث الشعراء أنفسهم فى مرحلة صباهم بتدوين محاولتهم الأولى، أما ما تنقله الروايات المدونة من شعر مرحلة الطفولة فدليل على توثيقه وتدوينه وصحة نسبه تبعا لتتبع أخبار روايته، ولقد رأينا مخايل الموهبة الشعرية عند الشاعر العباسى ابن المعتز تبدو فى سن صغيرة، ومن شعره فى مرحلة طفولته نعرض هذه النماذج (١١٨):

|                        |                      |
|------------------------|----------------------|
| لا تمنعن العلم طالبيه  | فسواك أيضا عنده خبر  |
| كم من رياض لا أنيس بها | هجرت لأن طريقها وعمر |

وقال أيضا فى صباه:

|                     |                     |
|---------------------|---------------------|
| اصبر على كيد الحسود | فإن صبرك قاتله      |
| فالنار تاكل بعضها   | إن لم تجند ما تاكله |

ومنه أيضا قوله وهو طفل صغير لم يبلغ سن الشباب:

|                               |                             |
|-------------------------------|-----------------------------|
| ومن شر أيام الفتى بذل وجهه    | إلى غير من حقت عليه الصنائع |
| متى يدرك الإحساس من لم تكن له | إلى طلب الإحسان نفس تتازع   |

وقبيل نهاية مرحلة الصبا وعمر (عبد الله بن المعتز) يومئذ ثلاث عشرة سنة كتب إلى مؤدبه أحمد بن سعيد الدمشقى منظومة شعرية

يقول فيها:

أصبحت يا بن سعيد حزت مكرمة      عنها بقصر من يحفى وينتعل  
وسربلتني حكمة قد هذبت شيمي      وأحجت غرب ذهني فهو مشتعل  
أكون إن شئت قسا في خطابته      أو حارثا وهو يوم الفخر مرتجل  
وإن أشأ فكزيد في فرائضه      أو مثل نعمان ما ضاقت به الحيل  
أو الخليل عروضا أبا فطن      أو الكسائي تحويا له علل

وصورة الطفل في تراثنا العربي نعرضها في هذا الجانب: الطفل  
شاعرا، تمثل مرحلة هامة في حياة الشاعر، إذ يذيع شعره بين  
الناس ومن بعد ربما يستعيد ذكراها وتجربتها البكر الوليدة معه،  
يقول البحتري مخاطبا الطبيعة وقد رد إليها جمالها ويعاوده الأمل  
فيتصايب:

قد تصايب فاعذري أو فلومي      ليس شيء من الصبا من شائي

ويطالعنا البحتري في أبيات نظمها في صباه<sup>(١١٩)</sup> فيذكر متغزلا:

ألا يا هبوب الريح فبلغ رسالتي      سليمي وعرض بي كائنك مازح  
وعنى اقرأها السلام وقل لها      زعمت بالآ يكتم السر بائح  
فإن سألت عني سليمي فقل لها      به غير من دائه وهو صالح

وهذه محاورة أو حوارية في جانب الهجاء، دارت بين شاعر تغلب  
كعب بن جميل والأخطل (وهو يومئذ صبي غدير) قال الأخطل:

وسميت كعباً بشر العظام      وكان أبوك يسمى الجمل  
وأنت مكانك من أوائل      مكان القراد من إست الجمل

وعندما لج بينهما الهجاء قال كعب بن جميل: إن غلامكم هذا  
لأخطل<sup>(١٢٠)</sup>.

وبعد.. فقد طوف هذا المبحث مع نماذج شعرية فى أدبنا العربى بهدف التأكيد على وجود الدعائم التراثية فى مجال أدبيات الطفل، وهى دعائم تقوم على رؤية العقل العربى والمبدع العربى لصورة الطفل، كما جسدها خيال الشعراء ونظم الرجاز أو كتبها الشعراء بأنفسهم فى طفولتهم، وقد اجتهد المؤلف قدر طاقته ليعرض صورة الطفل من أدبنا الرسمى وهى صورة توزعت ملامحها عند معظم الأساسية المعروفة فى شعرنا الموروث.

بقى أن نسجل فى خاتمة هذا الفصل التأكيد على:

(١): وجود أغانى الأطفال الشعبية فى حياة الجماعة وهى تدرج تحت مظلة الأدب الشعبى ولها أهميتها فى الإمتاع والتسلية بنفس مقدار الأشعار القصار فى الأدب الرسمى، غير أن أغانى الأطفال الشعبية تخضع للتعديل فى نصوصها بالحذف أو الإضافة وفق استعمال الجماعة لها جيلا بعد جيل، وتتنوع أغانى الطفل فى الأدب الشعبى فتشمل أغانى اللعب، وأغانى المناسبات وأغانى المعتقدات وهى تمتاز بالتبسيط والإغراب فى الخيال لتشويقهم، وتصاحب هذه الأغانى الأطفال فى مدارج لعبهم، فى سلامهم وخصامهم وما من حادث أو فراغ فى حياة الطفل إلا وتملؤه أمه بالأغانى «والحواديت» والمناجاة بالمنظومات، تنيمه على أغنيات، تفرحه بأخرى وتشجعه على محاكاة الكبار وتعلمه الكلام بمنظومات بسيطة ذات جرس قوى.

(ب): بابات خيال الظل، وهو لون من ألوان الأدب الشعبي له جذوره التراتبية وليس وليدا لشواهد العصر الحديث كما يتصور بعض الباحثين بقوله (إن بابات خيال الظل القديمة، بل تلك التي كانت ذائعة في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن تكفى للتعرف على عادات كثيرة وأنحاء شتى من الحياة الشعبية.. وهي من النصوص الموضوعية للتسلية والإمتاع)<sup>(١٢١)</sup> وقد أورد الدكتور الطاهر مكي في كتاب لابن حزم حقيقه وعلق عليه، أورد فقرة منه فيذكر: (أشبه ما رأيت بالدنيا خيال الظل، وهي تماثيل مركبة على مطحنة خشب تدار بسرعة فتغيب طائفة وتبدو أخرى)<sup>(١٢٢)</sup> يقول د. طاهر مكي في تعليقه على ما ورد بهذه الفقرة التي أوردتها ابن حزم الأندلسي في كتابه «الأخلاق والسير في مداواة النفوس». (هذه الفقرة باللغة الأهمية في التأريخ لفن خيال الظل لأنها تعنى أنه وجد في الأندلس في فترة مبكرة، تعود إلى أواخر القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر الميلادي، ويرجح الدارسون أن هذه اللعبة وفدت إلى مصر خلال العصر الفاطمي، من الصين، أو الهند أو جاوة، وانتقلت من مصر إلى الأندلس). ويميل المؤلف إلى الأخذ بالرأى السابق لأن ريادة خيال الظل في الشرق كما يردّها أحمد تيمور باشا في كتابه «خيال الظل» إلى جعفر الراقص - فيها نسب ضعيف - ولأن استقراء مخطوطة الصفدي<sup>(١٢٣)</sup> التي اتكأ عليها صلاح الدين

بن أيبك الصدفي في نسب اختراع الظل إلى جعفر الراقص بسبب أبيات من الشعر تتحدث عن الرقص تحت فصل بعنوان: فصل الختام عن التورية والاستخدام. أما مقولة أحمد تيمور باشا إن خيال الظل لعبة «وجدت بملاهي القصر مدة الفاطميين» فهي مقولة تتفق ورواية د. الطاهر مكي والمستشرق الألماني بول كالا» وذلك لازدهارها في زمن الفاطميين، وقد رأى د. ابراهيم حمادة أن الأدب العربي (الشعبي أو الرسمي) تقبل أدبيات المخيلة في بطن، كما يرد زمن نشأة خيال الظل في العالم الإسلامي والعربي إلى فترة «بدأت في أواخر القرن العاشر الميلادي وأوائل القرن الحادي عشر»<sup>(١٢٤)</sup>. ولو أردنا التأكيد على وجود منظومات شعرية كتبها الشعراء في الراقصين أو في المخيلين بمثابة أدلة كافية انشأة هذا الفن، لكان ذلك أمرا يسيرا فالتراث العربي القديم يزخر بذلك ومنه: (١٢٥)

منوع الحركات يلعب بالنهي      ليس المحاسن عند خلع لباسه  
بالعقل يلعب مقبلا أو مدبرا      كالدهر يلعب كيف شاء بناسه  
ويضم للقادمين منه رأسه      كالسيف ضم ذبابة لرئاسه

إذن خيال الظل يقوم علي عناصر مادية وبشرية - بل هو الجنين اليافع لمسرح العرائس - الذي يألّفه الصغار، والكبار. وكذلك إن المخيلة الفنية بالتمثيل والشخص المألوفة وغير المألوفة بأسلوب نثري وشعري من خلف ستار هي الارهاصات الأولى لميلاد مسرح الطفل أو مسرح العرائس. ولا جرم إذا تطورت المخيلة الفنية (خيال

الظل) إلى المخيلة الشعبية المبهجة (الاراجوز). وقد يقول قائل: ما علاقة ذلك بأدب الطفل؟ ولرد على تلك المقولة نستطيع القول في اطمئنان إن بابات خيال الظل شكل من أشكال التعبير في الأدب الشعبي، له علاقة محببة بعالم الطفولة، وقد نما وتطور عبر تاريخنا الأدبي وهو يحتوى على مادة نثرية وشعرية أشهرها (نصوص ابن دنيال التمثيلية) سواء أكان خيال الظل قد نشأ لعبة في بداياته ثم تطور كفن تمثيلي عرائسى في ذروته، فإن الأزجال والأشعار التي كانت تروى على ألسنة شيوخ بابات خيال الظل ويفهمها الأطفال ويتذوقونها ويستمتعون بها فهي تقترب من مفهوم الطفل وإن دار خيال الظل في فلك الأدب الشعبي.

إن علاقة خيال الظل بأدب الطفل كعلاقة اللعب بالطفل، فخيال الظل يمتع عقل الطفل، لأنه إيهام بالصورة، واللعب ترجمة انطباعات الطفل إلى انفعالات محسوسة، ولذلك وجدنا أغاني اللعب تنتظم حياة الجماعة العربية وكم من قصص دارت حول الألعاب في أدبنا الشعبي وفي أدبنا الرسمي، يقول الشاعر الجاهلي امرؤ القيس (١٢٦)

عهدتني ناشئاً ذا غرة      رجل الجملة ذا بطن أقب  
اتبع الولدان أرخى مئزرى      ابن عشر، ذا قريط من ذهب  
وهى إذ ذاك عليها مئزر      ولها بيت جوار من لعب

إن مادة أدبيات الطفل التي عرضنا لمنتخبات منها ونحن نستقرئ الطفل في تراثنا الشعرى في تراثنا، مادة كافية لإثبات

وجوده كجنس أدبي فوق خارطة الأدب الرسمي وألفينا الطفل كذلك يمثل شريحة عمرية كبيرة وهامة فى أى مجتمع، تتلقى الأدب كأي شريحة أخرى، من المتلقين والمتذوقين للأدب فى صفوف المجتمع، أما إلحاق النتاج المعرفى بأدب الأطفال فنعده من الخلط الواضح فى تحديد دقة المصطلح الأدبى.

إن أدب الطفل فى أدبنا الرسمي هو جنس أدبى مركب تتعدد أشكاله، شأن باقى الأنواع الأدبية لا يميزه عنها من فروق دالة سوى الفروق فى الخصائص المعرفية والإدراكية بين الصغار والكبار، وبالتالي الفروق الفنية بين أدبيهما.

## هوامش الفصل الأول

(١) الأدب المكتوب (عن) الطفل يشتمل على جانبين: أولهما: الدراسات والمؤلفات اللغوية والأدبية والفنية (الجمالية) حول الطفولة، وثانيهما ابداع الكبار الأدبي والفني (عن) أطفالهم بخاصة والأطفال بعامة شريطة الا توجه ابداعاتهم أساسا للطفولة بمستوياتها اللغوية والادراكية، أما الأدب المكتوب (للطفل) - مجال بحث هذا الكتاب - فيشمل (النتاج الأدبي الشعري والتثري) الموجه أساسا للطفولة بمستوياتها اللغوية والادراكية، ويميل المؤلف إلى عدم الصاق المؤلفات التربوية والتاريخية والعلمية إلى الأدب المكتوب للطفل) أو (عنه) وإنما يكون تصنيف هذه المؤلفات بمجال ثقافة الطفل بمعناها الواسع.

(٢) من مثل: الحكايات القصصية المسلية، الخرافية، والاسطورية والفكاهية والتعليمية والحكايات الشعبية والنوادر والأمثال والحكم والألغاز، والأمهديات والأناشيد والأغاني والأراجيز، وجميعها كانت تروى للأطفال بهدف التسلية والمتعة والمنفعة والتربية الوجدانية والتهديبية.

(٣) مفهوم الأدب الشعبي، د. كامل مصطفى الشيبى. ص، دائرة الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦.

(٤) قاموس علم الاجتماع، د. عاطف غيث، ص ١٩٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠.

(٥) الأسطورة بمعناها اليونانى ΜΤΥΗ ومعناها فى العلوم الانسانية



LEGEND عبارة عن مأثورة شعبية تقوم على الأحداث التاريخية المتصلة

بشخص أو حادثة ما وهي المعتقدات المشبهة أو المحيطة بالقيم والمبادئ التي يعتنقها الناس والتي يعيشون بها أو من أجلها «السابق ص ٢٧٠.

(٦) الأدب والطفل، د. محمود أحمد حمدون، ص ٩٦ رسالة الخليج العدد ٢١، السعودية ١٩٨٧م.

(٧) الحكاية الشعبية، د. عبد الحميد يونس، ص ٨ - ٩ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.

(٨) في أدب الأطفال، د. علي الحديدي، ص ٢١٩ - ٢٢٠.

(٩) السابق ، المقدمة.

(١٠) أيام العرب في الجاهلية، محمد أحمد جاد المولى وآخرون، المقدمة ط دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي «شركاه. مصر د. ت. انظر المزيد من التفاصيل: تاريخ العرب القدامى للشيخ محمد فخر الدين، بلوغ الأرب في أحوال العرب للألوسي، أمثال العرب للمفضل الضبي، جمهرة الأمثال للعسكري، مجمع الأمثال للميداني وغيرهم.

(١١) الحماسة لأبي تمام التبريزي، ج ٢، ١٨٥.

(١٢) الحكاية الخرافية، فريد شفن دبر لابن، ترجمة د. نبيلة ابراهيم ص ١٩٦ - ١٩٩، القاهرة ١٩٦٥.

(١٣) مقدمة لدراسة بلاغة العرب، د. أحمد ضيف، ص ٥٨ - ٥٩.

(١٤) في الرواية العربية، فاروق خورشيد، ص ٥٤.

(١٥) الحكاية الخرافية: قصة أحداث خيالية، يقصد بها حقائق مفيدة في شكل جذاب وينصب عليها مصطلح الخرافة الأخلاقية تبعاً للقصص الأخلاقية

المروية على لسان حيوان، من أمثال كلية ودمنة، انظر معجم الأدب، د. مجدى وشبة، صفحات ٢٦.

(١٦) عرف العرب قصصا تتناول بالتفسير المطعم بالبقايا الأسطورية، الحياة والخلق، فحكوا الحكايات عن نشأة العالم وعن آدم ونسله وعن نشأة اللغات وتعددتها، وعرفوا قصص الشعوب وقصص الأماكن وقصص الملوك والأبطال وتطورت بعد الإسلام إلى حكايات وأساطير موجهة، وأشهر ما تم تدوينه كتب: التيجان ومضاخ ومى، والحارث ابن مضاخ وقصة ذى القرنين فى الفترة التى سبقت ظهور الإسلام، وأيام العرب ووقائعهم وملاحمهم وأخبارهم (كتب أخبار ملوك اليمن) انظر: فى الرواية العربية لفاروق خورشيد. ط دار الشروق ١٩٧٥.

(١٧) انظر: أمثال العرب للمفضل الضبى، مجمع الأمثال للميدانى، جمهرة الأمثال للعسكري، الامالى للقالى، الحيوان للجاحظ، ثمرات القلوب للثعالبى الأغانى للأصفهاني، المستطرف فى كل مستظرف للإبشيhi، عجائب المخلوقات للقزوينى، حكايات الحيوان الكبرى للدميرى، تهذيب الحيوان للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون، وغيرها.

Migs cornelia, A Critcal History of Children,s(١٨)  
Literature, p 155

(١٩) أشكال التعبير فى الأدب الشعبى، د. نبيلة ابراهيم ٥٠ - ٥١  
(٢٠) الأطفال والأدب الشعبى. د. محمود ذهنى، ص ١٧٨ - ١٧٩، مقالة بمجلة العربى الكويتية مارس ١٩٨٨م.

(٢١) الف ليلة وليلة، د. سهير القلماوى ص ٧٤ - ٧٥، ط دار المعارف.  
(٢٢) التربية الجمالية المعاصرة، ف ساخوملوفسكى، ترجمة كاترين كالدسون

ص ١٣٢، ط موسكو ١٩٧٧.

(٢٣) أشكال التعبير في الأدب الشعبي، د. نبيلة إبراهيم، ص ٦٩ - ٨٠.

(٢٤) تأثير لافونتين بكليلة ودمنة عن ترجمة جليبر جولمان، كما تأثر دانتى في الكوميديا برسالة الغفران للمعري، وما زالت ألف ليلة وليلة مصدرا لا ينفد للاقتباس في معظم الآداب الأجنبية شأنها شأن قصة حي بنى يقطان في الأخذ عنها ومحاكاة مضمونها والتأثر بها يبدو في آداب أكثر من لغة عالمية.

(٢٥) كليلة ودمنة، لابن المقفع نقلا عن الحكيم الهندي بلباي، ص ٦٧ - ٦٨ ط القاهرة ١٩٦٨ م.

(٢٦) سميت عدة من سور القرآن الكريم بأسماء الحيوانات والطيور وسيقّت آيات تلك السور بغرض إيضاح معجزات الخالق في خلقه ومخلوقاته، ومنه حديث وادي النمل والنملة. قال تعالى في سورة النمل: «يا أيها النمل أدخلوا مساكنكم» وقال عز من قائل من حديث الهدد: «إلى نبي الله سليمان» «أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ نبأ يقين» من قوله «ورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير»، والطيور لا تنطق فقط بل تسبح لله وتصلى: (ألم تر أن الله يسبح له ما في السموات والأرض والطيور صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون) الآية ٤١ سورة النور.

(٢٧) الحكاية الشعبية، د. عبد الحميد يونس، ص ١٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥.

(٢٨) انظر لمزيد من التفاصيل حول القصة: السيرة لابن هشام، الأغاني للأصمعي، المستطرف للابشيبي.

(٢٩) تعد المقامات العربية من مثل مقامات بدیع الزمان الهمذاني، أحد أشكال

التعبير القصصى، فالمقامة قصة مسجوعة غالباً، تشمل على عظة أو لمح  
تؤدى بجمل قصيرة سرحية. منها هذا البيت من المقامة البحرية للهمذاني:

يطوف ما يطوف ثم يأوى إلى زغب محددة العيون

انظر: مقامات الهمذاني، شرح الشيخ محمد عبده، ط بيروت، ١٩٨٩م.

(٣٠) انظر لمزيد من التفصيل حول القصة: السيرة لابن هشام، الأغاني  
للأصبهاني، المستطرف للأبشيبي.

(٣١) يمكن الاعتماد على مادة حكايات التراث القصصى العربى بإعادة تقديمها  
للأطفال بعد تبسيطها وتهذيبها بديلاً عن استغراق الكتاب المحدثين فى  
الاقتباسات والنقول المتزايدة عن الآداب الأجنبية بقيمها الوافدة، وقد أفاد  
من تلك الاقتباسات الأجنبية كامل كيلانى من المحدثين وعبد التواب يوسف  
من المعاصرين، فى فنية وريادة غير مسبوقة.

(٣٢) درج نفر من الباحثين على ترديد مقولة غريبة مؤداها أن الأدب فى الأمم  
السامية يتسم بعدم وجود النموذج الكامل للأساطير بسبب ضعف الخيال،  
وتاريخ الأدب فى الأمم الشرقية يدحض ذلك فكم من أسطورة وجدت عاشت  
بين الأجيال جيلاً بعد جيل فى الحضارات البابلية والفرعونية والهندية  
والجاهلية. لمزيد من التفاصيل، راجع: India Myths, Babylon  
Myths Egyption Mythology, وقد أشار كتاب الشرق فى  
مؤلفاتهم إلى معرفتهم بعناصر الأساطير قال الشاعر العربى القديم:

واعلم أن المستحيل ثلاثة الغول والعنقاء والخل الوفى

والعنقاء طائر وهمى نادر فى معتقد الناس يرمز للخلود لدى كثير من  
شعوب العالم القديمة وقد ذكر العرب فى تاريخ آدابهم وفى آياتهم «العنقاء»  
وكان للعنقاء الطائر العربى الأسطورى أثره فى الآداب الأجنبية وسميت

العنقاء بالشجرة العربية، فقد ورد ذكر العنقاء لدى شكسبير في مواضع  
متعددة باسم الطائر الغربى منها مسرحية «كنا تهراده» و«العاصفة وشئرى  
السادس» إضافة إلى تكريس قصيدته «العنقاء والنواح لها» ويرد فيها أيضا  
باسم الشجرة العربية، لمزيد ممن التفاصيل انظر: كتاب الحيوان للجاحظ  
والعين للفراهيدى.

- (٣٣) المعجم الوجيز، ط مجمع اللغة العربية، ص ٤٠٥ القاهرة.
- (٣٤) الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه، أحمد الاسكندرى وآخرون، المقدمة  
طبع القاهرة سنة ١٩١٦ م.
- (٣٥) صحيح البخارى، ج ١، باب الأدب.
- (٣٦) المنهل، ع ١٩١، ١٤٠٥، السعودية.
- (٣٧) المستطرف من كل مستطرف للإبشيى، ص ٣٩ ج ١.
- (٣٨) نهاية الأرب للنويرى ص ٢٠٥.
- (٣٩) فجر الإسلام، أحمد أمين، ص ٤٣.
- (٤٠) المرجع السابق.
- (٤١) الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه ص ١٦.
- (٤٢) لسان العرب لابن منظور مادة حكم ص ٩١ - ٥٩٢.
- (٤٣) العمدة لابن رشيق، المقدمة.
- (٤٤) الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه، أحمد الاسكندرانى وآخرون ص ١٧ - ١٨.
- (٤٥) محاضرة الأبرار ومسامرة الأحيار لابن عربى، تحقيق محمد موسى  
الخولى ص ١٥٣، ٢٢٧ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٤٦) تاريخ الأدب العربى فى العصر الجاهلى، د. شوقى ضيف، ص ٤٠٤ ط دار المعارف، د.ت.

(٤٧) وجدت مخطوطة أمثال لقمان الحكيم بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ١٧٥ وتقع فى ٤٤١ ورقة بواقع ١٤ سطر فى كل صحيفة من المخطوطة، وتظرا لأهميتها البالغة قام د. يوسف حبى بنقلها محققة عام ١٩٨٥، انظر أمثال، لقمان الحكيم، د. يوسف حبى، المجمع العلمى العراقى، بغداد ١٩٨٥.

(٤٨) أشكال التعبير فى الأدب الشعبى د. نبيلة ابراهيم ص ٣٢٥ - ٣٣٤.

(٤٩) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ص ٥٥٩.

(٥٠) لسان العرب لابن منظور، مادة لغز، ص. ٤٠٤٧ - ٤٠٤٨.

(٥١) لسان العرب لابن منظور، مادة حجا، ص ٧٩٢.

(٥٢) معجم مصطلحات الأدب، د. مجدى وهبة ص. ٤٨٢.

(٥٣) المستطرف فى كل فن مستظرف، للابشيهى، ص ٢٠٢ - ٢٠٥ ط دار الفكر د.ت.

(٥٤) انظر لمزيد من التفاصيل حول استقرار مضامين الحكايات القصصية وأنواعها مثل ألف ليلة وليلة، كليتمودمنة، الحيوان للجاحظ، عجائب المخلوقات للقزوينى، حياة الحيوان الكبرى للدميرى، ومن المراجع الحديثه، قصصنا الشعبى د. فؤاد حسين، القصة فى الأدب العربى القديم د. محمود ذهنى، القصص فى الأدب العربى. د. عبد الرازق حميده، الرواية العربية فاروق خورشيد وغيرهم.

- (٥٥) احياء علوم الدين، الغزالي، ج١، ص٩٦، ط دار الشعب، د.ت.
- (٥٦) الأدب التعليمي صفة تطلق على العلم الأدبي الذي هدفه الرئيسي نقل رسالة سياسية أو أخلاقية أو دينية أو علمية، بالإضافة إلى نقل الحقائق وتحقيق اللذة والتسلية: ص١١٢ معجم مصطلحات الأدب، د. مجدى وهبة.
- (٥٧) ثمار القلوب للثعالبي، ص ٦٩٦.
- (٥٨) تكاد تجمع المؤلفات العربية فى مصادرها الأولى على ضرورة تعليم الأبناء الشعر وتلقينهم مقطوعاته وروايته كذلك، باعتبار الشعر مثيراً للعاطفة ومحركاً للوجدان من ناحية، وعاملاً حاسماً من عوامل النمو اللغوى. من ناحية أخرى لمزيد من التفاصيل حول فكرة تعلم الشعر وروايته أنظر: السيرة لابن الهيثم، الأغاني للأصفهاني، الشعر والشعراء لابن قتيبة، العمدة فى صناعة الشعر ونقده لابن رشيق، طبقات فحول الشعراء لابن سلام وغيرها. من كتب التربية الإسلامية: تأديب الناشئين بأدب الدنيا والدين لابن عبد ربه، أيها الولد المحب للإمام الغزالي، مقدمة ابن خلدون وغيرها.
- (٥٩) مصادر الشعر الجاهلى، د. ناصر الدين الأسد، ص ١٩٩.
- (٦٠) العقد الفريد، لابن عبد ربه، ج١ ص ١٢٥.
- (٦١) مقدمة ابن خلدون، ص ٥٠٨، ط دار الشعب ، القاهرة.د.ت.
- (٦٢) السابق، ص ٥٢٢ - ٥٢٣.
- (٦٣) الوساطة بين المتنبي وخصومه، للجرجاني، ص ١٨.
- (٦٤) خزانة الأدب لابن حجة الحموى، ص ١٢٤.
- (٦٥) ديوان الصنوبرى، للصنوبرى، تحقيق د. احسان عباس، ص ١٠٣،
- (٦٦) ديوان الصنوبرى، للصنوبرى، تحقيق، د. احسان عباس، ط ١٠٣،

(٦٧) أمية بن أبي الصلت الثقفي، شاعر ممخضرم: انظر شروح الحماسة:  
المنتخب من أدب العرب ج ٤ ص ٩٣ ٩٤ ط الأميرية ١٩٤٤.

(٦٨) افاض العديد من أهل الأدب عبر تاريخ الأدب العربي في نظم القصائد  
وتحبير المؤلفات في رثاء الأبناء، وتزخر المكتبة العربية بمخطوطات نادرة  
حول الأشعار التي نظمها الآباء أو الشعراء في وفاة الأبناء أو الأولاد، منها  
سلوة الحزين في موت الذرية، والجلد عند فقد الولد، وكلاهما، للسيوطي  
وغيرهما وقد خص الباحث الأردني د. مخيمر صالح أطروحتة للدكتوراة  
لموضوع «رثاء الأبناء في الشعر إلى نهاية القرن الخامس الهجري» انظر  
الأطروحة مطبوعة نشر جامعة اليرموك، الأردن ١٩٨١.

(٦٩) في تاريخ الأدب الجاهلي، د. علي الجندى، ص (٥٠) دار المعارف. ١٩٨٠م.

(٧٠) ديوان الصنوبري، تحقيق د. احسان عباس، ص ١٠٠ بيروت ١٩٧٠م.

(٧١) العقد الفريد لابن عبد ربه، ج ٣، ص ٢٥٩.

(٧٢) ديوان ابن الرومي، تحقيق د. حسين نصار، ج ٢، ص ٢٢٦، دار الكتب  
١٩٧٣م.

(٧٣) اللات للفظر في شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، ج ١. ص ٢٨٥،  
الحماسية ٨٦ وينقصها البيت السابع والبيت الأخير من الحماسة:

ولو مرت الريح على بعضهم لا تمتعت عينان عن الغمض

وينسب المرزوقي الأبيات لخطاب بن المعلّى « أما خطاب بن المعلّى ففيه تصحيف  
وحطان بن المعلّى شاعر إسلامي من بني مخزوم فهو مخزومي قرشي.

(٧٤) ديوان ابن الرومي، تحقيق د. حسين نصار، ج ٢، ص ٢٢٦، ط دار الكتب  
١٩٧٣م.



(٧٥) المستطرف من كل فن مستظرف، للابشيهي، ج٢ ص ١٠، ط دار الفكر  
القاهرة. د. ت.

(٧٦) العمدة لابن رشيقي، ص ٣٥

(٧٧) محاضرة الأخيار ومسامرة الأبرار، لابن عربي، ج١، ص ٢١٢.

(٧٨) بديع الزمان الهمذاني، مارون عبود، المقامة القريضية ص ٧٧، دار  
المعارف ١٩٦٧م.

(٧٩) ثمار القلوب، للثعالبي.

(٨٠) السابق نفسه.

(٨١) السابق نفسه.

(٨٢) السيرة النبوية لابن هشام، ج١ ص ١٦.

(٨٣) السيرة النبوية لابن هشام، ج١ ص ١٦.

(٨٤) المفضليات، للمفضل الصبي، ص ٤٠٩.

(٨٥) لعل مثل هذا يتفق والدعوة المعاصرة لتنظيم الانجاب في الأسرة، فالثمرة  
أبناء أصحاء.

(٨٦) الشعر وطوابعه الشعبية، د. شوقي ضيف، ص ٨٩.

(٨٧) انظر شروح الحماسة، والكامل للمبرد وتنمة المقطوعة بالكامل للمبرد ص  
٣١٥، ط بيروت.

(٨٨) الكامل للمبرد، ص ١٤٠.

(٨٩) الأصمعي د. أحمد كمال زكي، ص ١٥٩ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٩٠) الأصمعي، د. أحمد كمال زكي، ص ٣١٦.

- (٩١) البيان والتبيين، للجاحظ ج١، ص ١٨٠.
- (٩٢) انظر نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين لألفت الروبي، التربية في الاسلام د. أحمد فؤاد الأهواني. والمزيد انظر، آراء فلاسفة التربية الاسلامية القدامى في مؤلفات: ابي الحسن القابسي، ابن جماعة، ابن مسكويه، الغزالي، وابن خلدون.
- (٩٣) احياء علوم الدين والغزالي، ج٨ ص ١٤٣٩.
- (٩٤) السابق. ج٢ ص ١٤٥.
- (٩٥) الأغاني، ج١ ص ١٤٩.
- (٩٦) السابق، ج٣ ص ١٤٥.
- (٩٧) السابق ، ج ص ٢٩.
- (٩٨) شرح ديوان الحماسة، للتبريزي، ج٢، ص ١٩١.
- (٩٩) عنى بنشره المستشرق ح، هيورث، دون في ثلاثة أقسام: قسم أخبار الشعراء. طبع سنة ١٩٣٤ (وهو المتضمن أشعار كليلة ودمنة لابان اللاحق)، وقسم أخبار الراضي بالله والمتقى بالله طبع سنة ١٩٣٥ م. والقسم الأخير أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم طبع عام ١٩٣٧ انظر أبو بكر الصولي، أحمد العمري ص ٢٢٧ - ٢٧٩. ط هيئة الكتاب ١٩٧٣.
- (١٠٠) أطفالنا والتراث، ندوة عربية، ط المجلس الأعلى للثقافة ١٩٨٨.
- (١٠١) حديث الأربعاء، د. طه حسين، ج٢، ص ٢٢٣.
- (١٠٢) عالم الفكر، مقالة للدكتور عبده بدوي، ص ٤٩ - ٥٠، (ع) ع يناير ١٩٨٦، الكويت.
- (١٠٣) المغرب في حلى العرب لابن سعيد الاندلسي. تحقيق د. شوقي ضيف

ج ٢، ص ٦٠.

(١٠٤) المرجع السابق

(١٠٥) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، للبطلينوسي، تحقيق مصطفى السقا د.  
حامد عبد المجيد ج ١، ص ٤٠.

(١٠٦) مجالس ثعلب، لأبي العباس أحمد بن يحيى، تحقيق عبد السلام هارون  
ج ١، ص ١٤١.

(١٠٧) المرجع السابق، ج ٢، ص ٧٨، ج ٥، ص ٢٦٠.

(١٠٨) المرجع السابق

(١٠٩) الأغاني للأصبهاني، ج ٢٠، ص ٣٤٠ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(١١٠) السابق، ص ٥٨.

(١١١) السابق، ج ١٣، ص ٢٩٣.

(١١٢) الأغاني، ج ٢١، ص ٤١.

(١١٣) الأغاني، للأصفهاني، ج ١٨١، ص ٦٣٥٩.

(١١٤) حياة الحيوان الكبرى، للدميري، مادة القبرة.

(١١٥) السابق . للأصفهاني، ج ١٦ ص ٥٧١٨.

(١١٦) انظر المحاوراة تفصيلا بكتاب: أنباء نجباء الأبناء، محمد بن ظفر ص

١٠٧ - ١٠٨.

(١١٧) أبو الطيب المتنبي حياته وشعره، عباس محمود العقاد ومجموعة من

الكتاب، ص ١١ - ١٢٥، ط المكتبة الحديثة، بيروت، ١٩٨٢ م.

(١١٨) معجم الأدباء، لياقوت الحموي، ج ٢ ص ٤٧.

(١١٩) يقول شوقي ضيف:.. أن ملكته الشعرية تفتحت فى سن مبكرة انظر:  
الفن ومذائبه فى الشعر العربى ص ٨٨): انظر الاقتضاب فى شرح أدب  
الكتاب للبطلينوسى، تحقيق مصطفى السقا، د. حامد عبد المجيد، ج١ ص  
١٠١، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١.

(١٢٠) ديوان البحتري، بتحقيق حسن كامل الصيرفى، مج١، ص ٤٦١، ط ٢  
دار المعارف ١٩٧٧.

(١٢١) الأدب الشعبى، أحمد رشدى صالح، ص ٢٥٥ - ٢٢٤، ط الهيئة  
المصرية ١٩٧١.

(١٢٢) الأخلاق والسير فى مداواة النفوس، لابن حزم، تحقيق وتعليق وتقديم:  
الطاهر مكي. ص ١٢١ - ١٢٢.

(١٢٣) انظر ديوان الصفدى، مخطوطة بخط يده سنة ٧٣٨ هـ، محفوظة بدار  
الكتب تحت رقم ٧٧٦، ١٨٤ خيال الظل، أحمد تيمور باشا، ص ٢٢، دار  
الكتب العربى ١٩٥٧م.

(١٢٤) خيال الظل وتمثيلات ابن دانيال، دراسة وتحقيق ابراهيم حمادة ص ٤٥  
ط وزارة الثقافة ١٩٦٣م.

(١٢٥) المغرب فى حلى المغرب، لابن سعيد، تحقيق، د. شوقي ضيف، ص ١٣٧.

(١٢٦) خيال الظل، أحمد تيمور باشا، ص القاهرة، ١٩٥٧.

## الفصل الثانى

أدب الطفولة

فى

العصر الحديث



## مذخل

الطفولة هي الغرس المأمول لبناء مستقبل الأمة، والأطفال هم ثروة الحاضر وعدة المستقبل في أى مجتمع يخطط لبناء الإنسان الذى يعمر به أرضه، ويدعم بفاعليته وجوده الإنسانى ويؤكد تواصله الحضارى، والأطفال هم بهجة الحياة ومتعة النفس لأننا لو نظرنا إلى الحياة فى وجهها المضىء لرأينا أن ما يمنحها الجمال والسعادة أمران اثنان هما: المال والأبناء. يقول الله عز وجل فى محكم كتابه الكريم:

( المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً ) الآية ٤٦ سورة الكهف.

فالأموال والأولاد هما الثروة فى جانبها المادى والبشرى، وعلى هذين الأمرين تقوم الحياة ويعمر الكون وتدور بواسطتهما عجالات التاريخ الإنسانى.

وفى أهمية الطفولة وحسن رعايتها يقول الرسول الكريم (ﷺ) فى الحديث النبوى: (الولد من ريحان الجنة<sup>(١)</sup>). وعبر الأدباء عن مكانة الطفل إلى النفس، ففطنوا إلى التعبير عن ذلك عن طريق النثر والشعر، ويقول الشاعر العربى حطان<sup>(٢)</sup> بن المعلى فى مقطوعته

## الشعرية الضادية:

|                           |                         |
|---------------------------|-------------------------|
| من شامخ عال إلى خفض       | أنزلنى الدهر على حكمه   |
| فليس لى مال سوى عرضى      | وغالتى الدهر بوفر الغنى |
| أضحكنى الدهر بما يرضى     | أبكأنى الدهر، ويا ربما  |
| رددن من بعض إلى بعض       | لولا بنيات، كزغب القطا  |
| فى الأرض ذات الطول والعرض | لكان لى مضطرب واسع      |
| أكبادنا تمشى على الأرض    | وإنما أولادنا بيننا     |
| لامتنعت عيني عن الغمض     | لو هبت الريح على بعضهم  |

وإذا كان الأدب هو الصورة الراقية فى سجل الحياة المكتوب، فإن  
خيوط الكتاب سيجمعها نسيج واحد محوره التأريخ لمفهوم أدب  
الطفل وتطوره فى مصر بعامة واستقراء وتحليل شعر الطفولة  
بخاصة، إذ الشعر الموجه - كنوع أبى - لأى كائن بشرى عاقل هو  
من أهم الأجناس الأدبية التى تشكل وجدانه وتحفز مشاعره نحو  
جمال الكمال، وسيتوفر هذا الجزء من هذا الكتاب على جذور أدب  
الطفل فى تراثنا العربى والإسلامى لسبر ظاهرة وجود هذا الجنس  
الأدبى العربى فى ظل الحضارة الإسلامية.

وفى العصر الحديث أحس أمير الشعراء أحمد شوقى (١٩٣٢)  
بضرورة إرساء القواعد لبناء جنس أدبى خاص بأدبيات الطفل بحيث  
ينهض الأدباء بإبداعاتهم، والمدرسة بمناهجها، والمجتمع بشمول  
نظراته فى سبيل تعبيد الطريق لخلق الأدب المميز للطفل، وكانت



صيحته مع النتاج الإبداعى الذى قدمه للطفل فى الجزء الرابع من ديوانه الشوقيات من العلامات الدالة على تعبيد الطريق أمام هذا الفن الجديد، يقول أحمد شوقى فى قصيدة<sup>(٣)</sup> له حول الطفولة:

|                  |                 |
|------------------|-----------------|
| البنون هم دمنال  | والحيـاة والورد |
| تلذ مثلهم يستوون | مهجة ولا كبد    |
| فى واحدهم زينة   | الحنان والعـدد  |
| ومـصاحـة         | واسـتـراحـة ودد |

ولقد كتب الكاتبون كثيراً حول الطفولة فى العصر الحديث، إذ قام رجال التربية وعلم النفس وخبراء الطفولة بمهام متنوعة وبألغة الأثر فى تأصيل أساسها النفسى والتربوى والمعرفى والثقافى والصحى، من زمن الرائد رفاعة الطهطاوى (١٨٧٣) إلى آخر الكوكبة المعاصرة من المهتمين بهذه المجالات جميعاً، ولقد تضاعل الجانب الروحى المتعلق بأدبيات الطفولة وسط زحام الجهود الكبيرة التى بذلت، فقد مضى ما يقرب من مائة سنة على الصيحة الواعية التى أطلقها أحمد شوقى - وصدر بها الطبعة الأولى من ديوانه - لتأصيل نوع أدبى مستحدث للطفل. وعلى استحياء تضاعل دور المبدع بينما نما وتعاضم دور أصحاب المجالات العامة والمرتبطة بتعليم الطفل وصحته وأخيراً ثقافته وميوله المعرفية والقرائية. إن دخول الأدباء هذ المجال الحيوى والتوجه بالإبداع الأصيل لخلق أدب للطفل شعره ونثره، يحقق فى المستقبل شريحة سنوية خلاقة منتجة

من بين أهم الشرائح الاجتماعية التي يقوم عليها أى مجتمع.

والطفل وهو يكتسب هذه الأهمية يستطيع أن يمارس دوره في التنمية البشرية كحق طبيعى وهبه الرحمن تعالى: (الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان). الآيات (١-٤) سورة الرحمن، وألزمه التعليم والإدراك والتذكر والتدبر قال عز وجل: (اقرأ باسم ربك الذى خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذى علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم) الآيات (١-٥) سورة العلق. وقد فطن الأوائل من علماء العربية وفقهاء الإسلام إلى أهمية العناية بالأبناء والحث على تأديبهم وتعليمهم وإرشادهم للأخذ بأسباب التعليم والإفادة من مطالعة الكتب التى تخاطب القلب وتنمى العقل. ويقول الإمام الغزالي (- ١١١١م): «أيها الولد كم من ليلة أحييتها بتكرار العلم ومطالعة الكتب.. أيها الولد إذا قرأت العلم أو طالعته، ينبغى أن يكون علمك يصلح قلبك ويزكى نفسك»<sup>(٤)</sup>، وفى هذا قال ابن المقفع «والعقول سحجات وغرائز تقبل الأدب، وبالأدب تنمو العقول وتزكو وليس غذاء الطعام بأسرع فى نبات الجسد من غذاء الأدب فى نبات العقل.. بالأدب تعمّر القلوب وبالعلم تستحكم الأحلام»<sup>(٥)</sup>.

إن النظرة إلى الطفل وإلى أدبه المنشود، بحاجة إلى إعادة البحث والتتقيب فى تراثنا الأدبى الفكرى لاستخراج أدبيات الطفل بمعناها الفنى المستحدث لأن أغلب النتاج الذى قدم لجمهور الطفولة من

معظم الكتاب، هو ما يمكن أن نطلق عليه النتاج المعرفى باعتباره نتاجاً يتعلق بالعقل والتمييز والفهم والاستدلال والثقافة العامة، أما أدب الطفل المنشود فهو الذى يتكىء فى أساسه على الإبداع الخلاق والعوامل الوجدانية، فهو أدب عاطفى يسير فى خط مواز مع مضمون ذلك الكم الهائل من كتب الأطفال المدرسية المعرفية. ونكاد نجزم بوجود نظرة قاصرة غير مبالية لأدب الطفل من المبدعين المعاصرين بإهمالهم التوفر على إبداع أدبى متميز له، وقد قوت ذلك على المجتمع فرصة البناء التربوى المتكامل، ونعنى به إكتساب المعرفة والتعليم، والتزود بالقيم الخلقية وحفز الميول الابتكارية الإبداعية وتنمية الميل للأدب والفن بسبب عدم التناغم فى عزف أنشودة البناء التربوى المتكامل من ناحية، وأيضاً توقف الأدباء عن السير فى خط مواز لجهود رجال علم النفس والتربية وكتاب الثقافة العامة للطفل من ناحية أخرى.

إن الجهود الحاضرة على المستوى القومى<sup>(٧)</sup> تستشرف صياغة خريطة جديدة للطفل، من زمن الحمل إلى نهاية الطفولة المتأخرة، وهى مرحلة طويلة ومتشعبة على درجة عالية من الدقة والخطورة لو أهملنا جانباً من الجوانب التى يحتاجها الطفل لحساب جانب آخر، ولعل الطفل المصرى بحاجة إلى الأدب والفن قدر حاجته للتعليم والإشباع الفسيولوجى أو الرعاية الاجتماعية، وهذا كله يتطلب السير

فى نسق مخطط لنحقق مفهوم التربية المتكاملة والذى عبرت عنه  
الفقرة السابعة من الإعلان العالمى لحقوق الطفل:

« .. من حق الطفل أن يتلقى تعليماً مجانياً وإجبارياً على الأقل فى  
المراحل الأولى ويجب أن يعطى تعليماً يرقى بثقافته العامة، ويساعده  
على أساس من الفرص المتكافئة.. ويجب أن تنمى قدراته ومداركه  
وإحساسه»<sup>(٧)</sup>.

إن اهتمام الدول والحكومات بالطفولة - حاضرها ومستقبلها -  
دليل على صدق الاتجاهات الحديثة فى سائر الثقافات الإنسانية  
المعاصرة، التى ذاقت جميعاً ويلات الحضارة المادية الحاكمة لعالم  
اليوم، ولعل إصدار منظمة الأمم المتحدة لميثاق حقوق الطفل ومؤتمر  
رؤساء الدول تحت مظلة الأمم المتحدة أيضاً - يمثلان خير تمثيل  
اتجاه المسيرة الحضارة نحو البناء الروحى، فميثاق حقوق الطفل  
يستهدف الأجيال الناشئة فى كل بقاع العالم بحيث يأخذ الطفل حقه  
فى الحياة من خلال تربية متكاملة فى جانبها المادى والروحى كى  
يتحمل دوره فى مستقبل البشرية وهو فى حالة إشباع وجدانى بعد  
أن كادت الحضارة المادية تطمس الآثار الإيجابية الوجدانية فى  
الطفولة، وهو العامل الحاسم فى مستقبل أى أمة، لذلك تصدر  
الإعلان لميثاق حقوق الطفل عبارة سديدة تقول: « من الواجب على  
الإنسانية أن تمنح الطفل أحسن ما تملكه»<sup>(٨)</sup>. ومما لا شك فيه أن

للأدب دوره الحيوى فى حفز ملكات الطفل الروحية، وعلاقة الطفل بالأدب علاقة مميزة، تسهم فى تكوينه الوجدانى وترقية مشاعره وتهذيب سلوكه وتأصيل الميل إلى الفن والثقافة، فالأدب بفنونه له جاذبيته وتأثيره على الأطفال إذا حظيت مادة الأدب بمقومات أدبيات الطفل التى تتفق ومداركه، ودرجة استيعابه، ومدى تذوقه، ومن المعروف أن الطفل يخاطب قبل التعلم المدرسى مخاطبة حسية من المحيطين به وبالتالي فإن التعامل مع قلب الطفل وأحاسيسه ومشاعره يجرى فى مرحلة تسبق الأساليب التى تقوم فى أساسها على العقل والمنطق، فأغاني المهد الموقعة التى يتلقاها الطفل هى أول علاقة أدبية وجدانية تنشأ بين الأم والطفل، إذ أن هذه الأمهومات تلعب دورها الحيوى فى وضع البذرة الأولى فى تربية التربية الوجدانية وتنبيه مشاعر الطفل للأحاسيس والمشاعر والأنغام الموقعة، فالطفل إذا - وقبل الوصول إلى رياض الأطفال وسن المدرسة - «من أشد المخلوقات قابلية للتأثير والانفعال، ومحبة للكشف والاستطلاع، ورغبة فى تحقيق الذات»<sup>(٩)</sup> وقد أخضع علماء علم النفس الارتقائى الطفل فى مراحل نموه المختلفة لعدة بحوث ودراسات تتعلق بطبيعة ودرجة إشباع الحاجات عنده. ومن البحوث الهامة فى هذا الصدد البحث الذى قدمه ستين «StienM,I» تحت عنوان استثارة الإبداع «Stimulating Creativity» عند الطفل،

حيث وجد أن الحاجات الإنسانية تبدأ فى مدرج قاعدته إشباع الحاجات الفسيولوجية وعلى قمته الإشباع الروحى أو الوجدانى من خلال مفهوم التقدير واحترام الذات، والذي لاشك فيه أن ما يكتسبه الطفل من الأدب «ليس مجرد الإشباع أو غير ذلك من المكتسبات المباشرة التى ينصرف إليها الذهن لأول وهلة، إن ما يكتسبه بالدرجة الأولى هو التهيؤ لفهم الآخرين والتفاعل معهم بما يناسب المواقف، والقدرة على عمل الأشياء وتوليد الأفكار ومواجهة المشكلات».(١٠) وهناك حقيقة هامة فى مجال الأدب الموجه للطفل هى أن الأنواع الأدبية التى تناسب الكبار لا تناسب الصغار بالضرورة لأن «الوصول إلى مشاعر الأطفال والتجاوب معهم فى غير افتعال مسألة فى غاية الصعوبة، إذ يقف الكاتب للأطفال على حد دقيق دقة السيف بين تيسير قد يؤدى إلى درك من الإسفاف، وسمو قد يؤدى إلى إنقصاص عن الطفل وإمكاناته».(١١).

إن العلاقة بين الأدب والطفل علاقة متعة ومنفعة، الأمر الذى تؤكد أهداف أو الوظائف التى يتضمنها الأدب للطفل، فأدبيات الأطفال تنتظم فى سلسلة وظائف أهمها تأصيل القيم الخلقية والجمالية والتربوية واللغوية والثقافية المعرفية بعامة، وهذه القيم السلوكية والفنية منها ما يهدف إلى الترويح والمتعة وجلب السرور، ومنها ما يعمل على الارتقاء بسلوكيات الأطفال وأخلاقهم، بالإضافة

إلى غرس القيم الفنية الإيجابية فى «إطار التربية الوجدانية، عن طريق إثارة انطباعات الطفل الحسية والمعنوية وبما يقدم له من الصور الذهنية والفكرية ويفسر له الظواهر والمعانى»<sup>(١٢)</sup>. ومهما يكن من أمر التعددية الواضحة فى طبيعة أدب الأطفال وغاياته من حيث هو أدب مستحدث فوق خارطة الأدب الكبرى، فإن هذا الأدب يستهدف فى أهم توجهاته توسيع دائرة التشكيل الوجدانى للطفل فى خط مواز للمنهج المدرسى. إن أدب الطفل فى مجمله ليس تحريك المشاعر الإيجابية وحفز الوجدان فقط وإنما هو أدب موجه نحو «الثقافة بمفهومها الواسع وأعنى به مجموع التصورات والأفكار التى تنتظم فى ذهن الأمة ووجدانها»<sup>(١٣)</sup>.

والأثر الإيجابى الذى يحققه الأدب فى عقل وقلب الطفل لا يقل أهمية عما يحققه النواحي الاجتماعية والتعليمية وسائر النواحي التربوية، لأن الطفل يكتسب القيم الوجدانية شيئاً فشيئاً عن طريق الفنون الأدبية، وتأثير الأدب على الطفل يعكسه عشق قيم الجمال وتذوقها، وما نقدمه للأطفال ما هو إلا وسائل للتعبير تعتمد على الأصوات والألفاظ والخطوط، وهى تساعد الفرد الناشئ فى تعميق رؤيته الجمالية وعاداته وإتجاهاته ومعلوماته ومهاراته، فى صلتها بالكون الذى يحيط به، والعلاقات التى تنتظره، وفى الاندماج مع عالم الكبار والدخول إلى ميادين الحياة، إن المدرسة بمناهجها والكتب

بمعارفها تعطى الطفل البناء المعرفى، أما الأدب بفنونه فيعطى  
الطفولة النمو الوجدانى.

### الطفولة بين مفاهيم التربية و«مفاهيم الأدب»:

عرضنا فى المدخل السابق أهمية الأدب بالنسبة للطفل، ومدى  
حاجة البشرية لإشباع الحاجات الروحية فى نفوس الأجيال الناشئة،  
وبعد أن طغى الجانب المادى فى الحضارة الحاضر على أمل  
الإنسانية فى إقامة الدعائم الروحية لحضارة جديدة تأخذ بالجانبين  
المادى والروحى جميعاً، وقد ألمح المبحث فى البداية إلى ضرورة فصل  
العوامل المعرفية عن العوامل الوجدانية عند تقديمنا لمضمون أدبيات  
الطفل، وبالتالى يكون محور الأدب الموجه للطفل هو تعميق وترقية  
الجانب العاطفى واللغوى عنده، ونستعرض فيما يلى عدة مفاهيم  
تدور حول الجوانب التالية:

#### (أ) التربية (ب) الطفولة (ج) الأدب

وذلك من خلال استقراء آراء بعض رجال فلسفة التربية وعلماء  
اللغة والأدب نظراً لأهمية تأثير كل جانب منها فى الجانب الآخر  
بالسلب والإيجاب من ناحية، ولأهميتها فى تحديد مجال البحث من  
ناحية أخرى:



## الطفولة ومفاهيم التربية:

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان فى أحسن تقويم، وميزه عن سائر المخلوقات بالعقل والتفكير والحواس التى تنبض برقّة المشاعر وفيض الأحساس، يقول فى ذلك عز من قائل: (الذى أحسن كل شىء خلقه و بدأ خلق الإنسان من طين. ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون) الآيات (٧-٩) سورة السجدة. لقد خلق الله الإنسان وهياً له كل الأسباب للبحث فى الكون، باعتباره خليفة الله فى الأرض المكلف بحمل الأمانة بأعبائها العظام (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان). الآية (٧٢) سورة الأحزاب. وفى سبيل قدرة الإنسان على حمل التكاليف الثقالة زوده الله سبحانه بوسائل الاتصال التى يتمكن عن طريقها من بناء جسور بينه وبين من حوله، ومن ثم القدرة على الإدراك والانتباه والتذكر، والتمييز بين المتناقضات، قال سبحانه وتعالى: «ألم نجعل له عينين، ولساناً وشفقتين، وهديناها النجدين» الآيات (٨-١٠) سورة البلد. ومما لا جدال فيه أن الطفل يولد وقد زود بكافة وسائل الاتصال للتعامل مع كل المحيطين به ومن ثم تنمو تلك الحواس، ويلعب أول دور ملحوظ فى أدوار التربية من خلال الوالدين، وفى الحديث النبوى يقول الرسول

صلى الله عليه وسلم: « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو  
يمجسانه أو ينصرانه».<sup>(١٤)</sup> واكتساب القيم والاتجاهات والسلوك  
تجيء من خلال روافد التربية إذ يتعلم الطفل، ويدرك ويتأثر، ويختزن  
طوال مراحل طفولته الأولى أساس تلك القيم لمستقبل ينتظره. وقد  
قال الإمام على بن ابي طالب «علموا بنيكم أخلاقاً غير أخلاقكم،  
لأنهم خلقوا لزمان غير زمانكم».<sup>(١٥)</sup> ولو استعرضنا معنى التربية لغة  
ومعنى، سيطالعنا الأصل اللغوي للكلمة فى مادة (رب) ففى لسان  
العرب لابن منظور تجيء رب بمعنى: «الرب يطلق فى اللغة على  
المالك والسيد والمدبر والمربى والقيم والمنعم.. وربيت القوم سستهم أى  
كنت فوقهم»<sup>(١٦)</sup> وفى الحديث لك نعمة تربها أى تحفظها وتراعيها  
وتربها، كما يربى الرجل ولده.. وفى حديث ابن ذى يزن: أسد تربب  
فى الغيطان أشبالاً، أى تربى وهو أبلغ منه ومترب بالتكرير الذى  
فيه، وتربيته وأربيته ورباه تربية على تحويل التضعيف وترباه على  
تحويل التضعيف أيضاً أحسن القيام عليه ووليه كان ابنه أو لم  
يكن<sup>(١٧)</sup>. وينسب التهانوى صاحب كشاف اصطلاحات الفنون -  
الربانى إلى الرب فيذكر: الرب هو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى الحد  
التام<sup>(١٨)</sup> وقد قال الإمام البيضاوى (-٦٨٥هـ) إن: الرب فى الأصل  
بمعنى التربية وهى تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً ثم وصف به  
تعالى للمبالغة، وهو متأثر فيما أرجح بمقولة وردت فى هذا المعنى

بكتاب مفردات الراغب الأصفهاني (٥٠٢) هي: الرب في الأصل: التربية، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام<sup>(١٩)</sup>. وتنطبق تلك المقولة على تربية الطفل من حين ولادته إلى أن يبلغ ويشب. ومن قبلهما قال أبو حاتم الرزاي (٣٢٢هـ) في كتاب الزينة: الرب من التربية، واشتقاق الرب من التربية، يقال رباه يربيه تربية وربيه تربيه تريباً، إنما قيل للمخلوق رب الشيء لأنه يسوسه ويديره.. والتربية هي القيام عليه بالإصلاح حتى يبلغ المراد ومن أجل ذلك سمي الربائب لأنهم يتربون في حجور أزواج أمهاتهم فكأنهم قاموا بإصلاحهن حتى بلغوا (٢٠). قال الله عز وجل: «ربائبكم اللاتي في حجوركم» الآية ٢٣ سورة النساء.. وغير الأصل اللغوي لمادة (رب) في المعاجم عند علماء اللغة، نستطيع أن نستعرض بعض المفاهيم الاصطلاحية للتربية في القديم والحديث. فقد وقف أصحاب المذهب الفلسفي المثالي عند مفهوم التربية موقفاً يتلخص في إعداد العقل السليم في الجسم السليم على نحو ما قال بذلك افلاطون وأرسطو. وتعنى التربية عند الفيلسوف الطبيب ابن سينا «سياسة» وقد عبر عن ذلك بمقولته التي ضمنها كتابه «السياسة»: سياسة الرجل أهله وولده<sup>(٢١)</sup>. أما رجال التراث الشعبي فينظرون إلى التربية على أنها عملية المحافظة على التراث الثقافي عن طريق نقله من جيل إلى جيل. وقد دارت معظم آراء علماء العلوم الإنسانية المحدثين حول دمج

مفهوم التربية فى عمليات التعلم والتكيف واستثمار قدرات الإنسان،  
ومفهوم جون ديوى (١٨٥٩ - ١٩٥٢م) للتربية يعد من المفاهيم الأكثر  
قبولاً وذيوعاً إذ تعنى التربية عنده: الخبرة التى تؤدى إلى مزيد من  
كسب الخبرة (٢٢).

وليس من السهل اليسير تحديد مفهوم جامع مانع للتربية، لأن  
التربية تخضع فى أساسها لعوامل بناء تتسم بالتنوع والتغير وفقاً  
«للتغيرات التى تطرأ على المجتمع والذى يخضع بدوره للعوامل  
البيئية (المكانية والزمانية) حيث إن هناك ارتباطاً عضوياً وثيقاً بين  
التربية والمجتمع الذى توجد فيه وتقوم فيه بوظيفتها». (٢٣) فعملية  
التربية تنصرف فى جوهرها إلى «إعداد الناشئ إعداداً يساعده  
على أن يصبح فرداً قادراً صالحاً لنفسه وذويه، ومتجاوباً مع  
مجتمعه، منتجاً فيه عن طريق تنمية البدن السليم وتهذيب النفس  
وترقية المشاعر والوجدان وتثقيف الفكر وتحصيل المعارف» (٢٤). وقد  
تنبه أدباء اللغة العربية الأوائل لأهمية التربية فى إطارها التهذيبى  
فقال بعضهم (٢٥): «أطبع الطين ما كان رطباً وأغمر العود ما كان لدنا  
وقال الشاعر

إذ المرء أعيته المروءة ناشئاً      فمطلبها - كهلاً - عليه شديد (٢٦)

وشبيه به قول البوصيرى:

والنفس كالطفل ان تهمله شب على      حب الرضاع وإن تطفمه ينظم

وقال شاعر من شعراء الحكمة:

|                       |                           |
|-----------------------|---------------------------|
| وإن أدبتك في الصببا   | كالعود يسقى الماء في غرسه |
| حتى تراه مورقا ناضرا  | بعد الذي أبصرت من يبسه    |
| والشيخ لا يترك أخلاقه | حتى يوارى في ثرى رمسه     |

ولم ينفصل مفهوم تربية الطفل بمعناه اللغوي أو الاصطلاحي في الحضارة الإسلامية عن الآداب العامة، ونعنى بها السلوك والتهديب والتأديب ورعاية الناشئة بأدب الدنيا والدين، ولم تقترن التربية كذلك في - تاريخ الأدب العربي - بالأجناس أو الأنواع الأدبية بأوجه الشبه أو التماثل لمفهوم اصطلاحى مشترك الأغراض أو معان لغوية تجمعها، ولكن الذى لاشك فيه أن الأدب والتربية اشتركا معا في توجيه الأغراض الخلقية والقيم السلوكية الايجابية التى حث عليها الدين والقيم العليا، كما أن العمليات التربوية تستنبط من المفاهيم اللغوية العناصر التى تمكنها من رعاية الأطفال والناشئة من مثل «المحافظة على فطرة الناشئ ورعايتها.. تنمية مواهبه واستعداداته كلها وهى كثيرة متنوعة.. توجيه هذه الفطرة وتلك المواهب كلها نحو صلاحها وكمالها اللائق بها.. بالتدرج فى هذه العملية وهو ما يشير إليه البيضاوى بقوله «شيئا فشيئا» والراغب بقوله: «إنشاء الشيء حالال فحالا...»<sup>(٢٧)</sup> وفى المجتمع العربى القديم، نهض بمهمة التربية فى الأعم والأغلب المربيات والأمهات والجديات والمعلمون والمؤدبون.

نخلص مما سبق إلى أن التربية تخضع للتغيرات المجتمعة، كما

تقوم التربية الحديثة فى أساسها على بناء ورعاية الطفل من خلال البيئة الأسرية والبيئة المدرسية بمناهجها وأساليبها التربوية وما تبثه مؤسسات المجتمع من غرس لمبادئ وأفكار وتصورات وأداب عامة، غاياتها التعليم والتثذيب ووفقا للقيم السائدة والمتغيرة فى أى مجتمع. وفى نهاية هذا المبحث الفرعى أعتقد أن التربية بمجالاتها وأساليبها وأوارها تختلف عن مهمة الأدب ووظيفته الفنية والجمالية بالنسبة للطفل، لأن الإبداع الفنى والأدبى يتجه فى الأصل نحو وجدان الناشئ الصغير، يفجر طاقاته ويحفز مشاعره ويشجع ملكاته الابتكارية من خلال شحنة وجدانية أدبية تجلب المنفعة والبهجة وتستهدف تحريك المنهج المدرسى المحدد - والجاف - باتساع رقعته من الاطار التعليمى وفق برنامج أعد سلفا إلى إطار مدرسى متكامل يتضمن شحنات للعقل والوجدان فى نسق واحد يتناغم مع سائر المؤسسات المحيطة فى نطاق المدرسة وخارجها، وليس ذلك بعسير فدروس الآداب الفرعونية القديمة «بما تضمنته من شعر ونثر كان لها تقديرها البالغ فى المناهج التعليمية، وكانت دروس الأطفال تبدأ مع التلميذ فى المرحلة التعليمية الأولى بفقرات بسيطة، ثم يواصل دراستها فى مرحلته المتقدمة بنصوصها الكاملة»<sup>(٢٨)</sup> واستقرأ معظم البرديات المصرية القديمة التى تتضمن الحياة التربوية والتعليمية فى مصر الفرعونية يدلنا على دقة ذوق ووعى بالغ عند

اختيار المصرى القديم للنصوص الأدبية، فهي تبتعد عن الغموض، والتعقيد، والتكرار فى غير موضعه، والتكريس والنصح المباشر. كما كانت المدرسة التربوية المصرية القديمة تشجع فى الطفل الجانب الإبداعى وتعد الناشئ «بالاشتراك فى الهيئة الحاكمة، وبخير أسمى وخلود يذكر لمن يستطيع أن يؤلف كتاباً يطالعه الناس ويلتمسون فيه سحره.. سحر بيانه وحكمته»<sup>(٢٩)</sup>.

### مفهوم الطفولة :

أوضح الاستقراء السابق لمفاهيم التربية طبيعة العلاقة بين التربية والأدب ونستعرض فيما يلى المفهوم اللغوى والاصطلاحي للطفولة باعتبارها الشريحة<sup>(٣٠)</sup> الإجتماعية محور البحث الأدبى فى موضوع الكتاب، فالطفولة مرحلة عمرية من عمر الكائن البشرى تتسم بأطول وأدق مرحلة طفولة بين سائر المخلوقات.

قال الله تعالى فى القرآن الكريم فى شأن معجزة خلق الإنسان «إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً» الآية ٢ سورة الإنسان، وفى شأن كمال خلق الإنسان: «لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم» الآية ٤ سورة التين، «الذى خلق فسوى، والذى قدر فهدى» الآيتان ٢. ٣ سورة الأعلى، وعلمه سبحانه البيان: «الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان» الآيات (١-٤) سورة الرحمن، وميزه عز وجل بالحواس: «ألم نجعل له عينين ولساناً

وشفتين وهديناه النجدين» الآيات ٨: ١٠ سورة البلد. تدلنا الآيات  
البيانات السابقة عن معجزة خلق الإنسان الذى كلفه الله عز وجل  
بحمل الأمانة والنهوض بتبعاتها الثقال العظام، وقد زوده - سبحانه  
- بالعقل والسمع والبصر والفؤاد، وسائر الحواس التى تؤهله  
للإدراك والمعرفة، ومنذ أن قال سقراط (-٤٦٩ ق.م) كلمته المشهورة:  
إعرف نفسك، ومحاولات الباحثين لم تنقطع بحثاً عن حقيقة الإنسان  
فى جانبيه المادى والروحى.. وقد شهد القرن الحالى ثورة معرفية  
شملت كل جوانب الحياة، ثورة حققت للإنسان فرصاً أفضل للعيش  
والسيادة على الأرض كخليفة لله عليها. وبعد الإشباع المادى لإنسان  
الحضارة المادية الحاكمة وبآثارها الطاحنة، رأيناه يتوجه - ضمن  
توجهاته المتعددة - إلى الطفولة ليعيد تشكيلها باعتبار الطفولة بداية  
الحياة، ولقد ساعده فى ذلك ما قدمته الدراسات البيولوجية والنفسية  
من براهين على أن الطفل هو أب الرجل، وأن الأمة كالفرد. من هنا  
أخذ العلم المعاصر يبحث فى جلد ودأب حول الطفولة حيث بداية  
تشكل الإنسان، فمع بداية هذا القرن، زاد اهتمام الدارسين  
بالإنسان فنشأت علوم متخصصة تعنى بالظاهرة الإنسانية من  
جوانبها المتعددة، النفسية والاجتماعية والصحية والبيولوجية  
والأنثروبولوجية. وبفضل الاكتشافات والنتائج المذهلة لهذه العلوم  
واستطاع المؤلف أن يفيد منها فى البحث، ويأخذ عنها فى إطار



الاتجاه الجديد المسمى بوحدة العلوم تجاه الظاهرة موضوع البحث. والإنسان الفرد في جانبيه المادى والروحى، تتصل به ككائن حى عاقل العلوم الإنسانية: علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الأنثروبولوجيا وغيرها من العلوم التى تبحث فى أسرار خلقه، وتنشئته الاجتماعية وتطبعه الاجتماعى، كما تدرس الإنسان فى مراحل نموه من المرحلة الجنينية إلى مرحلة الشيخوخة، وفى علاقته مع البيئة بشقيها المادى، والثقافى. كما حدث تقدم مماثل فى علم النفس الارتقائى وما صاحبه من بحوث عميقة لمراحل النمو، وأهمها ما تعلق بالوراثة والذكاء واللغة. كما قامت على دراسة سيكولوجية اللغة مباحث مستحدثة، أبرزها مباحث علم اللغة النفسى Psycholinguistics الذى يدرس السلوك اللفظى للمتكلم، أى اللغة فى نسق مواز مع دراسة نشاط العقل الإنسانى، أى الارتباط بين اللغة والفكر، وهذا ما أشار إليه الشاعر العربى بقوله:

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

ومرحلة الطفولة هى فترة الحياة التى تبدأ منذ الميلاد حتى الرشد، وهى تختلف من ثقافة إلى أخرى، فقد تنتهى الطفولة عند البلوغ، أو عند الزواج، أو يصطلح على سن محددة لها<sup>(٣١)</sup>.

كما قسم علماء علم نفس النمو مراحل الطفولة إلى أربع مراحل

هى:

(١) المرحلة الجنينية.

(٢) مرحلة الطفولة المبكرة.

(٣) مرحلة الطفولة الوسطى.

(٤) مرحلة الطفولة المتأخرة.

ومع تنوع الخصائص المميزة لكل مرحلة من المراحل السابقة، وجد الاختلاف غير الجوهرى حول عدم اصطلاح العلماء لتحديد سن محددة تنتهى عندها آخر مرحلة من مراحل الطفولة، وأسباب ذلك تعود إلى الفروق الفردية بين النوعين الذكر والأنثى من ناحية، ولتغير العوامل البيولوجية والبيئية من ناحية أخرى، ومهما يكن من أمر فإن وصول الطفل الناشئ إلى سن البلوغ ككائن بالغ عاقل هو ما يمكن أن يقف بنا عند نهاية مرحلة الطفولة.

#### الطفل لغة:

وردت لفظة الطفل فى القرآن الكريم أربع مرات: اثنتان منها تشيران إلى المرحلة المبكرة قال تعالى «هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم يخرجكم طفلاً» الآية ٦٧ سورة غافر «نقر فى الأرحام من نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم» الآية (٥) سورة الحج. وواحدة للمرحلة المتوسطة من عمر الطفل، قال عز من قائل: «أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات

النساء» الآية (٣١) سورة النور. والأخيرة لمرحلة الطفولة المتأخرة «وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم» الآية ٥٩ سورة النور. وفي لسان العرب لابن منظور تفصيل للأصول اللغوية للفظه طفل فيذكر: قال الزجاج: «طفلاً هنا في موضع أطفال يدل على ذلك ذكر الجماعة وكان معناه ثم يخرج كل واحد منكم طفلاً.. والطفل والطفلة: الصغيران، والطفل الصغير من كل شيء، والطفل بالفتح الرخص الناعم، والجمع أطفال وطفول» (٣٢) والطفل الصغير من كل شيء إذا بين: الطفل والطفالة والطفولة والجمع أطفال (٣٣). والطفل لغة في المصباح المنير بمعنى الولد الصغير من الإنسان والدواب، ويكون الطفل بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والجمع.. ويبقى هذا الاسم للولد حتى يميز ثم لا يقال له بعد ذلك طفل، بل صبي وحزور ويافع ومراهق وبالغ، وفي التهذيب يقال له: طفل إلى أن يحتلم. وفي مختار الصحاح الطفل بمعنى: المولود وولد كل وحشية أيضاً والجمع أطفال. وقد يكون الطفل واحداً وجمعاً.. والطفل بفتححتين والطفيلي الذي يدخل وليمة لم يدع إليها (٣٤). وعلى شاكلة مثل هذا التوارد والتوافق والترادف وردت لفظة الطفل في ثنايا أمهات كتب التراث الشعري واللغوي بخاصة، والنتاج الفكري بعامة، وأن اختلف المسمى من طفل إلى صبي أو من ولد إلى غلام، وقد أقسم الله عز وجل بالولد في سورة البلد (ووالد وما

ولد) الآية ٣ سورة البلد .

وفى اللسان: الولد هو الصبى يولد.. والصبى يدعى طفلاً حين يسقط من بطن أمه إلى أن يحتلم، وفى مادة (صبا)، الصبى: الغلام والجمع صبية وصبيان، والمصدر الصبا، والصبوة: جهلة الفتوة.. والصبأ من الشوق يقال منه تصابى وصبا وصبا يصبوه وصبوا، أى مال إلى الجهل والفتوة والصبأ ربح تستقبل البيت، قيل لأنها تحن إلى البيت<sup>(٣٥)</sup> . وتدور مادة (ولد) فى سياق القرآن الكريم حول معان وموضوعات عديدة غير أننا نلخص اقتران مادة (ولد) فى المعنى القرآنى بأمرين: أولهما: المال باعتبار أن المال والبنون زينة الحياة الدنيا وهما أيضاً الثروة فى جانبها المادى والبشرى، والأمر الثانى: التأكيد على رفض أن يكون للرحمن ولد، وقال الله عز وجل «قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين» الآية ٨١ سورة الزخرف مما يدل على إعطاء البتة - تعالى الله عنها علواً كبيراً - مكانة سامية «وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولداً» الآية ٩٢ سورة مريم. وتعنى لفظة الصغار: مصدر الصغير فى القدر، لأن الصغار لغة فى اللسان: «الصغار بالفتح الذل والضميم وكذلك الصغير بالضم والمصدر الصغير بالتحريك.. والصغر ضد الكبر.. ويقال لصبى من صبيان العرب إذا نهى عن اللعب: إنه من الصغرة، أى من الصغار، وأرض مصغرة نبتها صغير لم تطل، والتصغير للاسم والنعت يكن شفقة وتحقيراً

ويكون تخصيصاً»<sup>(٣٦)</sup> وقد قال الله تعالى في مناسبة الدعاء للوالدين بالرحمة جزاء تربية الولد صغيراً: «ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً» الآية ٨ سورة العنكبوت، أما الغلام لغة في المصباح المنير: فهو الابن الصغير، وجمع القلة غلمة بالكسر، وجمع الكثرة غلمان، ويطلق الغلام على الرجل مجازاً.. والولد: بفتحين كل ما ولده شيء ويطلق على الذكر والأنثى والمجموع.. ويقال للصغير مولود ويطلق على الذكر والأنثى والمتنى والمجموع.. ويقال للصغير مولود لقرب عهده من الولادة ولا يقال ذلك للكبير لبعده عهده عنها<sup>(٣٧)</sup>. وقد ربطت العرب قديماً بين صغار الإبل (درdq) وصغار الإنسان، وقد دعى الأعشى إلى وليمة فقال شعراً في آل الملق:

نفى الذم عن آل الملق جفنه كجابية الشيخ العراقي تفهق  
ترى القوم فيها شارعين وبينهم مع القوم ولدان من النسل (درdq)

وتدور مادة (بنى) في اللسان بين معانى البنوة، قال الزجاج: «ابن كان في الأصل بنوا أو بنوة. وجمع الابن أبناء، وجمع البنت بنات والبنوة مصدر الابن يقال: ابن بين البنوة، وفي التنزيل الحكيم: من سورة هود: «هؤلاء بناتي، هن أطهر لكم». وقال لبيد في معنى الشرف:

فبنى لنا بيتاً رفيعاً سمكه فسمما إليه كهلها وغلماها

وقال عمرو بن كلثوم فى معلقته:

إذا بلغ الفطام لنا صصبى    تخرله الجبابر ساجديننا (٣٨)

فالصبى هو المولود حتى البلوغ، والغلام: الصبى من حين يولد  
إلى أن يشب (٣٩).

### الطفولة والعلوم المعاصرة:

توفرت العلوم الإنسانية الحديثة للعناية بدراسة الطفولة تربية  
وتعليماً و تثقيفاً بإخضاع الأطفال فى مراحل نموهم المتدرجة لمناهج  
وأدوات التفكير العلمى وصولاً إلى فهم الطفولة، ماضيها وحاضرها  
ومستقبلها، وأثمرت تلك الجهود العلمية عن ظهور علوم مستحدثة  
معاصرة مثل علم نفس النمو أو علم النفس الارتقائى وعلم اللغة  
النفسى (علم نفس اللغة) كمجالات جديدة من مجالات ميادين علم  
النفس.

وتطورت كذلك ميادين علم الاجتماع لدراسة الطفل فنشأ أخيراً  
علم اجتماع نمو الطفل كما عنى علم الانتروبولوجيا خلال العقود  
الأخيرة بالطفولة وعلاقة الجوانب الثقافية بشخصية الطفل وسلوكه.  
واتسمت الجهود المعاصرة فى مجال دراسات الطفولة بالتخصص

الدقيق كامتداد فكرى للصيحة القديمة التى أطلقها سقراط (٤٦٩ - ٣٩٩ ق.م) يوم قال: (إعرف نفسك) والصيحة التى أطلقها جان جاك روسو (١٧١٢ - ١٧٧٨م) يوم قال: (إعرفوا الطفولة)، إن هذا الكائن الفريد الذى اسمه الطفل، كان دائماً ولا يزال موضع الاهتمام والتأمل والدراسة من قبل المحيطين به ومن قبل كثير من العلوم الطبيعية والإنسانية على حد سواء، وقد حظيت العلوم الإنسانية بالنصيب الأكبر فى ذلكم الاهتمام، والواقع أن التعرف على الإنسان المحبب والمستهدف طفل الحاضر - هو رجل المستقبل - يتطلب عملياً الأخذ بالدرس العلمى المتكامل، فليس بوسعنا فهم عقل أو وجدان الطفل من خلال نظرة علمية منفردة لأحد العلوم الإنسانية أو الطبيعية بل من خلال جهود علمية تتضافر عليها «كل العلوم التى تعنى بالإنسان وأحوال الاجتماع البشرى، وتعتبر دراسة الأطفال واحدة من المعالم التى يستدل بها على تبلور الوعى العلمى فى المجتمع، لأن الوعى العلمى الذى يتشكل نتيجة لشيوع عمليات التفكير والبحث العلمى يقود إلى تكوين أفكار مرنة وموضوعية ومتكاملة وشاملة عن الإنسان وواقعه ومستقبله، وتعتبر دراسة الطفولة جزءاً من الاهتمام بالواقع والمستقبل معاً» (٤٠).

والأدب باعتباره تجسيدا فنياً للحياة والفكر والوجدان، من المجالات المستحدثة من حيث التأصيل والابداع - لجمهور الخبراء والطفولة - لأن الأدب نشره وشعره ليس حكراً على الكبار وحدهم فالطفولة هي جمهور الأدب في المستقبل بمثل ما هي نواة الأدب في الحاضر، ولأدبيات الطفل أعظم الأثر في إعداد الأجيال الناشئة، بما لأدب الأطفال من دور ثقافي متدرج مع قدرات الأطفال ومداركهم ومراحل نموهم العقلي والنفسي والوجداني.

يقول الزمخشري<sup>(٤١)</sup> في معنى قوله تعالى «ألم نجعل له عينين ولساناً وشفقتين وهدينا النجدين» سورة البلد، «ألم نجعل له عينين يبصر بهما المرئيات، و«لساناً» يترجم به عن ضمائر، و«شفقتين» يطبقهما على فيه ويستعين بهما على النطق.. «وهدينا النجدين» القدرة على التمييز بين الأشياء ومعرفة الحق من الباطل، إنها حواس الطفل التي خلقها الله له، وعن طريق هذه الحواس يدرك الطفل ومن ثم يحس ويتعلم ويتنبه ويتذوق. ويفسر العالم السويسري جان بياجيه (١٨٨٦ - ١٩٨٠م) هذا المفهوم بأنه يعني انتقال الطفل وبالتدرج من «محاولات الفهم والتفكير إلى المعاني المجردة، أو من المحسوسات إلى التجريدات»<sup>(٤٢)</sup> والطفولة في النهاية هي ثمرة القلب، وعز الأهل، ومهجة النفس، وسعادة الأسرة، وأعلى ثروات الأمة لأنها تعكس الصورة الواقعية لمستقبل الأمة ورقي البشرية. ولاشك أن الأدب



بفنونه وأهدافه مؤهل فى كل زمان ومكان لتعبيد الطريق الصحيح أمام الأجيال الناشئة، متعة ومنفعة فوق دروب الحياة المنشودة.

### الأدب والطفولة :

تعرضنا فيما سبق لبعض المفاهيم اللغوية والاصلاحية «التربية»: بغرض إيضاح أوجه الاتفاق والاختلاف مع «الأدب»، إذ الفروق بين التربية والأدب لا تعنى التعارض بينهما فهناك علاقة ترابطية فى بعض مقاصدهما كما يستهدف كلاهما الإنسان، لذلك تطلب المدخل إلى أدبيات الطفل استقراء المفاهيم التربوية فى القديم والحديث مع الوقوف عند معاجم اللغة وآراء بعض علماء الدراسات الإنسانية لمفهوم أو تعريفات الطفولة مع الاستدلال بالشواهد القرآنية ونتائج علم النفس فى تحديد مفهوم الطفولة. لاجدال حول أهمية الأدب - شعره ونثره - فى نقل تراث البشرية وخبراتها من جيل إلى جيل، والأطفال هم القطاع الممتد من عمر الإنسان المؤهل بخاصيتين هامتين تجاه الأدب وتذوق فنونه. أولاهما الاستعداد الذاتى والفطرى للاستمتاع بفنون الأدب والاستجابة لغاياته وتأثيراته، والثانية النقاء الوجدانى والقدر على التخيل لأن الطفل «الذى يتزعزع فى بيئة منظمة مرتبة، مؤسسة على كل القيم الجمالية يستطيع عن طريق تفاعله مع هذه البيئة أن يتشرب منها أسس الجمال، وبالتالى

يكتسبها فى نفسه، وستنعكس هذا الأسس حتماً فى سلوكه مع الآخرين، ويتنظيم العالم الخارجى فى إيقاع وتوافق، كالإيقاع والتوافق الذى نجده فى الموسيقى والرقص، الألعاب، والشعر والتصوير والنحت، وهذا الإيقاع والتوافق نفسه يمكن أن يكون حصيلة أساسية فى كيان الفرد»<sup>(٤٣)</sup> إنها فى النهاية الثمرة الوجدانية بحيث تنمو حساسية الفرد التى تجعله يستجيب استجابة انفعالية كى يستمتع وينتفع بالأدب أو الفن. وعلى ضوء ما تقدم يمكن القول بأن الأدب فى - إطاره الإيقاعى - كالإيقاع الموسيقى فى الشعر يضيف إلى خيال الطفل مدركات جديدة كما يعمق من تفكيره ويغذى مشاعره. والإبداع الأدبى الموجه أساساً للطفل، يسعد هؤلاء الأطفال ويسليهم وبالتالي «يطور وعيهم وطريقة فهمهم للحياة.. وينمى إدراكهم الروحى، ومحبتهم للجمال»<sup>(٤٤)</sup> إن الاشباع العاطفى وإثارة الانفعال الإيجابى بالأدب عند الطفل من خلال التربية الوجدانية يحقق أهم غاية تستهدف بناء الإنسان فالأدب فن تعبيرى يحرك المشاعر ويقوم على التذوق والاستجابة وتنمية الإدراك والخيال. يقول الشاعر أحمد زكى أبو شادى فى قصيدة له تحمل هذه المعانى أنشدها فى مناسبة ميلاد نجل المرحوم الأديب كامل كيلانى<sup>(٤٥)</sup> :

والطفل عبد للخيال وسيد فى الناس يحكم أمراً مأموراً

والأدب بفنونه الجمالية ما هو إلا وسيلة من وسائل التعبير عن انفعالات الإنسان وعواطفه وخبراته، وكلما نما الطفل يمكنه أن يكتسب قيماً من بيئته. والنتاج الأدبي الحاضر لم يفقد نظرتة للقيم العليا التي حفظها الضمير الجمعي للأمة، غير أن الأدب الإنشائي أو الوصفي لم يحظ باهتمام خاص منه كي يصوغ قواعد أدب الطفل ومعاييره. والطفل ذلك الكائن البشري النقي المتخيل الواعد يمثل الشريحة الاجتماعية القاعدية في أي مجتمع، ورقى هذا المجتمع أو ذاك يأتي نتيجة منطقية لما تقدمه مؤسسات المجتمع للأجيال الناشئة من إعداد تربوي متكامل، أو بعبارة أخرى من خلال بناء معرفي ووجداني متناغمين. إن النزعات التجديدية في ميادين الفن ، الأدب، السياسة، والفلسفة وغيرها من الاتجاهات التي واكبت منجزات العلم وتعقيدات الحضارة المادية الحاكمة، من أهم الدوافع التي مهدت التربة لبداية جادة وجديدة تستهدف تحرير الأجيال الناشئة من سلبات الحضارة المادية ومن الإسار التاريخي للنظم أو البرامج المدرسية الضيقة الجامدة، إلى آفاق منهجية جديد تخاطب الوجدان بميزان مساو للعقل، بحيث يأخذ الطفل في عملية تعلم واسعة المدى يذهب فيها الخيال إلى أعماق الماضي السحيق، وينطلق خارج هذا العالم ويتعرف على جوانب الحياة.. وهنا يأتي «دور أدب الأطفال بأجناسه الأدبية ذات المغزى الروحي والوطني، لينمو الصغير من

حالة التمرکز حول ذاته إلى کائن اجتماعي يتمرکز حول الآخرين، ويتحول من المتعة إلى الاحتمال إلى المشاركة الوجدانية، ومن المشاركة الوجدانية إلى الإحساس العقلي بشعور الآخرين»<sup>(٤٦)</sup>.

وعندما نستقرئ المناهج المدرسية في النظريات التربوية المعاصرة سنكتشف تركيزها على الاهتمام بالجانب الوجداني الذي أهمل طويلاً، ففي ألمانيا الغربية - وهي من الدول الحضارية الكبرى في العالم - ترتکز مناهجها المدرسية حتى الصف السادس من التعليم الأساسي على ما يلي: الدين، اللغة، الموسيقى، الفن، التاريخ، الاجتماع، الجغرافيا.. ثم يأتي التخصص بعد ذلك أي بعد الانتهاء من إجازة المستوى الابتدائي (الحلقة الأولى من التعليم الأساسي)<sup>(٤٧)</sup>. ونحن في ضوء ذلك في أشد الحاجة إلى الأدب الوجداني الموجه للطفل، ليسير هذا الجانب الفعال في نسق مواز للبناء المعرفي. وإذا كان الاهتمام السائد يتناول أوجه الرعاية الجسمية والتعليمية فإن البناء الوجداني للطفل يجب أن يدخل دائرة اهتمامنا ومحتوى مناهجنا وأساليب تربيته المدرسية والأسرية، وقد رأى ابن المقفع قديماً أن حاجة الفرد للأدب أسرع للعقل من الغذاء للجسد يقول في مقدمة الأدب الصغير: «ليس غذاء الطعام بأسرع في نبات الجسد من غذاء الأدب في نبات العقل، والعقول سجيّات وغرائز بها تقبل الأدب، وبالأدب تنمو العقول وتزكو...»<sup>(٤٨)</sup>.

فالأطفال صفحات نقية من كتاب البشرية المفتوح بالبراءة والخيال: ومشاركتنا الوجدانية للطفل، وفهمنا لاتجاهاته وميوله، يجب أن تجعلنا نستخدم الأدب بفنونه ومقاصده كي يندمج الطفل فى الحياة، فعن طريق التربية الوجدانية يتهدب ذوق الطفل ويصقل، وتنمو ميوله الابتكارية. ويكتشف قيماً إيجابية أكثر ارتباطاً بالمجتمع وأكثر اندماجاً - من بعد - مع عالم الشباب والكبار. إن ما يكتسبه الأطفال من عشق قيم الجمال وتذوقها لابد وأن ينتقل فى حياة الإنسان من التخصيص المنصب على الصورة، والتمثال، وقصيدة الشعر إلى ميادين الحياة نفسها.. إن ما نعلمه للأطفال ما هو إلا وسائل للتعبير تعتمد على الأصوات والألفاظ والخطوط والألوان، وهى تساعد الفرد فى تعميق رؤيته الجمالية، وعاداته، واتجاهاته، ومعلوماته، ومهاراته فى صلتها بالكون الذى يحيط به<sup>(٤٩)</sup>. إن النتائج العملية لعلم النفس الارتقائى - فى العقود الأخيرة - تعطينا مجموعة حقائق هامة، كى نغير من رؤيتنا المحدودة لعالم الطفل وخياله، ولعل تراثنا الشعبى كان الأسبق فى حدسه وفى صدق مقولاته من أن (الطفل أب الرجل) (اسأل عن المنبت) (هذا الشبل من ذاك الأسد)، وأجدادنا الأوائل هم فى نشأتهم وفطرتهم أهل الفصاحة والبلاغة والبيان، وهم خالدون بيننا بعبقريتهم الشعرية واللغوية والأدبية، أما ناشئة اليوم - حفدة هؤلاء الأجداد - فيقف

المجتمع بنظمه التربوية عاجزاً عن استثمار ثروته البشرية الحاضرة. ويكفى أن نطرح أمام ضمائرنا وعقولنا النتائج العملية التي أحرزتها دراسة ميدانية هامة حول الطفولة وخصائصها الدالة أجراها عام ١٩٦١ وايزبرج وسبرنجر Weisberg & Springer التي أسفرت عن أن الأطفال يتميزون بالخصائص الآتية: «البراعة في التخيل، الاستجابة للإيقاع والحركة والألوان، قوة صورة الذات، سهولة استدعاء الخبرات المبكرة»<sup>(٥٠)</sup>.

#### علاقة مفاهيم الأدب بالطفولة :

غاية هذا المبحث الوصول مع نهايته إلى مفهوم علمي لأدب الطفل كنوع أدبي يتفرع من شجرة الأدب الكبرى، وقد تطلب ذلك بداية الاستقراء لكل من: التربية المعاصرة بعامة، والأدب بخاصة. وبقي أن نطوف مع «الأدب» لفظة ومعنى لنكمل بذلك الحلقة المحورية في مجال أدبيات الطفل تمييزاً لهذا الجنس الأدبي المستحدث عن برنامج التعليم المدرسى من ناحية، وعن سائر النتاج المعرفي والتاريخي والثقافي الموجه للطفل من ناحية أخرى. بادئ ذي بدء نقف أمام مسلمة أساسية وهي أن علماء اللغة والأدب لم يدونوا عبر التاريخ الأدبي أى تعريف (محدد) للفظ «الأدب» برغم السمة الإنسانية المشتركة في نتاجه الإبداعي - كما أن علماء اللغة والأدب والنقد استطاعوا تقعيد وتقنين أشكاله التعبيرية وفقاً لقواعد ومذاهب ثابتة

ومتجددة ، لكنه - برغم هذا وذاك - تبقى للأدب خصوصيته كأبداع  
فنى خلاق يتصل بالشعور والادراك معاً.

وقد استعرض الدكتور مجدى وهبة - غير مرة - فى كتابه  
«معجم مصطلحات الأدب» معنى الأدب فى استقراء اصطلاحى  
لدوران «لفظة الأدب» فى تاريخ أدبنا العربى فيذكر:  
الأدب:

١- التهذيب والخلق: كقوله صلى الله عليه وسلم : أدينى ربى  
فأحسن تأديبى. (صدر الإسلام).

٢- التعليم: واشتق منها بهذا المعنى (المؤدبون) الذين كانوا  
يلقنون أولاد الخلفاء الشعر والخطبة وأخبار العرب وانشابهم فى  
الجاهلية والإسلام (عصر بنى أمية).

٣- أدب السلوك: التى يجب أن تراعى عند طبقة من الناس...  
(أدب الكاتب لابن قتيبة).

٤- كل المعارف غير الدينية التى ترقى بالإنسان اجتماعياً  
وثقافاً.. (إخوان الصفا فى القرن الرابع للهجرة).

٥- جميع المعارف دينية وغير دينية.. (ابن خلدون ٨٠٨ هـ).

٦- التهذيب والتعليم معاً. مثال ذلك (الأدب الكبير والأدب  
الصغير لابن المقفع).

٧- الكلام الإنشائي البليغ الذي يقصد به التأثير في عواطف القراء والسامعين، الأدب الإنشائي (المعنى الخاص منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي).

٨- كل ما ينتجه العقل والشعور (المعنى العام منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي)<sup>(٥١)</sup>.

ويقول الدكتور طه حسين في فقرة من كتابه «في الأدب الجاهلي» حول معنى الأدب فيذكر: «ليس لدينا نص صحيح قاطع يثبت أن لفظ «الأدب» وما يتصرف منه من الأفعال أو الأسماء كان معروفاً أو مستعملاً قبل الإسلام أو إبان ظهوره.. ثم كان الأدب: ما يؤثر من الشعر والنثر، وما يتصل بهما لتفسيرهما والدلالة على مواضع الجمال الفني فيهما، وكان هذا الذي يتصل بالشعر والنثر، لغة حيناً ونحوا حيناً، ونسباً وأخباراً حيناً ثالثاً، ونقداً فنياً في بعض الأحيان»<sup>(٥٢)</sup>. أما الأدب في أبسط علاقة له بالشعور فهو «النتاج العاطفي الذي يعبر فيه صاحبه بالألفاظ عن شعور عاطفي، وفيه إثارة للقارئ والسامع، أي ذلك التعبير اللفظي العاطفي المثير»<sup>(٥٣)</sup>. والأدب بصفة عامة شجرة تجمع ألوان الفنون التعبيرية وهو أكثر الفنون انتشاراً وتأثيراً، فالأدب يضم تحت مظلته فنون الشعر والقصة والرواية والمسرحية والمقالة والخاطرة وترجمة الحياة وغيرها، وجميعها تقوم في الأساس على حفز المشاعر وتحريك القلوب، وتنمية



المدارك، ويمكن تعريف الأدب فى إطار وظيفته الجمالية بأنه الإبداع الفنى لنماذج متنوعة فى مجالى النثر والشعر وهو تجربة القارئ حين يتفاعل مع النص طبقاً لمعانيه الخاصة ومقاصده ودلالاته. «ولكى نحدد الأدب تحديداً مفيداً فمن الضروري أن نفكر فى وظيفة الكلمات والصور، كيف تؤدي النماذج وتقدم رموز التجربة الجمالية التى يود الأديب التعبير عنها، وبمعنى آخر، كيف تساعد الرموز القارئ على إدراك النماذج والعلاقات والشعور والأحاسيس التى تنتج عن تجربة الفن الداخلية، وهذه التجربة الجمالية يمكن أن تكون خلقاً لتجربة جديدة أو امتداداً لتجربة حاضره أو إعادة تركيب لتجربة ماضية»<sup>(٥٤)</sup> وعلاوة على الدور المدرك للفن هناك مقاصده التربوية والأخلاقية: «وهناك مغزاه التعليمى.. إنه يؤثر أول ما يؤثر على إحساسنا ويستحوذ على انفعالنا»<sup>(٥٥)</sup>.

فقد كان الأدب - وما يزال - هو الذى يصور حقائق النفس البشرية بأسلوب تعبيرى جميل، فالأدب سجل للأفكار وعرض للمشاعر، وبواسطة الفنون الأدبية يكشف الإنسان عن خلجات النفس الإنسانية بكل آمالها وآلامها. كما تردد مفهوم الأدب بين الأجيال ليعبر كذلك عن الخبرات والمعارف والآداب الحسنة، التى يلقتها الآباء للأبناء ليواجهوا الحياة ويسلكوا فيها سلوكاً محموداً، وهى نظرة أخلاقية تعنى المنفعة والمتعة وتحمل كثيراً من معانى

الحياة التى تنظمها السلوكيات والأخلاق والفن والإبداع جميعاً. فالنتاج العقلى المدون فى كتب هو من المعانى الشائعة للأدب فى العصر القديم، أى من زمن الجمع والتدوين (القرون الهجرية الثلاثة الأولى). أما المعنى الخاص للأدب قديماً فيدل على الكلام الجيد الذى يحدث عند تلقيه لذة فنية إلى جانب المعنى الخلقى. وفى ذلك كتبت التصانيف وظهرت التأليف وظهرت التأليف ونظمت الأشعار الدالة حول هذه المفاهيم عن معنى أو معانى الأدب. يقول الشاعر المخضرم سهم بن حنظلة الغنوى:

لا يمنع الناس منى ما أردت ولا أعطيهما ما أرادوا حسن ذا أدبا

أى أنه يهذب النفس بنتاجه ويخاطب بروائعه. والأدب أيضاً «ومعه معظم المعارف الإنسانية الكبرى التى تمس الشعور والوجدان وتتمرد على المادة والتجسيم.. تأبى أن يكون لها تعريف جامع ومانع، وأن الوسيلة إلى معرفتها هى الحس والشعور وليس العقل والمنطق والتقنين».<sup>(٥٦)</sup> فالأدب - بمفهومه الفنى الحديث والمعاصر - يختلف عن مفاهيم عديدة التصقت به عبر تاريخ الأدب العربى، لغة واصطلاحاً، مثل معانى التأديب، والأدب، والمأدبة، وتهذيب الخصال، واصلاح السلوك واكتساب العادات الحميدة، وهو فى النهاية مجال تعبيرى مكتوب له فنونه النثرية والشعرية.. مجال رحب محبب إلى النفوس، يستأثر بالقلوب ويستهدف تنمية الوعى والشعور

والإحساس، وهو مع ذلك كله علم من العلوم الرئيسية التى لاغنى عنها فى كل أمة فى أعز مآلديها: اللغة وأدائها وما يدور حولها من تأصيل وتحديث.

من المعلوم أن الفروق ظاهرة بين لفظة الأدب وتطور معانيها - كما ألمحنا سابقاً - كما أن معنى كلمة الأدب يختلف من فرد إلى آخر اختلافات بعيدة، إذ يختلف الأدب فى مفهومه عند الفرد الواحد تبعاً لاختلاف تطوره الزمنى والعقلى، وكذلك يثار الجدل الفكرى فى كل مجتمع حول الأدب ووظيفته وما ينشأ عن ذلك من توليد لمذاهب أو نظريات أو أنواع أدبية تعبر عن فلسفة الأدب ومفهومه فى فترة ما وفى أدب أو آداب مختلفة، ومن ثم تتطور أو تتغير المذاهب والنظريات حول الأدب ويبقى معنى الأدب فى الوجدان الفردى الجماعى من خلال النتاج الإبداعى المكتوب، وغاية ما يمكن أن نقوله أن الأدب فوق كونه أهم الفنون التعبيرية الجميلة باللغة، هو علم له أصوله وقواعده ومذاهبه وغاياته، فلا يوجد الأدب بدون الاستعمال اللغوى باعتبار اللغة أداة ضرورية لنقل الأفكار والمشاعر، ويتطلب فى الأدب تقعيد هذه الوسيلة الضرورية وتنظيمها وتطويرها خلال بناء المبدع للنص الأدبى، ويحسم المعنى الدلالى لألفاظ اللغة فى النص الأدبى المقاصد التى يثيرها الأدب عند القارئ، فالقارئ يستقبل المفهوم العام للأدب ثمرة (جاهزة) للتمثيل والهضم،

عناصرها اللغة، وقواعدها الإطار الشكلى، والبيان إلى آخر الأطر البلاغية واللسانية والجمالية. ومهما يكن من شىء فإن الأدب كفن إبداعى خلاق ينهض بالأدوار الإيجابية فى المجتمع من خلال التناول الأدبى لمفاهيم الحق والخير والجمال.

وقد أحس الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بأهمية الأدب وعمق تأثيره فى الحياة والأحياء فأقام للشعر منبراً فى المسجد، كما قال عن شاعره حسان إنه ينطق بروح القدس، كما قال أيضاً: (إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحراً) وفى الحديث النبوى الشريف ما يؤكد الاهتمام بالأدب بعامة والشعر بخاصة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من الشعر لحكمة، فإذا ألبس عليكم شىء من القرآن فالتمسوه من الشعر، فإنه عربى». (٥٧) ورأى العلامة عبد الرحمن ابن خلدون أن الأدب هو الأخذ من كل علم بطرف بحيث يشمل مفهوم الأدب العلوم الدينية وغير الدينية، فالأدب يجمع عنده: «.. اللغة والنحو والبيان والأدب.. وثمرته الإجابة فى فنى المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم، ثم إنهم إذا أرادوا حد هذا الفن قالوا: الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف». (٥٨) إذن فالغاية من وراء تتبع مفهوم الأدب فى تراثنا العربى وفى بعض معانيه الحاضرة هو التأكيد على وجود علاقة وثيقة بين الأدب والإنسان أينما وجد وحيثما ارتحل، والأدب لازم الإنسان

منذ أدرك وأحسن وأبدع فكانت فنون الأدب متعته الوجدانية وما تزال.. والحضارة الإسلامية توجه الحس البشرى للجمال توجيهات تتضاعل أمامها مقاصد النظريات المتغيرة بزوال أصحابها، لأن شمول النظرة أبرز ما يميز الحضارة الإسلامية، فالفن الصحيح الخالد هو الذى «يهيىء اللقاء الكامل بين الجمال والحق فى هذا الكون، والحق هو ذروة الجمال، ومن هنا يلتقيان فى القمة التى تلتقى عندها كل حقائق الوجود»<sup>(٥٩)</sup>.

ومما لا شك فيه أن هذا يدلنا على مدى ارتباط الأدب بالرؤية الحضارية السائدة والمتغيرة فى المجتمع، وهو كذلك تصوير كامل للعلاقة الترابطية بين الإنسان والكون، وهو رؤية وجدانية عميقة تتجاوز الواقع الخارجى إلى انعكاسات داخلية تترجمها السلوكيات والقيم والأخلاق والخبرة بمواقف الحياة. والأدب أو الفن برؤيته الشاملة فى توجيه الحس البشرى يطمع إلى «تحويل الواقع الخارجى إلى وجدانية باطنية لكى تتحول تلك الحالة الوجدانية بدورها إلى سلوك خارجى»<sup>(٦٠)</sup> ومن المعلوم أن السلوكيات ترتبط بمعطيات التنشئة بعامة وأساليب النشأة والتكوين عند الطفل بخاصة، ومن ثم تأثر الأدب الوجدانى بسائر أساليب التنشئة الاجتماعية، إذ يتأثر بالوجود الاجتماعى ويؤثر فيه بدوره. ويعمل الأستاذ أحمد أمين فى كتابه: (ضحى الإسلام) هذه النظرة الشمولية

فى الحضارة الإسلامية لتوجيه الحس البشرى بالتركيز على أصول التنشئة وفى الأخذ بسبابها فيذكر: «.. يقول النبى صلى الله عليه وسلم: (أنا أفصح العرب، بيد أنى من قريش، ونشأت فى بنى سعد بن بكر). كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان فى النطق، وأحسنها مسموعاً وأبينها إبانة عما فى النفس، فإذا امتازت قريش بالفصاحة، فقد امتازت بنو سعد بسلامة اللغة، فجمع النبى صلى الله عليه وسلم الأمرين»<sup>(٦١)</sup> ولأهمية الأدب نثره وشعره فى تنشئة أطفال المسلمين غداة الفتح الإسلامى بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه بكتبه إلى ساكنى الأمصار يقول: «أما بعد.. فاعلموا أولادكم السباحة والفروسية ورووهم ما سار من المثل وما حسن من الشعر..»<sup>(٦٢)</sup> وكان (المؤدبون) لدى الخلفاء والأمراء من أدباء وعلماء يهذبون أبناء الخلفاء والقادة ويقومون بقدر هام من الأدب الوجدانى فكان يشمل تأديبهم بمعناه التهذيبى المثل والحكمة والشعر وأيام العرب وأخبارهم، ويعد هذا الاهتمام المبكر بأدبيات الطفل خطوة فى بناء العقل وترقية الوجدان من زمن بعيد. إن اتساع مخيلة الطفل وتنمية معارفه والارتقاء بمداركه بتنمية الحس الجمالى عنده هو جماع ما يستهدفه الأدب من بناء الإنسان من خلال تهيئة الحواس للتذوق والتخيل وبث مثيرات الانفعال الإيجابى بالأدب وبالتالى يتحقق السرور والمتعة والمنفعة. إن أدب

الطفل فى التراث العربى له وجوده ودلالاته، وقد فطن علماء اللغة وأدائها- من المؤدين - لأهميته، برغم عدم وضوح أدب الطفل كنوع أدبى مستقل له قواعده ومناهجه بين أمهات كتب الأدب والنقد.

ومما لا جدال فيه أن نتاج أدب الأطفال الموروث فى إطار الأدب العام يشكل الإرهاصات الأولى لتتبع نشأة أصوله التراثية وبالتالى إمكانية تأصيل مثل ذلك النوع الأدبى فى الأدب الحديث، وهو فى ضوء ما قدمناه أنفا جنس أدبى مركب يجمع بين العقل والوجدان له جذوره الأدبية المتفرقة فى ظل الحضارة الإسلامية، على عكس التصورات السائدة بين بعض كتاب الطفل من تغليبهم للكتابة المعرفية والثقافية والتاريخية على الجوانب الإبداعية، والأخيرة هى فيما نطمح إليه، الهم الأول لأدبيات الطفل. إن أطفالنا بحاجة إلى الأدب كعلم فى مناهجهم، يرقى بوجداناتهم قدر إشباع حاجاتهم التعليمية والصحية والغذائية، فهم صفحاتنا البيضاء التى نستطيع الكتابة فوقها عن وعى ومعرفة وخبرة جمالية، على نحو ما صنع أجدادنا الأوائل مع أطفالهم حتى صاروا من بعد القادة والعلماء والأدباء الذين أضاعوا فى القرن العاشر الميلادى - الرابع الهجرى - ظلمات أوروبا.

إن الطفل أمانة، وله علينا حقوق... إنه «... أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل

لكل ما نقش وسائر إلى كل ما يمال إليه...»<sup>(٦٣)</sup>. وهذا المخلوق البريء، عجيبة طبيعة، تنتظر التشكيل السديد رعايه عقلية تسير في نسق واحد مع الرعاية الوجدانية داخل المدرسة وخارجها، يقول الشاعر العربي القديم في ذلك:

إذا المرء أعيته المروءة ناشئاً فمطلبها - كهلا - عليه شديد

وليس من شك في أن الأدب، وبخاصة الجانب اللغوي منه، والذي ينمو مع الطفل تبعاً لتطور مراحل الطفولة المتدرجة يمثل القدرة المكتسبة. واللغة، باعتبارها الوعاء الحضاري للمعاني والقيم والأخلاق، تدخل في إطار وظيفة الأدب، بل هي إحدى وظائف أدب الطفل.

### مفهوم أدب الطفولة :

ثمة مسأمة يطرحها هذا الفصل مع نهايته، مؤداها حتمية التمييز بين النتاج الفكري (عن) الطفولة والنتاج الأدبي الموجه (لهم). فإذا ما طرحنا مؤقتاً النصوص الأدبية التي كتبت أساساً للطفل، ألفينا أن التصاق سائر النتاج المعرفي (المكتوب للطفولة) من المفاهيم السائدة الخاطئة التي تدرج هذا النتاج تحت مسمى أدب الأطفال، وينبغي تأسيساً على ذلك إعادة النظر في التمييز بين هذين النتاجين.

وقد كشفت نتائج إحدى الدراسات «الببليومترية»<sup>(٦٤)</sup> - في السنوات الأخيرة - عن أهمية الحاجة إلى فصل المؤلفات العامة في



مجال الطفولة عن الأدب الإبداعى الموجه للطفل بغرض بناء جسر جديد يؤصل الطريق لخلق أدب الأطفال فى المكتبة العربية..

فأدب الأطفال له آثاره الإيجابية فى تكوينهم وبناء شخصياتهم وإعدادهم ليكونوا رواد الحياة، والطفل هو الإنسان فى أدق مراحل وأخطر أطواره، ومن ثم فإن الاهتمام بالجانب الوجدانى من حياة الطفل يتعين ألا يعلوه أى اهتمام آخر. وعلى أية حال فالأدب الإبداعى الموجه للطفل له طبيعته المميزة عن أدب الكبار من حيث التعددية الواضحة لطبيعة هذا اللون من الأدب، فهو بوظائف التربية الوجدانية (الوظيفة الجمالية)، والوظيفة الأخلاقية، والنمو اللغوى، والانفعال الإيجابى بالأدب، عن طريق تنمية الحس الجمالى أو التنوق الفنى عند الطفل واكتسابه للقيم والسلوكيات، والمهارات اللغوية والتعبيرية والميل إلى اللغة وآدابها، ومن ثم التعبير السليم عن مطالبه وأفكاره ومشاعره. وقد تزايد فى النصف قرن الأخير النتاج الفكرى المطبوع فى مجال الطفولة، واتسم هذا النتاج المعرفى العام بالغزارة والتنوع<sup>(٦٥)</sup>. وقد شاع - كما ألمحنا سلفا - بين جمهور المؤدبين والمعلمين والكتاب نوع من التداخل بين الناحيتين: المعرفية العامة وأدبيات الطفولة المتخصصة.

وهذا لا يمنع من الاعتراف بالجهود المتتالية التى بذلها المحدثون من الكتاب والخبراء فى ميدان إنتاج الكتابة المعرفية لمراحل الطفولة،

تأليفاً واقتباساً وترجمة وتعريباً، فالمكتبة العربية بعامة، وفي مصر  
بخاصة، تضم قائمة ضخمة من المؤلفات الموجهة للطفل فضلاً عن  
الكتابة عنه، كما أنجزت عشرات<sup>(٦٦)</sup> الأطروحات العلمية بالكليات  
الجامعية حول الطفولة في جوانبها المختلفة ونستطيع بشيء من  
الرصد الببليوجرافى الوقوف على تساؤل الاهتمام بأدب الطفل، فلم  
يحظ أدب الأطفال باهتمام يذكر من البحوث الأكاديمية الأدبية  
(بكليات الآداب) غير أنه من الواجب الإشارة إلى الدور الذى قامت  
به جامعة حلوان باقترب بعض البحوث المقدمة إلى أقسامها التربوية  
والفنية من الجانب الأدبى والفنى عند الطفل، وقد توفرت بالبحوث  
العلمية فى معظمها حول الجوانب التربوية والرياضية والصحية  
والنفسية بنصيب وافر من الدرس الجامعى مع إهمال من جانب  
الباحثين يعدل الإهمال المثير للدهشة من المبدعين الكبار لعدم غزوهم  
قلب الطفل وحفز عالمه الوجدانى.

وقد يدور هذا التساؤل: لم التخصص فى أدب الطفل؟.. وللإجابة  
على هذا التساؤل نستقرئ الأصول التراثية والتغيرات الحضارية  
المعاصرة، فالحقيقة التى لا جدال عليها أن التراث العربى حمل إلينا  
عبر تاريخه الأدبى الطويل.. الأصالة، والتطور فى (الأنواع) الأدبية:  
النثر وأبوابه، والشعر وفنونه، وفى «الغايات» الأدبية، والتى اصطلح  
على تسميتها من بعد بالوظيفة فى الأدب والفن<sup>(٦٧)</sup>، وفى ضوء ذلك  
يتسم الأدب بإمكانية التغير والتجدد فى إطار المتغيرات الحضارية  
ثمرة لاهتمام العلوم المعاصرة بالإنسان.

يقول فى ذلك الشأن ابن قتيبة: «ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن نون زمن، ولا خص به قوما دون قوم، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده فى كل دهر، وجعل كل قديم حديثا فى عصره، وكل شريف (خارجى) فى أوله»<sup>(٦٨)</sup> ولا يعنى أن التجديد فى الأغراض الأدبية أو استحداث جنس أدبى ما، الانفلات كلية عن الأصول التراثية، وإنما تجيء هذه الأغراض أو تلك الأنواع مواكبة للتغير الحضارى الإيجابى الذى يستلهمه شعورنا الجمعى ولنوق العصر الذى نعيشه، لأن هذا كله رهين بالمحافظة على الجذور التراثية الأصيلة فى أدبنا.

ومما لا شك فيه أن الشعر العربى أغراض منها القديم الأصل ومنها الحديث المتجدد، ومن نافلة القول سرد الأغراض القديمة فى الشعر من مثل: الحكمة، المديح، الفخر، الرثاء، العتاب، الهجاء وغيرها. وبعد اتساع رقعة الحضارة الإسلامية والاحتكاك بالثقافات الأجنبية ظهرت مقاصد جديدة وأغراض متجددة كوصف المخترعات وظواهر الطبيعة مع الأحياء إلى آخر الأغراض الشعرية والأنواع الأدبية الجديدة فى إطار التغير الحضارى، على سبيل المثال لم يعرف أدبنا العربى إلى القرن الرابع الهجرى - العاشر الميلادى - اشكالا متجددة، وفى إطار تجديد النثر والشعر بدأت تخبو عدة أنواع أدبية مثل المقامات، الأندلسى فن الموشحات الذى ازدهر فى والرسائل الديوانية، كما خفتت أضواء وفنون «القوما» و«الكان كان» و«الدوبيت»، وفى المقابل استحدثت عدة فنون فى البيئة العربية،

فظهرت الأنواع النثرية والشعرية، مثل الرواية بمعناها الفنى الحديث وفن القصة القصيرة فى النثر، وفى الشعر ألفينا المسرحية الشعرية تفتح بابا جديدا فى الأدب العربى بعامه، وفى المسرح الشعرى بخاصة، كما فطن الذوق العربى إلى أهمية التجديد فى الأجناس الأدبية وهو فى لحظات التجديد الحضارية - كان يصدر - عن جذور تراثية تستلهم الشكل المعمارى الموروث مع تطويع الأنواع المتجددة لمعطيات الحضارة المعاصرة فى الشكل والمضمون، لاجرم إذن - إن قلنا - إن الأدب الأطفال كجنس أدبى مستحدث نشأ ليخاطب «عقلية» و«إدراك» شريحة عمرية لها حجمها العدى الهائل فى صفوف أى مجتمع، فهو أدب مرحلة من حياة الكائن البشرى لها خصوصيتها وعقليتها وإدراكها وأساليب تثقيفها فى ضوء مفهوم التربية الوجدانية التى تستعين بمجالى الشعر والنثر.

غير أن الشئ المهم فيما يتصل بهذا النوع الأدبى أنه ينشأ كما سبق وأن المحنا، فى اطار تغير حضارى من ناحية واهتمام العلم بكل ما يتعلق بالإنسان<sup>(٦٩)</sup> من ناحية أخرى، وفى ضوء ذلك يمكن القول بأن أى نوع أدبى يظهر زمن الحروب يسمى «أدب الجهاد» أو «أدب المقاومة» فالأعمال الأدبية أو الفنية التى تتجاوز فى أغراضها وتوجهاتها «الغرض التقليدى» كالرثاء أو التشبيب فى الشعر إلى أفاق إنسانية محورها الإنسان - أو الأبعاد الإنسانية - هى أعمال تقترب بالوظيفة الجمالية أو الأخلاقية، فأدب الرحلات أو أدب الخيال العلمى أو أدب الأطفال تنزع بدورها للتعبير عن الإنسان وإشباع

حاجاته فى إطار عمره.

ودفعا لتهمة الإقلال من شأن أدب الأطفال باعتباره نظماً شعرياً أو نثراً خيالياً، فيمكننا القول بأن «المتعة» و«الفائدة» من الطبيعة التعددية لهذا اللون الأدبى كفيلة لدفع التهمة وردها إلى أصحابها، فأدب الطفل هو أدب المستقبل لأنه أدب مرحلة طويلة من عمر الإنسان. وعلى أية حال، فإن الإبداع المؤسس على خلق فنى، والذي يعتمد بنيانه اللغوى على الفاظ سهلة، ميسرة، فصيحة غير حوشية تتفق والقاموس اللغوى للطفل<sup>(٧٠)</sup> بالإضافة إلى خيال شفاف، ومضمون متنوع، مع القصر المقصود للنص الأدبى الموجه للطفل - كل هذه وتلك عناصر دالة على اقترابنا من تحديد مفهوم أدب الطفل. وتبقى مسئلة أساسية مؤادها توظيف العناصر السابقة بحيث تقف أساليب مخاطبتها وتوجهاتها «لعقلية الطفل» و«إدراكه» كى يفهم الطفل النص ويحسه ويتذوقه، ومن ثم يكشف بمخيلته غايته أو وظيفته. ويزعم بعد ذلك كله أن أدب الطفل لا يختلف عن أدب الكبار إلا فى المستوى اللغوى للنص على عكس ما يتضمنه عند الكبار من خيال تركيبى معقد أو الفاظ جزلة أو معان تستغلق على عقلية الطفل وإدراكه. ومن الخطأ البين القول بأن مضامين أدب الأطفال «منفصلة عن أدب الكبار، أو أنها نشأت منعزلة عن التيار الأدبى العام، أو يظن أنها تقوم بمقاييس تختلف عن أدب الكبار... فقد يختلف أدب

الصفار عن أدب الكبار فى تلك الأمور التى لا مفر منها من أن تختلف فيها «العقليتان» و«الإدراكان» ومن ثم فنتاج الذهن من أدب الأطفال يستحق أن يواجه نفس المستويات من النقد»<sup>(٧١)</sup>.

وفى التراث الشعرى نجد «... فيضا من المقاطع التى كانت تغنى للأطفال عند تعليمهم أو تنويمهم، ومن بين هذا التراث ما هو أغانى مهد ترنمها الأمهات لأطفالهن عند تنويمهم، وأغانى ملاعبة يؤلفها الكبار للأطفال أثناء اللعب. وقد أطلق مصطلح ترقيص الأطفال على هذا الموروث الشعرى، ويمكن العثور بين ثنايا الأدب العربى القديم على بعض الأعمال الأدبية التى يمكن أن تتوافق مع قدرات الأطفال رغم أنها فى الأساس غير موجهة إليهم...»<sup>(٧٢)</sup> وفى خاتمة هذا الفصل نستطيع مما تقدم أن نصل إلى مفهوم لأدب الطفل تميزا لهذا النوع الأدبى عن النتاج الفكرى الذى يكتب حول الطفولة. إن الابداع الأدبى الموجه (لطفولة بمراحلها) خاصة من سن المدرسة إلى نهاية الطفولة المتأخرة، هو المنظوم والمنتثور من فن الأدب ويجب ألا يسبح خارج حدود دائرة الأدب إلى النتاج المعرفى العام.

ويمكننا تعريف أشكال أدب الطفولة فى ضوء ما قدمناه - آنفا - بأنه يقع فى دائرتين:

أولاهما: دائرة الشعر وتضم:

الأمهودات والأغانى الموزونة (أغانى الترقيص)، وأغانى اللعب

والمناسبات والأناشيد والأراجيز الشعرية، والمنظومات الشعرية القصيرة والمحفوظات التعليمية والدراما المبسطة (المسرح الشعري للطفل)، والقصة الشعرية على لسان الحيوان.

وثانيتها: دائرة النشر وتضم:

الحكايات القصصية، والأساطير (المعالجة)، الحكاية على ألسنة الحيوان والطيور، (الأدب الحكيم) الأمثال والوصايا والألغاز الأدبية والأحاجي اللغوية. أما إقحام الكتاب للنتاج المعرفي (تاريخي أو ثقافي أو علمي) في أدبيات الطفل فيعد هدمًا للمفهوم اللغوي والاصطلاحي لأدب الطفل، وأولى بأصحاب هذا النتاج الفكري - وهو غزير متنوع - أن يدرجوه تحت مظلة تخصصات العلوم وهي جد كثيرة ومتنوعة أيضا.

\* \* \*

## مواهب الفصل الثانی

(١) رواه الحكيم الترمذی، وتشير كتب السيرة والأخبار واللغة والأدب فی أكثر من موضع منها إلى أى مدى بلغت عناية الاوائل بالطفل، وتزايد هذا الاهتمام بظهور الاسلام فقد لقی الطفل فی ظل الحضارة الاسلامية أوجه العناية المتكاملة وأبرزها تغيير النظرة الجاهلية للطفل الأنثى وتحقيق الرعاية المتساوية بين الذكر والأنثى من ولادتهما حتى يشبا.

(٢) حطان بن المعلى المخزومی القرشي، شاعر اسلامى، انظر: شرح ديوان الحماسة. محاضرة الأخيار ومسايرة الأبرار: ص ٣٢، ص ٣٠٨.

(٣) الشوقيات. ج٣، قصيدة البنون والحياة الدنيا، ص ٥٩، ط القاهرة ١٩٤٧م.

(٤) أيها الولد المحب للإمام الغزالي، تحقيق عبد الله ابو زينة، ص ٣٢ - ٨٦، ط دار الشروق، القاهرة ١٩٨٣م.

(٥) آثار ابن المقفع، ابن المقفع، ص ٣١٨ - ٣٣٠ نشر دار مكتبة الحياة بيروت د. ت.

(٦) أبرزها انشاء المركز القومى لثقافة الطفل (١٩٨٠) وانشاء شعبية ثقافة الطفل بالمجلس الأعلى للثقافة، انشاء جائزة الدولة لأدب الطفل، انشاء المعهد العالى لدراسات الطفولة بجامعة عين شمس، وتدریس مواد أدب الأطفال وكتبهم ببعض كليات التربية والآداب، انشاء المجلس القومى للأمم المتحدة والطفولة، انشاء المجلس العربى للطفولة والتنمية، التوسع فى المكتبات والمعارض والمؤتمرات البحثية حول الطفولة والرعاية المتكاملة التى بدأت آثارها الإيجابية تشكل شخصية الطفل.



- (٧) الاعلان العالمى لحقوق الطفل، الأمم المتحدة، نيويورك، ٢٠ نوفمبر ١٩٥٩م.
- (٨) المرجع السابق.
- (٩) تنمية الابداع، د. زين العابدين درويش، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣.
- (١٠) مجلة المنهل. ملف العام الدولى للطفل، ع ٤٣٤، ص ١٩٩، السعودية. ١٤٠٥ هـ.
- (١١) ثقافة الطفل العربى، جمال أبورية، ص ٤٠، دار المعارف، ١٩٧٨.
- (١٢) الأدب والطفل، محاضرة القيت بالموسم الثقافى لكلية البنات بجدة. د. محمد أحمد حمدون، الثلاثاء، ٢٩ من صفر ١٤٠٦ هـ.
- (١٣) المرجع السابق.
- (١٤) متفق عليه.
- (١٥) مجلة المنهل، ملف العام الدولى للطفل، ع ٤٣٤، السعودية ١٤٠٥ هـ.
- (١٦) لسان العرب، ابن منظور، ج٢، ص ٣٨٤، ط الدار المصرية للتأليف والترجمة. د.ت.
- (١٧) المرجع السابق ص ٣٨٦.
- (١٨)(١٩) كشف اصطلاحات الفنون، التهانوى، ج٤ ص ٤ ط الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٢
- (٢٠) أصول التربية الاسلامية، عبد الرحمن النحلاوى، ص ١٣، دار الفكر دمشق، ١٩٧٩م.
- (٢١) كتاب الزينة، أبو حاتم الرازى، ج٢، ص ٢٩، ط القاهرة ١٩٥٨م.
- (٢٢) كتاب السياسة، عنى بنشره وتعليق حواشيه الأب يونس معروف اليسوعى

- فى كتاب مقالات فلسفية، ص٤، ط دار العرب البستانى بيروت ١٩٨٥.
- (٢٣)(٢٤) أصول التربية، د. ابراهيم مطاوع ص٥١ ط دار المعارف ١٩٨٣م.
- (٢٥) التربية والتعليم فى مصر القديمة، د. عبد العزيز صالح، ص. ٥، ط الدار القومية للطبع والنشر ١٩٦٦.
- (٢٦) تأديب الناشئين لابن عبد ربه الأندلسى، تحقيق وتعليق، محمد ابراهيم سليم، ص١٢١ - ١٢٢ ط مكتبة القرآن القاهرة د.ت.
- (٢٧) أصول التربية الاسلامية، عبد الرحمن النحلاوى، ص١٤ ط دار الفكر دمشق ١٩٧٩م.
- (٢٨) التربية والتعليم فى مصر القديمة، د. عبد العزيز صالح، ص٢٣٣، الدار المصرية للتأليف والنشر ١٩٦٦.
- (٢٩) المرجع السابق ٣٦٩.
- (٣٠) أكبر شريحة بشرية فى أى مجتمع إنسانى هى الشريحة الاجتماعية التى تضمها مرحلة الطفولة ويمثل حجم الطفولة العربية نحو أربعين فى المائة من إجمالى السكان، وتزيد هذه النسبة قليلا فى مصر لارتفاع معدلات النمو. أنظر: تعداد السكان لعام ١٩٨٦ الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء.
- (٣١) قاموس علم الاجتماع، إشراف ومراجعة د. عاطف غيث، ص٥. ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨، ويعرف المعجم الوجيز، الطفل المولود حتى البلوغ، والطفولة المرحلة من الميلاد إلى البلوغ، مجمع اللغة العربية.
- (٣٢) لسان العرب لابن منظور ص ٢٦٨١ - ٢٦٨٢، ط دار المعارف. د.ت.
- (٣٣) المصدر السابق، ص ٢٦٨٢.
- (٣٤) مختار الصحاح ص٤٠٥.

- (٣٥) اللسان، مادة ولد، ص ٢٦٨١.
- (٣٦) اللسان، نفسه
- (٣٧) المصباح المنير، ص ٥٧١.
- (٣٨) اللسان، لابن منظور، مادة بنى، ص ٣٦٢ - ٣٦٤.
- (٣٩) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ص ٥٤ - ط القاهرة د.ت.
- (٤٠) ثقافة الأطفال، د. هادي نعمان الهيتي، ص ١٥ عالم المعرفة، الكويت ١٩٨٨ م.
- (٤١) الكشف للزمخشري، ج ١ - ٥٦، دار الفكر بيروت. د.ت.
- (٤٢) الإنسان وعلم النفس، د. عبد القادر سليم، ص ١٢٣ - ١٢٤ عالم المعرفة، الكويت ١٩٨٧.
- (٤٣) طرق تعلم الفنون، د. محمود بسيوني، ص ٣١ - ٣٢، ط ١ دار المعارف ١٩٦٣.
- (٤٤) في أدب الأطفال، د. علي الحديدي، ص ٦٣، ط ٢ الأنجلو المصرية.
- (٤٥) انظر: كامل كيلاني في مرآة التاريخ، أحمد زكي أبو شادي، ص ٦٨٣ القاهرة. د.ت.
- (٤٦) في أدب الأطفال، د. علي الحديدي، ص ٦٢.
- (٤٧) التربية في المانيا الغربية تأليف هانز لينجز وآخرين، ترجمة د. محمد عبد العليم موسى، ص ٦٨، ط مكتب التربية العربي لدول الخليج. د.ت.
- (٤٨) آثار ابن المقفع، لعبد الله بن المقفع ص ٣١٨ - ٣٢٠ ط بيروت د.ت.
- (٤٩) طرق تعليم الفنون، د. محمود بسيوني، ص ٢٥ - ٥٩.

Weisberg & Springer, K.J. Environmental Factors in (٥٠)  
Creative Function Archives of General Psychiatry,  
1961, p,564.

- (٥١) معجم مصطلحات الأدب، د. مجدى وهبة، ص ٥ - ٦، بيروت ١٩٧٤ م.
- (٥٢) فى الأدب الجاهلى، د. طه حسين، ص ٢٣ - ٢٧، ط دار المعارف، د.ت.
- (٥٣) فى تاريخ الأدب الجاهلى، د. على الجندى، ص ٩٧ ط دار المعارف، د.ت.
- (٥٤) فى أدب الأطفال، د. على الحديدى، ص ٦٧.
- (٥٥) مدخل إلى الأدب الاسلامى، د. نجيب الكيلانى، المقدمة، قطر ١٩٨٧.
- (٥٦) تذوق الأدب - طرقه ووسائله، د. محمود زهنى، ص ١٦ - ٢٢ ط الانجلو المصرية.
- (٥٧) مدخل إلى الأدب الاسلامى، د. نجيب الكيلانى، ص ١٤ ط قطر ١٩٨٧ م.
- (٥٨) مقدمة ابن خلدون، القاهرة، دار الشعب، ص ٥١٤ - ٥٢٢.
- (٥٩) منهج الفن الاسلامى، محمد قطب، ص ٦، دار الشروق.
- (٦٠) الرؤية الواحدة، مقالة للدكتور زكى نجيب محمود. جريدة الاهرام القاهرة، عدد ١٩٨١/٢/١.
- (٦١) ضحى الاسلام، أحمد أمين، ج ٢، ص ٢٤٤.
- (٦٢) البيان والتبيين، الجاحظ، ص ٩٢.
- (٦٣) تأديب الناشئين بأدب الدنيا والدين، لابن عبد ربه الأندلسى، تحقيق وتعليق محمد ابراهيم سليم، مكتبة القرآن، القاهرة، د.ت.
- (٦٤) أدب الأطفال، دراسة ببليومترية، حامد الشافعى دياب، ص ١٥، كلية

## الآداب جامعة القاهرة.

(٦٥) أصدرت الهيئة المصرية العامة للكتاب مؤخرًا قائمة ببليوجرافية لكتب الأطفال في مصر عام (١٩٨٨)، مزودة بالقوائم الببليوجرافية التي صدرت في هذا المجال عن دور النشر الكبرى بمصر: انظر أيضًا: دراسة استطلاعية لكتب الأطفال في مصر (٢٨ - ١٩٧٨) أعدها لمنظمة اليونسيف د. محمود الشنيطي، د. رشدي طعيمة، زينب الفوانيسي وآخرون، مخطوطة بالآلة الراقمة، ١٩٧٩م.

(٦٦) أنظر دراسات الطفولة في ربع قرن (جزءان) ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، بالتعاون مع مركز دراسات الطفولة بجامعة عين شمس بإشراف د. كاميليا عبد الفتاح (أبحاث صحية ونفسية وتربوية) ولم يحظ الأدب الأكاديمي بنصيب يذكر في هذا الجهد التوثيقي الجاد.

(٧٧) الوظيفة Function اتجاه للربط بين بنية الأثر الفني ووظيفته جمالية كانت أم أخلاقية، ونتيجة هذا الاتجاه أن أية صيغة أو محسنات لفظية لا تخدم وظيفة الأثر الفني خدمة مباشرة، تعتبر زائدة على الحاجة بل طفيلية: معجم مصطلحات الأدب، د. مجدي وهبة، ص. ١٨٤، ط بيروت ١٩٧٤م.

(٦٨) الشعر والشعراء لابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، ج١ ص ٦٣، ط دار المعارف ١٩٨٢. (والخارجي: الذي يخرج ويشرف بنفسه من غير أن يكون له قديم المحقق - المرجع السابق).

(٦٩) تهتم الأنثروبولوجيا بدراسة الطبيعة الإنسانية، فتعكس قيم الإنسان وتخدم مصالحه وتفسر مظاهر الحياة من حول الإنسان، وتبحث ادراكاته وابتكاراته ومواهبه ومعتقداته جميعاً.

(٧٠) للطفل قاموسه اللغوي الخاص به، ويزداد حجم الألفاظ اللغوية بانتقاله من

مرحلة تلو مرحلة داخل مرحلة الطفولة بتأثير البيئة المحيطة واستعداد الطفل ذاته للتعلم. أما فهم الطفل للألفاظ المقررة والمسبوعة فيقتضى معرفة ذلك نمو وتطور اللغة عند الطفل. أنظر: نشأة اللغة عن الإنسان والطفل، د. على عبد الواحد وافي - في فلسفة اللغة، د. محمود فهمي زيدان - ثلاث نظريات في نمو الطفل، د. هدى قناوى - قائمة الكلمات الشائعة في كتب الأطفال، د. السيد العزازى ود. هدى براده. وقد تتبعنا هذه المؤلفات اللغة نشأتها وتطورها. وفي الآداب الأجنبية دارت أبحاث تشومسكى وجان بياجيه وغيرهما في جوانب منها المجال اللغة واللعب والتمثيل والحركة عند الطفل.

(٧١) في أدب الأطفال. د. على الحديدى، ص ٦٩ الانجلو المصرية.

(٧٢) انظر بحث د. عبد العزيز المقالح لمؤتمر الأدباء العرب طبع وزارة الاعلام بالجزائر ١٩٧٥.. أعلنت الجمعية الطبية الملكية بانجلترا أن العلماء توصلوا إلى نتائج هامة تتعلق باستجابة الجنين للنداء الصوتى المنبعث من أم الجنين عبر أجهزة توصيل ورصد ذات تقنية عالية الحساسية، والمثير للدهشة هو التوصل لرصد استجابة الجنين للنداءات الموقعة، المنغمة، المبهجة - الهيرالد تريبيون عدد ٣٠/٣/١٩٨٨م.

**الفصل الثالث**  
**أدب الطفل العربي**  
**رؤية تاريخية وفنية**





بدأ الأهتمام بأدب الطفولة فى العالم العربى فى أوائل عام ١٨٧٥م، حيث كانت أدبيات الطفل - يومئذ - ما تزال مقرونة بالتربية فى إطارها التعليمى، فقد قام رفاعة الطهطاوى بغرس البذور الأولى فى تربة أدب الطفل العربى الحديث، عندما أصدر كتابه<sup>(١)</sup>: المرشد الأمين للبنات والبنين» وبدلنا عنوانه بداية على التوجه التربوى المباشر من ناحية، وعلى غاياته الوعظية من نصح وإرشاد من ناحية أخرى، وهو فى ضوء ذلك قد آمن باحتياجات الطفولة العاطفية والخيالية والترويحية، فأدخل قراءة القصص والحكايات فى منهج الدراسة الابتدائية لتلاميذ مدارس المبتديان فى عهد محمد على بمصر، وقد اعتمد الطهطاوى على الترجمة فيما قدم<sup>(٢)</sup>.

وفى الواقع أن الطهطاوى عقد مزاجية بين الأدب والتربية فى هذا الكتاب، لذلك لا يعد كتابه من كتب التربية فحسب وإنما حمل إرهاصات أدب الطفل بين مضامينه، فهو إذن لا يندرج تحت مفهوم أدب الطفل بمعناه الفنى الحديث، يقول رفاعة فى خطبة كتاب المرشد الأمين: «صدر لى الأمر الشفاهى من ديوان المدارس.. بعمل كتاب فى الآداب والتربية يصلح لتعليم البنين والبنات على السوية..»<sup>(٣)</sup>.

وأعقب محاولة الطهطاوى التى أشرنا إليه آنفا، الأديب المصرى محمد عثمان يوسف جلال (-١٨٩٨م) حيث توفر على ترجمة زهاء مائتى حكاية شعبية من حكايات: لافونتين، ولأن محمد عثمان جلال

من المجيدين للفرنسية، فقد تأثر فى نظم كتابه «العيون اليواقظ فى الأمثال والمواعظ» بلافونتين فيذكر: «أخذت أترجم فى الأوقات الخالية كتاب العلامة الفرنسى الكبير لافونتين - وهو من أعظم كتب الآداب الفرنسية المنظومة على لسان الحيوان على نسق: الصادح والباغم - فأكهه الخلفاء... وسميتها العيون اليواقظ فى الأمثال والمواعظ»<sup>(٤)</sup>.

وقد قررته نظارة المعارف العمومية بمدارسها الابتدائية عام ١٨٩٤ فى طبعته الأولى<sup>(٥)</sup> ثم أعيد طبعه عام ١٩٠٨ فى طبعته الثانية أى بعد وفاته بعشر سنين، فديوان محمد عثمان جلال «العيون اليواقظ فى الأمثال والمواعظ» أول محاولة عربية تقوم على الترجمة ومحاكاة أدب الغرب فى نظم أدبيات الأطفال، فهو رائد مرحلة الترجمة فى مجال أدب الطفل، ونظمه فى شعر مزدوج القافية ولم تنقيد ترجمته بالأصل بل عدل فيه، وغير وفق ما رآه مناسباً<sup>(٦)</sup>، وقد نجح محمد عثمان جلال إلى حد كبير فى أن ينقل حكايات الحيوان الخرافية عن لافونتين، وفى قدرته الفنية فى المحاكاة والتعريب إلى اللغة العربية إذ «ألبسها ثوب الروح المصرية واللغة العربية القريبة من الاستعمال اليومى - وهذه قدرة لا تتوفر للكثيرين - وقد أجمع النقاد - ومنهم العقاد وغنيمى وهلال - أن ترجمة الكتاب كانت حرة بحيث اختفت فيها معالم الروح الفرنسية، وظهرت فيها الروح المصرية بوضوح شديد»<sup>(٧)</sup> وعندما أصدر أحمد شوقى ديوان

«الشوقيات» فى طبعته الأولى عام ١٨٩٨م. ألفينا بين دفتى «الشوقيات» وجود باب للحكايات والقصص الشعرية للأطفال فكان ذلك بمثابة بداية حركة التأليف الأدبى للأطفال، وقد أثبت أحمد شوقى فى مقدمة ديوانه أنه تأثر بأسلوب نظم لافونتتين لحكاياته دون إشارة منه لمحاولة محمد عثمان جلال الرائدة فى «العيون اليواقظ» يقول أحمد شوقى فى مقدمة الطبعة الأولى من الشوقيات:

«... وجربت خاطرى فى نظم الحكايات على أسلوب (لافونتتين) الشهير.. وأنا استبشر لذلك وأتمنى لو وفقنى الله لأجعل للأطفال المصريين، مثلاً جعل الشعراء للأطفال فى البلاد المتقدمة، منظومات قريبة المتناول يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم»<sup>(٨)</sup>. ويحث صديقه الشاعر خليل مطران للتعاون فى إرساء قواعد جديدة لأدب الطفل فيذكر «... ولا يسعنى إلا الثناء على صديقى - خليل مطران - صاحب المنن على الأدب والمؤلف بين أسلوب الأفرنج فى نظم الشعر وبين نهج العرب.. والمأمول أننا نتعاون على إيجاد شعر للأطفال والنساء وأن يساعدنا سائر الأدباء والشعراء على إدراك هذه الأمنية»<sup>(٩)</sup>. ولم تحظ دعوة أحمد شوقى بتأييد من الشعراء - آنذاك - بمن فيهم خليل مطران نفسه. والاستقرار التاريخى فى ضوء ما عرضنا يعطينا حقيقة هامة وهى ريادة محمد عثمان جلال لهذا اللون الأدبى، أما أحمد شوقى فقد اقتفى أثره، أما

عن القيمة الفنية لنتاج الشعاعين فلسنا بصدده الآن، وربما يكفينا الإشارة إلى تأثرهما معاً بلافونتين، ومع سهولة منظومات محمد عثمان جلال، وميل شوقي الواضح لتطبيق مفهوم الأدب الرمزي في نظم حكايات الأطفال الشعرية. فقبل أن تطبع الشوقيات طبعتها الثانية كتب أحمد شوقي قصيدة عنوانها «دولة السوء» نشرتها عام ١٩٠٠م المجلة المصرية. يقول د. غنيمي هلال: «... وبدا لشوقي أن الشعر الغنائي لا يكفي لبث آرائه، فلجأ إلى قالب الموضوعي، قالب القصة على لسان الحيوان، نشرها عام ١٩٠٠ في (المجلة المصرية) وحرص بعد ذلك على ألا ينشرها في دواوينه، خوفاً على نفسه، وعنوانها (دولة السوء) وهي ذات مغزى اجتماعي هجائي»<sup>(١٠)</sup> وإذا كانت الشوقيات في طبعها الأولى قد تضمنت عدداً من الحكايات الشعرية على ألسنة الحيوان، فإنها استبعدت من الطبقات اللاحقة، ولكن الجزء الرابع من الشوقيات المطبوع عام ١٩٤٣ ضم خمسين وخمسين منظومة، بينما ضم الجزء نفسه المطبوع عام ١٩٥١ ستاً وخمسين... وقد جمعت هذه المنظومات في كراس بعنوان «منتخبات من شعر شوقي في الحيوان»<sup>(١١)</sup>.

وقبل أن تصدر الطبعة الأولى من «الشوقيات» بخمس سنين أصدر الشاعر عبد الله فريج كتابة الموسم «نظم الجمان في أمثال لقمان» في عام ١٨٩٣، وهذا الكتاب يفتقد إلى روح الشعر

فمنظومات الكتاب تقوم على محاكاة أمثال لقمان الحكيم المألوفة في نظم شعري، ولكنه نظم يقترب من النثرية أو التقريرية، برغم أن مؤلفه كتب كلمة أدبية ضافية في مقدمته، أما محتوى الكتاب فيتضمن خمسين مثلاً صلبها المؤلف صبا في قالب الرجز في موضوعات شتى<sup>(١٢)</sup> حول الحيوانات والطيور والحشرات والإنسان، وكان ينهى كل أرجوزة بإيراد مثل مأثور من أمثال لقمان الحكيم، يقول عبد الله فرج في مقدمة «نظم الجمان في أمثال لقمان»: عمدت إلى أمثال سيدنا لقمان الذي شهد له تعالى بالحكمة في منزل القرآن وإلى ما جرى ذلك من الأمثال الرائعة ذات الأبيات راسخة القافية.. ثم جعلتها خدمة أدبية لتلاميذ المدارس الابتدائية.

ثم قام على فكرى (١٨٧٩ - ١٩٥٣) في عام ١٩٠٣ بإصدار «مسامرات البنات»<sup>(١٣)</sup> وهو عبارة عن أشتات مجتمعات في أدب التسلية، وعظات دينية وأخلاقية وذكر خصال النساء، ولا نعهده من كتب أدب الأطفال لتنوع مادته الدينية والتاريخية مع نتف أدبية، ولكن كتابه «النصح المبين في محفوظات البنين»<sup>(١٤)</sup> ورصيفه في «تربية البنين» ونظيره «في تربية البنات» والتي أصدرها عام ١٩١٦ من الكتب الأولى التي ساهمت في ميدان أدب الطفل الحديث، فتوفر على المنظومات والأناشيد الشعرية في إطارها التعليمي والأخلاقي.

وفي عام ١٩١١م ظهر كتاب «آداب العرب» وهو منظومات عربية

متنوعة للأطفال سار فيها مؤلفها إبراهيم العرب (١٩٢٧) على طريقة «لافونتتين» وقد قررته نظارة المعارف بمصر - آنذاك - على تلاميذ المدارس الأولية<sup>(١٥)</sup> وتضمن كتاب آداب العرب بمنظومة الختام<sup>(١٦)</sup> (مائة) منظومة شعرية دارت جميعها على السنة الحيوان والطير، غايتها إيراد العظة في أسلوب شعري قصصى، يقول إبراهيم العرب فى منظومة ختام الكتاب حول حكاياته:

|                              |                              |
|------------------------------|------------------------------|
| أمثال صدق تجلت لا مثيل لها   | معنى صحيح ولفظ فيه تجويد     |
| ضمنتها النصيح والأغراض شاهدة | وفى لسان الفتى للحق تأييد    |
| وهذه جمل مملوءة حكما         | من دون نشر شذاها الند والعود |

والملاحظ أن شاعرية إبراهيم العرب تتجاوز سلبيات منظومات «نظم الجمان» لعبد الله فريج لاقترابها من روح الشعر وغاية الأدب التعليمى.

وفى عام ١٩١١ أعاد أحمد شوقى نشر حكايات الأطفال فى الطبعة الثانية من الشوقيات، وإلى تلك الفترة الزمنية نستطيع أن نصف البدايات الأولى لنشأة أدب الأطفال فى الأدب العربى الحديث بأنها نشأة اعتمدت فى أساسها الفنى على الترجمة والاقتباس والتأثر بالأدب الغربى الحديث بعامة وحكايات لافونتتين الخرافية بخاصة، وفى الواقع أن مصطلحية: أدب الطفل الذى دعا إليها أحمد شوقى فى صدد حديثه عن التعاون بين معشر الأدباء لقيام جنس

أدبى للطفل، ظلت إلى منتصف العقد الثالث من القرن العشرين تقريبا، تدور في فلك الاتجاه التعليمي: تلقين القيم والمعارف والآداب الحميدة والعظات المباشرة إذا استثنينا حكايات شوقي للأطفال المحملة بالأدب الرمزي في إطاره الحكيم، وفي عام ١٩٢٢ أوقد الشاعر محمد الهراوي أول شمعة عربية في ميدان أدب الأطفال ليعبد الطريق للمبدعين للتوفر على التأليف للطفل، حيث أصدر ديوانه الأول «سمير الأطفال»<sup>(١٧)</sup> في طبعته الأولى وفي العام التالي أصدر الطبعة الثانية منه، وتوالى إنتاج هذا الشاعر الرائد في مجال التأليف الشعري المتنوع للطفل. إن القراءة المتأنية لنتاج الشاعر محمد الهراوي تؤكد المعنى الفني لأدبيات الطفل، والمؤرخ المنصف سيجد أمامه ريادة الشاعر وفضله في بدء تأليف حركة أدبية جادة خاصة بالطفل<sup>(١٨)</sup>. والهراوي في ضوء ذلك نقل أدب الطفل العربي إلى مرحلة التأليف الأدبي الخاص للأطفال على اختلاف أعمارهم، ويلاحظ كذلك البدايات الأولى، لأدب الطفل في فنون النشر الحديثة، ففي ١٩٢٩، يصدر حامد القصبي: «التربية بالقصص لمطالعات المدرسة والمنزل» ويبدو من عنوان المؤلف أنه قد آمن بدور القصة كنوع أدبي من ناحية وكوسيط تربوي في القراءة والتعليم من ناحية ثانية، فالمطالعة لم تعد في قاعات الدرس فحسب بل متعة ومنفعة خارج المنهج المدرسي، ولا يعيب محاولة حامد القصبي سوى

اعتمادها على الاقتباس من بعض القصص الإنجليزية الملائمة للطفل في حين توجد أفكارها ومضامينها على نحو أدق وأشمل في الأدب العربي. وأمام هذا التطور في الأدب التعليمي كان رائد المؤلفين في أدب الأطفال العربي - كان قد كتب عام ١٩٢٧ أول قصة أدبية للأطفال أسماها «السندباد البحري»، ونعني برائد المؤلفين كامل الكيلاني (١٨٩٧ - ١٩٥٩م) الذي أصدر مكتبة كاملة للطفل، واتسم نتاجه بالغزارة والتنوع والقيمة الفنية العالية

وفي عام ١٩٣٠ ظهر مصطلح أدبيات الطفل في الدوريات العربية، ففي عناوين المقالات وفي ثناياها ظهرت إلى الوجود ملامح تأصيل وجود جنس أدبي للطفل، قبل هذا التاريخ كانت كتب الأطفال تقتصر اقتصاراً يكاد يكون تاماً على الأغراض التعليمية مادة للقراءة المدرسية تهتم بالمحصول اللغوي وتعدو إلى القيم والآداب الحميدة.

ومن أشهر ما كتبه حول نهضة التأليف للأطفال د. زكي مبارك: «.. أشهر المؤلفين في هذا الباب رجلان: محمد الهراوي، كامل كيلاني وهما بعيدان عن التدريس»<sup>(١٩)</sup> مشيراً في مقالته إلى رائدين في أدب الطفل، حيث «بدأ الاهتمام بالتأليف للأطفال يبرز في نواح بعيدة عن بيئة التدريس، وبدأ إن حيث الشكل أم من حيث المضمون، محاولة منهم في أن يدفعوا كتاب الطفل إلى تقديم الأفضل»<sup>(٢٠)</sup>.



وفى العراق قامت نهضة أدبية للطفل فى أواخر ثلاثينيات القرن الحالى عندما نظم الشاعر معروف الرصافى منظومات شعرية<sup>(٢١)</sup> خفيفة فى المجالات المدرسية، ونشرت مجلة الفتوة البغدادية قصيدة الشمس عام (١٩٢٩) وقصيدة الوطن، وقصيدة «الرفق بالحيوان» فى عام ١٩٣٢، ثم محاولة معروف الرصافى فى نشر مقطوعاته الشعرية على أسنة الحيوان عام ١٩٢٢، غير أن ذبوع اسم الرصافى (١٨٧٥ - ١٩٤٥) فى الأوساط الأدبية والإعلامية، لم يكشف عن أسبقية منظومات د. مصطفى جواد للأطفال والتي كتبها فى مطلع شبابه من مثل: الهر والفيران، والقلق والعصفور وغيرها.

وفى عام ١٩٣٤ أصدر الأب نيقولا المخلصى كتابه «أمثال لافونتين» والذي تضمن زهاء مائة وثمانى عشرة خرافة من خرافات لافونتين، فى نظم شعرى يقوم على محاكاة شبه كاملة لحكايات لافونتين الخرافية، وتعد محاولة الأب نيقولا المخلص أبرز البدايات فى أدب الطفل فى لبنان. وفى عام ١٩٣٤ شهدت مصر أيضاً، اهتماماً أدبياً بالطفل حينما أصدر محمد سعيد العريان مجموعة من القصص المدرسية بالاشتراك مع زميليه دويدار ومحمد زهران، وكان هذا الإنتاج القصصى يتناغم مع جهود الهراوى وكامل كيلانى فى الشعر والقصة الشعرية.

استمرت المجالات المدرسية فى بغداد تهتم بأدب الطفل، مع

مجلات الأطفال العامة وبخاصة مجلة «الفتوة» التي نشرت منظومات شعرية للأطفال، فنشرت للشاعر د. أحمد حقي الحلبي (١٩١٧م) وللشاعر عبد الستار القرة غولى بين أعوام ١٩٢٠ - ١٩٢٤. وقد جاءت منظومات د. أحمد الحلبي في أغلبها على ألسنة الحيوان والطير كما تضمن بعضها عظات أخلاقية وتمجيداً للوطنية، وقد جمعها بين دفتي كتابه الموسوم «المحفوظات الطفلية» ونشره في جزعين عام ١٩٥٢، ولم تجمع منظومات الشاعر عبد الستار القرة غولى التي أشرنا إليها آنفاً، في كتاب مستقل، والتي سبق أن نشرها متفرقة خلال عامي ١٩٣٤ و ١٩٣٥. وكانت مجلة «أبولو» الأدبية في مصر منبرا للفنون الأدبية، فكانت تنشر للشعراء والكتاب، المقطوعات الشعرية تحت باب «شعر الأطفال» وأشهر من كتبوا فوق هذا المنبر كامل الكيلاني، الصاوي شعلان، بركة محمد، وعلى عبد العظيم، واستمرت مجلة أبولو تنشر المنظومات الشعرية للأطفال إلى أن احتجبت عام ١٩٣٤. ثم يضع الشاعر اللبناني جبران النحاس ديوانه الموسوم «تطريب العندليب» الذي أصدره عام ١٩٤٠ وهو مقطوعات شعرية للأطفال تأثر نظمها بحكايات لافونتين الخرافية، والتراث الشرقي الأدبي، فجاءت منظوماته تحت دائرة «اللون القصصي الشعري» الذي راده محمد عثمان جلال في كتابه: «العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ» بهدف تعليمي وأخلاقي. وفي

عام ١٩٤٤ أصدر محمد محمود رضوان مجموعة مسرحيات دينية لتلاميذ المدارس فى قالب فنى<sup>(٢٢)</sup> مما شجع حركة التأليف للمسرح المدرسى والتمثيلات المدرسية، وبعد تلك المحاولة توالى المؤلفات الخاصة بأدب الطفل، فى القصة وفى الشعر والمسرحية وغيرها من فنون أدب الطفل، نستطيع الوقوف عند تلك الفترة الزمنية التى حاولنا خلالها رصد البعد التاريخى لنشأة أدب الطفل العربى الحديث، وهى فترة زمنية امتدت من منتصف القرن الماضى إلى ثورة يوليو ١٩٥٢ م ويمكن القول إن نتاج أدب الطفل تمحور عند ظاهرتين:

أولاهما : (الترجمة) والاقتراس والمحاكاة عن الآداب الأجنبية فى الشعر والنثر.

والثانية : (التأليف) الشعرى والقصص التمثيلى (المسرحى). فالظاهرة الأولى كان رجالها يحاكون ويقتبسون ويترجمون عن الآداب الأجنبية فى مجال أدب الأطفال والفتيان، وبخاصة حكايات لافونتين وأيسوب وغيرهما، أما الظاهرة الثانية فقد بدأ رجالها ينشئون فى بيئتهم العربية منظومات شعرية وحكايات قصصية ومسرحيات دينية خاصة بالأطفال فى أصالة ووعى كبيرين.

لقد بدأت الظاهرة الأولى فى الزوال التدريجى بتأثير النمو المطرد لحركة التأليف الواسعة الممثلة للظاهرة الثانية وبخاصة فى العقود

الأربعة الأخيرة من القرن الحالى، بقيت الإشارة إلى أن رصدنا للبعد التاريخى فى مجال أدب الطفل توفّر على استقراء التطور الزمنى عند الكتابة خارج المنهج المدرسى المتضمن بين ثناياه الأناشيد والمقطوعات والقصائد والقصص، لأن مؤشرات الكتابة الإبداعية للطفل خارج العملية التعليمية تخلق لنا بداية المناخ الملائم لأدب الطفل.

عرفنا ونحن نستقرئ نشأة أدب الطفل وتطوره فى الأدب العربى الحديث، الإرهاصات المبكرة التى شهدت ميلاد هذا اللون الأدبى المستحدث، وقد خرجت أصوله الأولى كجنس أدبى من بين ثنايا التربية فى إطارها المدرسى، كما ظهرت فى الدوريات العامة والمتخصصة لأول مرة فى تاريخ الأدب العربى الحديث، المفاهيم والعناوين والمقالات التى تتأزر مع النتاج الأدبى للطفل الدالة على دوران «أدب وأدبيات الطفل» فى مناخنا الثقافى العام، واستتبع ذلك قيام حركة تأليفية نشطة حول هذا اللون الأدبى المستحدث، قامت فى البداية على الترجمة والاقتباس والمحاكاة للأدب الأجنبية ثم انتقلت منذ عشرينيات القرن الحالى إلى طور التأليف المستقل فى مجال أدب الطفل.

وفى أخريات الأربعينيات من هذا القرن، كانت البيئة العربية تلتفت إلى جانب حيوى يتصل بالدراسات العامة لمعرفة الخصائص

الدالة على أدب الطفل كجنس أدبي له علاقات ترابطية بعلوم شتى كعلم نفس النمو ونظريات التربية الحديثة وسيكولوجية القراءة ومباحث الانقرائية، ومع هذه العلوم برزت نتائج جديدة خاصة باللغة وتحليل محتوى (مضمون) أدبيات الطفل، وبالتالي ظهرت المؤلفات فى المكتبة العربية التى تتناول القضايا الرئيسية لأدب الطفل. فى البداية أصدر الباحث محمد لطفى أول دراسة عربية خاصة بالقراءة والانقرائية عند الطفل متضمنة نتائج بحوث ميدانية أجراها على الطفل المصرى، وأوضحت تلك الدراسة الرائدة العوامل التى تؤدى إلى سهولة أو صعوبة المادة المقروءة مثل بعد المادة المقدمة للطفل عن مجال خبراته، وتقديم مفردات لغوية غير مألوفة لديه، وتعقيد تركيب الجمل والفقرات، ثم صعوبة أفكار المادة المقروءة على ادراك الطفل، وأفادت الدراسة كتاب الطفولة فى إمكانية توى السهولة وتبسيط المعجم اللغوى، وليس من شك أننا واجدون عشرات المقالات الخاصة بالقراءة والانقرائية قبل أن ينشر محمد لطفى دراسته<sup>(٢٣)</sup> فى كتاب مستقل، وتوزعت هذه المقالات المتفرقة على المجالات المدرسية والتربوية، والمجلات الأدبية<sup>(٢٤)</sup>. ومع ذلك فالمكتبة العربية المعاصرة تنتظر دراسات متعمقة حول ذلك الرافد الهام بحيث تتناول الميول والاتجاهات الأدبية والفنية عند الناشئة من خلال تنوع وقراءة النصوص المقدمة للطفل وعن طريق بحوث الذكاء والموهبة، والجنس

والوراثة والصوتيات، والفروق الفردية عند الأطفال وعلاقتها جميعا بالطفل وثقافته، لأن معظم المؤلفات العربية<sup>(٢٥)</sup> فى هذا المجال توقرت على جانب الدراسات الببليوجرافية والخدمات التربوية المكتبية، وتقنيات طباعة وإخراج مادة أدب الطفل، وأما الاستقراء العلمى لميول الأطفال فيما يشوقهم أو يصعب عليهم من نصوص أدبية فهو ما نرجوه من رجال هذا المجال، وبالتالى المساهمة فى تقديم ما يلائم الأطفال من أدب خاص بهم. والمحاولة الثانية فى مجال المؤلفات العامة ذات العلاقة بأدب الطفل ظهرت فى مصر عام ١٩٥٦ من خلال كتاب حمل عنوانا طويلا وهو كتاب «القصة فى التربية...»<sup>(٢٦)</sup>، وهو من الكتب التى أسهمت بفاعلية فى تحريك الأدب إلى عامل الحسم فى التربية الوجدانية للطفل وقد وضع مؤلفه أسس العلاقة بين الأدب والتربية من خلال الأدب كوسيلة وجدانية مؤثرة، وقد ناقش الكتاب أهمية النص الأدبى فى بناء شخصية الطفل مع تعرض الكتاب للقواعد الفنية للنص وأساليب وعناصر الحكاية فى مجال أدب الطفل، وأعقب ذلك ظهور كتاب «فن الكتابة للأطفال»<sup>(٢٧)</sup> الذى أصدره أحمد نجيب عام ١٩٦٨، والكتاب عبارة عن أشتات مجتمعات من الأفكار الممتازة حول كيفية الكتابة للطفل وأساليب طباعة وإخراج كتب الأطفال، وقد فجر المؤلف فى هذا الكتاب العديد من القضايا الفنية والطباعية الهامة، ومع ذلك فقد عرض بعضها فى

عجالة فى حين أنها تتطلب العمق والتأصيل، وبخاصة ما يلائم كل طور من أطوار مرحلة الطفولة من أنواع أدبية. ويحسب لهذا الكتاب أنه نبيه إلى بعض الأسس والمعايير التى تصلح للحكم على النصوص أو الأنواع الأدبية، والإشارة إلى ما يلائم تذوق الطفل واستيعابه لتقنيات الطباعة المستخدمة فى إعداد كتب الأطفال، ولعل أهم كتاب اقترب من مفهوم أدب الأطفال هو الذى نشرته الجامعة الليبية عام ١٩٧٣ بعناية كلية التربية بطرابلس وعنوانه مؤلفه د. على الحديدى بـ (الأدب وبناء الإنسان) وهوتتمة لمجهود مؤلفه فى الحقل التدريسى بكلية البنات بجامعة عين شمس والتى يتوفر أحد أقسامها العلمية لدراسة الطفولة من ناحية، وتكملة لمقالة مطولة نشرها بمجلة كلية التربية بالجامعة الليبية عام ١٩٧٢. والكتاب فى مجمله دراسة حول الأدب والطفل بشكل عام، والأدب القصصى والطفولة بصورة أدق، ومهما يكن من شىء فإن جهد المؤلف فى تتبع نتاج أدب الطفل ومفاهيم فى الأدبين العربى والاجنبى، ومناقشته لتاريخ أدبيات الطفل - وبخاصة الأدب القصصى - تعد من أول ما قدم من دراسات أدبية تربوية للمكتبة العربية فى مجال أدب الطفولة، وبرغم ذلك فإن الكتاب لم يعمق بعض القضايا التى طرحها (كموضوع الشعر والأطفال)<sup>(٢٨)</sup> الذى قدمه المؤلف فى صفحات قليلة متسعة من كتابه، ويبدو أن الفكرة الأصلية كانت قائمة فى أساسها على أجناس أدبية

محددة مثل القصص والحكايات فى الاطار الفنى والتربوى، كما أن المؤلف توسع فى عدد الموضوعات والقضايا التى طرحها فى كتابه، وبرغم هذا فقد ألفينا فى فصول هذا الكتاب الرؤى المتجددة حول الأدب العلمى والتاريخ الأدبى لهذا الجنس الأدبى المستحدث (أدب الطفولة) ونتفأ من الآراء والمفاهيم النقدية ألفيناها بين ثنايا موضوعات الكتاب. ومن ناحية أخرى ألفينا دعلى الحديدى يطرح فى كتابه فكرة: الأدب وطفل أأستين، الأدب وطفل الثلاثة، الأدب وطفل الرابعة. ومع ذلك رأيناه يعبر - سريعاً - فوق قنطرة هذه الموضوعات الهامة المتعلقة برياض الأطفال إلى رؤوس موضوعات أخرى جديدة.

وفى العراق صدر فى عام ١٩٧٧ أحد الكتب الهامة للدكتور هادى نعمان الهيتى جعل عنوانه «أدب الطفولة، فلسفته، فنونه، وسائطه»<sup>(٢٩)</sup> والكتاب فى مجلة إضافة جديدة فى ميدان أدب الطفولة، فالكتاب يتسم بغزارة مادته وتنوع مقاصدها، فقد استعرض المؤلف فى كتابه (الوسائط) الأدبية كالكاتب والموسوعات والمعاجم، والوسائل الاعلامية كالصحافة العامة والصحافة المتخصصة للطفل والبرامج المسموعة والمرئية، وكنا نود لو احتفل المؤلف بدراسة الأجناس الأدبية وكذلك مسرح الطفل (دراسة أدبية متعمقة) على نحو ما تناول فى عمق وتحليل مفاهيم جمهور الطفولة



والميول القرائية والوسائط الإعلامية والثقافية وغيرها من الموضوعات ذات العلاقة بالطفل، ومهما يكن من شيء فإن صوت شعر الطفولة<sup>(٣٠)</sup> فى هذا الكتاب الذى يحمل عنواناً أدبياً براقاً (أدب الأطفال) لم يسود سوى بضع صفحات من الباب الثالث، ويبدو أن مؤلفه قد تدارك ذلك فى كتاب جديد اسمه «ثقافة الأطفال»<sup>(٣١)</sup> والذى صدر عام ١٩٨٨ وأزعم أنه إضافته قيمة للدراسات الأكاديمية حول أدب الطفل العربى.

وفى عام ١٩٨٥ أصدر الشاعر أحمد سويلم (١٩٤٢-) دراسة عامة حول شعر الطفولة جعل عنوانها «أطفالنا فى عيون الشعراء» وهى من المؤلفات الأدبية المعاصرة التى تناولت أدب الطفل بعامة وشعر الطفولة بخاصة، وقد فتحت هذه الدراسة العامة الأبواب الموصدة أمام المبدعين والدارسين حول الطفل وأدبه ومن خلال رؤية إبداعية تتناول القضايا الخاصة بهذا اللون الأدبى، ولا يعيب تلك الدراسة - فيما أرى - سوى تناولها المتعجل لموضوعى: مفهوم الأدب، وشعر الأطفال فى التراث العربى، والمرجح أن المؤلف لم يفهم هذين الموضوعين حقهما من التأريخ والتحليل. وليس معنى ذلك أن الدراسة قد أخفقت فى طرح باقى قضاياها الخاصة بشعر الطفولة، بل نعوذها - فى ضوء تناولها لباقى موضوعات الدراسة - أقرب الدراسات العامة المعاصرة إلى أدب الطفل العربى بمعناه الفنى، فقد

نجاح الشاعر/ المؤلف - ربما عن قصد - فى الابتعاد عن الحشو التربوى والإعلامى المتكررين فى معظم الدراسات السابقة، وتوجه إلى فن الشعر - شعر الأطفال - يعرض لبعض نماذجه من خلال تناوله لنتف مختارة فى الأدبين القديم والجديد.

\* \* \*

يؤرخ العديد من الدارسين الذين تناولوا التأريخ لأدب الطفل لعام ١٨٧٥م كبداية لنشأة أدب الطفل فى الأدب العربى الحديث، دليلهم إصدار رفاعة الطهطاوى لكتابة الموسوم «المرشد الأمين فى تربية البنات والبنين».

بينما الترجيح الأقرب إلى الصواب لميلاد أدب الطفل العربى يعود فى عام ١٨٧٠م وهى السنة التى شهدت إصدار مجلة «روضة المدارس المصرية»<sup>(٣٢)</sup> ولا يعنى ذلك التاريخ الأخير أنه يقتصر بصحافة أدبية فحسب وإنما بصحافة متخصصة كانت تتوجه - يومئذ - فى أساسها إلى تلاميذ مدارس الديار المصرية، وتهتم باللغة، والأدب وبكتابات التلاميذ قدر اهتماماتها الثقافية أو المعرفية الأخرى «إذ حافظت روضة المدارس على اللغة العربية الفصحى، فاتخذتها لغة أدائها، ووسيلة تحريرها، واختارت من كتابها وأعضاء مجلس تحريرها، ونوابغ التلاميذ فى المدارس والمعاهد من استقامت لغتهم، وسلمت عبارتهم»<sup>(٣٣)</sup>.

ومما يؤكد أهمية الدور الذي لعبته مجلة «روضة المدارس» طبيعة دورها الثقافي بعامة والأدبي بخاصة، بين جمهور تلاميذ المدارس المصرية دون توقف عن الصدور من عام ١٨٧٠م إلى عام ١٨٧٧م، وربما أهم دور قامت به المجلة هو توفرها على إصدار الملاحق والكتب مع أعدادها (النصف شهرية)، ومن بين تلك الإصدارات كان كتاب «كنز اللآل في الحكم والأمثال» لأحمد بليغ، فقد «شهد العدد الثامن عشر من السنة الثانية من روضة المدارس» مولد ملحق لكتاب جديد هو (كنز الال في الحكم والأمثال) من مترجمات أحمد بليغ.. وهذا الكتاب على السنة الحيوان والطير، وهو شبيه بحكايات لافونتين<sup>(٢٤)</sup>. ومن المعروف أن كتاب محمد عثمان جلال (١٨٢٨ - ١٩٩٨) الموسوم «العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ» يعده كثير من الدارسين من أوائل كتب أدب الأطفال في مصر.

ولكن استقراء الفترة الزمنية التي ظهرت خلالها طبعة (العيون اليواقظ) تبعا لمقولة أوردها الشاعر عامر بحيرى في صدر الطبعة المحققة لها عن (طبعة عام ١٩٠٨) والتي يقول فيها على لسان محمد عثمان جلال: «أخذت أترجم في الأوقات الخالية كتاب العلامة الفرنسي الكبير لافونتين.. وهو من أعظم كتب الآداب الفرنسية المنظومة على لسان الحيوان، على نسق كتب الصادح والباغم،

وفاكهة الخلفاء... وسميتها «العيون البواقظ فى الأمثال والمواعظ»... فلما تم طبعها عرضتها على العزيز عباس باشا .. فرمى كتابى فى وجه حامله».<sup>(٣٥)</sup> ومن الثابت تاريخيا ولاية عباس باشا الأول عرش مصر بين عامى ١٨٤٩ - ١٨٥٤م وفى ضوء تلك المقولة التاريخية يكون من المؤكد أن مؤلف «العيون اليواقظ» قد قدمه بعد أن تم طباعته إلى عباس باشا الأول فى فترة ولايته، ومع ذلك فهذه رؤية يدحضها العثور على الطبعة الأولى من «العيون اليواقظ» وهى نسخة أصلية فى حوزة المؤلف<sup>(٣٦)</sup> يرجع تاريخها إلى عام (١٣١٣ هـ ١٨٩٤م). إن اصدار «روضة المدارس المصرية» فى عام ١٨٧٠م ونشرها المواد الأدبية للطلاب والكتاب، يمثل فى ضوء ذلك مرحلة الريادة أو التأليف غير المسبوق فى الكتابة الأدبية للناشئين، لأن أغلب حكايات محمد عثمان جلال المترجمة على ألسنة الحيوان لا نعوها من التأليف المصرى الأصيل لاعتماد مؤلفها على تعريب لخرافات لافونتين، بينما «أحدثت روضة المدارس فى الوسط المدرسى والتعليمى حركة جديدة، وحركت همم الطلاب إلى اقتنائها، فقد كانت موضوعاتها ومقالاتها والفصول التى تنشر فيها موضوعا للمناقشة فيها بين الطلاب بعضهم بعضا من ناحية، وبين الطلاب ومدرستهم من ناحية أخرى، وحرص الطلاب على قراءة المجلة، كما حرصوا على الكتابة فيها».<sup>(٣٧)</sup> كانت الروضة معرضا لأقلام كبار الكتاب

أمثال رفاعة الطهطاوى، وعلى رفاعة الطهطاوى، وعبد الله فكرى،  
وعلى مبارك، وصالح مجدى، وحسين المرصفى، وحمزة فتح الله،  
وعبد الله أبو السعود، ومحمد عثمان جلال وغيرهم، ومن نوابغ  
التلاميذ - يومئذ - محمود وهبى، ومحمد حشمت، ومحمود حمدى،  
وأحمد نجيب وإسماعيل صبرى وغيرهم من تلاميذ الديار المصرية.

ونستطيع القول فى اطمئنان، إن أول رافد ثقافى غذى مسار أدب  
الأطفال فى إطار انبثاقته الأولى فى مصر قد تمحور عند سائر  
النتاج الأدبى الذى نشرته «روضة المدارس المصرية» للطفولة  
والناشئة بين أعوام ١٨٧٠ - ١٨٧٧م، بما نشرته لتلاميذ المدارس مع  
أساتذتهم وكوكبة الأدباء فوق صفحات تلك المجلة الرائدة من كتابات  
تربوية ونصوص أدبية للناشئين، حقا لم يكن قد تأصل بعد المفهوم  
الاصطلاحي لأدب الطفل، ولكنه من الأنصاف القول بأن ميلاد أدب  
الطفل الحديث فى مصر سار فى خط مواز مع ميلاد مجلة روضة  
المدارس، كأول وأهم مدرسة واسعة الانتشار، حظى الأدب بنصيب  
موفور فوق صفحاتها، من التلاميذ أنفسهم وإليهم.

لقد توفر تلاميذ الطهطاوى على إصدار كتابه الموسوم «المرشد  
الأمين» فى عام ١٨٧٥ بعد أن نشره فصولا فوق صفحات روضة  
المدارس، وفى سلسلة ملاحقها الدورية، هذا الكتاب الذى يعده نفر

من الدارسين البذرة الأولى. وقد أُلحنا إلى نشأة أدب الطفل في مصر عن طريق ترجمة أصول حكايات (لافونتين) في «العيون اليواقظ» لمحمد عثمان جلال، ثم تلتها حركة ترجمة أخرى لمحمد بليغ في عام ١٨٧٥م عندما اهتمت «روضة المدارس» بالأدب الوعظي والنصائح الأخلاقية على يد رفاعة الطهطاوى بإصدار كتاب «المرشد الأمين» والذي نشرته «روضة المدارس» فصولا اعتبارا من العدد السادس عشر من سنتها الخامسة إلى أن ظهر مستقلا في كتاب سنة ١٢٩٢هـ - ١٨٧٦م ويميل المؤلف إلى رأى الأستاذ المجمعى المرحوم محمد عبد الغنى حسن القائل بعد تفصيل محكم لأبواب «المرشد الأمين»: أنه كتاب تربوى أخلاقى فى أساسه، مع نتف أدبية تجيء عرضا فى ثناياه وتتعلق بالأدب والطفل فيذكر:

«... رتب رفاعة الطهطاوى كتابه هذا على مقدمة وأبواب مشتملة على فصول وخاتمة، فتحدث فى الباب الأول عن الإنسان ونسبته إلى غيره من المخلوقات، وفى الباب الثانى تحدث عن الصفات التى يشترك فيها الذكور والاناث والصفات التى ينفرد بها كل جنس، وفى الباب الثالث تحدث عن التعليم وأنواعه، وهنا فى هذا الباب يحدثنا الشيخ عن الوطن حديثا مؤثرا فيه بعض الأسجاع، وفى باب آخر يحدثنا الشيخ عن الزواج والتسرى... وفى باب سادس يحدثنا عن

أسباب عمار البيوت والمنازل، وفي باب سابع يحدثنا عن الأقرباء وحقوق بعضهم على بعض، وخص بر الوالدين بفصل من فصول هذا الباب...»<sup>(٣٨)</sup> لو أعدنا قراءة فقرة من مقدمة «المرشد الأمين» سنكتشف المقاصد التربوية التي من أجلها تم تصنيف هذا الكتاب يقول الطهطاوى: «صدر لى الأمر الشفاهى، من ديوان المدارس، بعمل كتاب فى الآداب يصلح لتعليم البنين والبنات على السوية»<sup>(٣٩)</sup> إن تكليف الطهطاوى بعمل كتاب فى الآداب، لا يعنى التصنيف الأدبى بمعناه الفنى، والمرجح أن المقصود بـ (الآداب) فى عبارته هو تأكيده على الآداب فى إطارها الاجتماعى الأخلاقى، فى السلوك والعادات، على نحو ما قال به - أنفا - الأستاذ محمد عبد الغنى حسن، هذا من ناحية، ومن الرؤية التعليمية الجديدة بعد، دخول البنات - كالصبيان - ميدان التعليم من ناحية أخرى.

فالكتاب فى ضوء ما عرضنا ليس من أوائل الكتب التى يؤرخ بها الدارسون لميلاد أدب الطفل، وإنما نزع من أن روضة المدارس - بما نشرته من مواد أدبية تخاطب أفهام التلاميذ ومشاعرهم، وما نشرته لبعض التلاميذ - هى أول شمعة فى ميدان أدب الطفولة قبل سواها من الدوريات العامة أو المتخصصة، وبخاصة بداية ولوج ميدان التأليف فى أدب الطفولة، أما الأدب المترجم فقد وقفت ريادته عند

محمد عثمان جلال في منتصف القرن التاسع عشر،

لقد احتلت «روضة المدارس» مكانة خاصة في الصحافة الرسمية. كانت هذه الجريدة التي أنشأها على مبارك عام ١٨٧٠ بغرض دعم الجهاز التربوي الذي أقامه، تستهدف تشكيل عقول وأحاسيس التلاميذ والمتقنين، وقد عهد بإدارتها إلى الطهطاوى الذى أصبح رئيساً لتحريرها، وكانت هيئة التحرير تضم أشهر الأسماء فى ذلك العصر<sup>(٤٠)</sup>.

إن اهتمام «روضة المدارس» بنشر الأنواع الأدبية، بشكل منتظم فى المقامة والقصة بأنواعها، والشعر، وشعر الألفان، والمقالات الأدبية إلى جانب الموضوعات العامة الأخرى - ساهم فى تشكيل قاعدة عريضة من التلاميذ القراء وفى تشجيع النوابع وهواة الأدب منهم لذلك ألفينا روضة المدارس روضة ذاخرة بالأنواع الأدبية متنوعة الأساليب والاتجاهات، تستهدف فى بنيتها ومضمونها - فى كل عدد - تلاميذ المدارس المصرية، ومن الطبيعى أن «روضة المدارس» بحاجة إلى بحوث علمية مستقلة فى التاريخ الأدبى والتربوى، والإعلامى، ولكننا لا نستطيع أن نهمل إيراد نموذج أو نماذج مما نشر بها فى ميدان الشعر على سبيل الاستشهاد، يقول الشاعر إسماعيل عاصم (ملغزاً)<sup>(٤١)</sup>:



ما اسم شيء للناس بالنفع قد عم  
 ورباعى الحروف فى العدد لكن  
 نصفه الأول رشف لذيق  
 وإذا ما قبلت ذا النصف تلقى  
 وترى نصفه الزهر به الخسران  
 ولدى قلبه بدا القطع فيه  
 وإذا ما حذفت طرفيه تلقا  
 وعلى كل حالة لاغنى للناس عنه  
 فتفضل وجد بكشف رموز اللغز  
 نصفه مهمل وباقية معجم  
 حاز كل العلوم والله أعلم  
 تارة والهلاك يحصل من ثم  
 أنه الزهر عرفه فاح للشم  
 جاد أو كان لفظا لم ذم  
 تارة أو يرى كساء منمنم  
 مكسوبا للمال والمكسب مغنم  
 إن كان عقلها ثم  
 هذا لازلت فسينا مكرم

ولم تخل الأعداد التى صدرت من «روض المدارس» الذى كان  
 أشبه بمباراة أدبية وفكرية بين الشعراء والقراء وجمهور التلاميذ،  
 وحظيت عدة أسماء بشهرة فى هذا المجال أمثال اسماعيل عاصم  
 بإسهاماته المتكررة، ومصطفى صبحى، وأسعد طراد، وأحمد نظمى،  
 وحسين الشباسبى ومصطفى جلال وغيرهم.

ومن الشعر الأخلاقى الذى نشرته روضة المدارس هذه المنظومة  
 للشباسبى (٤٢) :

البر بالأباء فرض لازم  
 من برهم فهو النجى الحازم  
 فأطع أباك وكن لأمك تحت رق  
 مسترضيا لهم لئلا تحترق  
 واحذر عقوقهما الذى قد حرما  
 ويحل صاحب المسرة جهنما

وقد استهل محمد عثمان جلال منظومته «قواعد فى فن الشعر»  
بقوله: (٤٣)

لا تحسب المرء يكون ناظما      ولا يعد فى القوافى عالما  
ولا يكون فى القريض عده      يعرف جذر بحره ومده  
إلا إذا أوحى فى القوافى      إليه بالمعنى الرقيق الشافى  
إن أول ما نلاحظه من افتتاحية العدد الأول من «روضة المدارس  
المصرية» هو العناية بالأدب كأسلوب تربوى، يحقق الفائدة التعليمية  
للناشئين والكمال التهذيبى المستهدف لشخصياتهم، يقول على رفاعة  
الطهطاوى فى ذلك الشأن «إن مواد روضة المدارس ستجىء بقلم  
سهل العبارة، واضح الإشارة، وألفاظ غير حوشية ولا متجشمة  
لصعب التراكيب، ومعان رجيحة تتخرط فى سلك مستحسن  
الأساليب وافية بكمال التهذيب». (٤٤)

إن احتفال مجلة روضة المدارس باللغة العربية وأدائها، أسلوبا  
ومعنى، سار فى خط مواز لغايات المجلة الأدبية، ومقاصدها  
التربوية، ولعل الخطوات التى قطعتها روضة المدارس فى مسار أدب  
الأطفال المكتوب كان تنمة لجهود رفاعة الطهطاوى التى سبقت  
إصدار الروضة عندما «أدخل قراءة القصص والحكايات فى منهج  
الدراسة لتلاميذ «مدارس المبتديان» على عهد محمد على بمصر». (٤٥)  
وليس غريبا أن يضع ابنه «على» شعار روضة المدارس:

تعلّم العلم واقـــــــرأ تحز فـخـار النبوة  
فـالله قـال لـيـحـيى (خـذ الكـتـاب بـقـسوة) (٤٦)

ويزعم المؤلف - فى ضوء ما تقدم - أن أدب الأطفال العربى، نشأ وتكون فى مصر حول مجلة «روضة المدارس المصرية» تأليفاً موجزاً وانتشاراً، غير أننا واجدون قبل ذلك بنحو عقدين من الزمان إرهابات تكون أدب الطفل ولكن فى إطار الترجمة للطفولة والتي شملت القصص والحكايات والأمثال. لقد أسهمت روضة المدارس فى تعبيد الطريق أمام نشأة أدب الأطفال، بما نشرته للتلاميذ من مواد أدبية، وبما خلقتها من وعى قرائى بينهم.

ولو تركنا مجلة «روضة المدارس» للوقوف عند روافد أخرى شكلت إرهابات نشأة أدب الطفل فى الأدب العربى الحديث، لألفينا ترجمة لـ «عقلة الصباغ» و«حكايات الأطفال» لتلاميذ المدارس الأولية فى إطار ترجمة الكتب الأجنبية الحديثة لتلاميذ المدارس، إذ كانت «حكايات الأطفال» و«عقلة الصباغ» من أوائل الكتب التى قررتها نظارة المعارف - يومئذ - على تلاميذ الصفين الأول والثانى بمدارس المبتديان فى مصر (٤٧).

وفى عام ١٨٨٣ ترجم الأب «يوناوفتورا» كتاب (لظائف الأقوال فى القصص والأمثال) (٤٨) عن الآداب الأجنبية، فى جزأين يضمّان اثنتين وستين قصة ومثلاً، والكتاب فى مجمله ترجمة للأقوال البليغة،

الأمثال الحكيمة والقصص الشعبية فى الآداب الأجنبية مما يحقق للأطفال المتعة والفائدة.

وعندما صدرت الطبعة الأولى من ديوان «الشوقيات» عام ١٨٩٨ وتضمنت - ربما لأول مرة فى تاريخ أدبنا العربى الحديث - منظومات شعرية للأطفال، فبتلك المقطوعات الشعرية للأطفال أعلن «أحمد شوقى» عن ميلاد أدب الأطفال العربى الحديث، ومن ثم راح يدعو إلى إقامة هذا الجنس الأدبى المستحدث، وكان يأمل - يومئذ - خيرا فيذكر: «... أتمنى لو وفقنى الله لأجعل للأطفال المصريين مثما جعل الشعراء للأطفال فى البلاد المستحدثة: منظومات قريبة المتناول ويأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم...»<sup>(٤٩)</sup>.

وفى عام ١٩٠٣ أصدر على فكرى (١٨٧٩ - ١٩٥٣) كتابه الموسوم «مسامرات البنات»<sup>(٥٠)</sup> وبرغم أن هذا الكتاب يقع فى جزأين إلا أنه كتاب اجتماع وتربية بل تضم أغلب مادته شئون العقيدة، ولا يحتوى إلا على قدر ضئيل من أخبار النساء والفتيات من ملح وطرائف أدبية فى إطار التهذيب الأخلاقى لكن صاحب «مسامرات البنات» أسهم فى تأصيل أدب الطفل بمؤلف أدبى آخر سنشير له من بعد. وفى عام ١٩٠٨ أعيد طبع «العيون اليواقظ فى الأمثال والمواعظ» لمحمد عثمان جلال أى بعد وفاته بعشر سنوات.

ويشهد عام ١٩١١ ظهور كتاب جديد يسترشد خرافات لافونتين

والتراث القصصى العربى وهو كتاب «آداب العرب» للشاعر إبراهيم العرب (١٩٢٧ -) وتقع منظومات الكتاب فى تسع وتسعين قصة شعرية، ومن الأدب الوعظى الحكيم على ألسنة الحيوان والطير ويقول فى مفتتح كتابه: (٥١).

وبعد فهذى حكمة ومواعظ      لتهذيب أخلاق وإصلاح أحوال  
بهن معان كالعيون سواحر      وألفاظ در كل بحر بها حال  
على الطير فى جو السماء أخذتها      وفى القفر عن ظبى وذئب ورئبال

وفى عام ١٩١٢ أصدرت دار المعارف أول كتاب أدبى مصور للأطفال وهو «القطيطات العزان» لمحمد حمدى بك بالاشتراك مع جورج روب، وفى إطار الترجمة أيضا صدرت المجموعة القصصية «كنوز سليمان» وترجمها أمين خيرت، عن الكاتب الإنجليزى رايدار هاجرد، وتجمع القصص بين التشويق وحفز الخيال، وتوفر على اصدارها مطبعة جورجى غرزوزى فى عام ١٩١٤م.

وفى عام ١٩٦٦ يسهم على فكرى (١٨٧٩ - ١٩٥٣) بكتاب أدبى جديد للناشئين عندما أصدر كتابه الموسوم «النصح المبين فى محفوظات البنين» (٥٢) الذى جمع بين المنظوم والمنثور والأمثال البليغة والأقوال الحكيمة، والأشعار التى تحت الأطفال على الفضيلة ومكارم الأخلاق. ومما نلحظه فى تصنيف هذا الكتاب أن صاحبه استعار كتابات الرافعى، وشوقى، ونصيف اليازجى وغيرهم، وضم اختياراته

من أشعارهم إلى «النصح المبين» وفي الواقع أن على فكرى بكتابه «النصح المبين»، قد أضاف إلى المؤلفات الأدبية الحديثة زاداً جديداً لأنه أحس أن مصنفاته<sup>(٥٣)</sup> الأخرى وإن اقترنت مسمياتها بالطفولة إلا أنها أقرب للعقيدة والتربية والاجتماع منها إلى الفنون الأدبية.

وفي عام ١٩٢٢ قام الشاعر محمد الهوارى (١٨٨٥ - ١٩٣٩) بإصدار أول ديوان شعرى عربى حديث للأطفال، أسماه «سمير الأطفال» وهى محاولة أدبية رائدة، فحكايات أحمد شوقى فى منظوماته الشعرية التى أودعها الجزء الرابع من ديوان الشوقيات، تختلف عن محاولة الهراوى الرائدة التى وقفت على التأليف الشعرى المستقل، إذ اشتملت على أول ديوان مستقل للطفل العربى.

وفي عام ١٩٢٣ قامت لجنة التأليف والترجمة والنشر بنشر ديوان جديد للهراوى هو، «سمير الأطفال للبنين» ج١ «سمير الأطفال للبنات» ج٢ ، وفى عام ١٩٢٣ أيضاً أعيدت طباعة «سمير الأطفال» للبنين و«سمير الأطفال» للبنات فى طبعة ثانية مزيده ومنقحة كتب عليها الهراوى «الجزء الثانى...» وفى نفس العام أيضاً أصدر الهراوى الجزء الثالث من «سمير الأطفال» للبنين والبنات، فى طبعة ثالثة مزيده ومنقحة أيضاً، وفى ذلك دلالة لا تقبل التقليل من ريادة الهراوى لشعر الأطفال فنفاذ ثلاث طبعات من ديوان الطفل فى عام

واحد يحمل مصداقية الشاعر ويعكس استقبال جمهور الأطفال ورجال الأدب والتربية لمضمون الديوان، فوى عام ١٩٢٦ أصدر محمد الهراوى كتابه الموسوم «السمير الصغير» ثم توالى بعد ذلك إبداعاته الشعرية والتمثيلية للناشئين - فى غزارة وأصالة وتنوع- لمرحلتى رياض الأطفال وتلاميذ المدارس الأولية ولجمهور الطفولة وللآباء والأمهات خارج المدرسة<sup>(٥٤)</sup>.

وفى عام ١٩٢٧ راد الأديب كامل الكيلانى (١٨٩٧ - ١٩٥٩) التأليف القصصى للأطفال فأصدر قصته «السندباد البحرى» كأول محاولة قصصية حديثة يقوم بها أديب عربى بالتأليف للطفل خارج المقررات المدرسية، وأتبعها بمكتبة كاملة للطفولة طبعت فى حياته مرة وبعد وفاته عام ١٩٥٩، ثم قام الشاعر محمد الهراوى بإصدار مجموعة من الأغانى التوقيعية للأطفال بين عامى ١٩٢٨، ١٩٢٩ والطريف أنه أثبت مع أغانيه الشعرية للأطفال «النوتة» الموسيقية مثل: بائع الفطير، وأغنية جحا والأطفال، شمس الضحى، ليلة القمر وغيرها.

وبدأ محمد الهراوى يسهم برواياته التمثيلية القصيرة للأطفال مثل «عواطف البنين» و «حلم الطفل ليلة العيد»، «والحق والباطل» وكان قد أصدر فى عام ١٩٢٦ مسرحية شعرية ذات فصل واحد

للأطفال أسماها «الذئب والغنم».(٥٥)

فى ضوء ذلك نستطيع القول إن شعر الطفولة بلغ ذروته بمؤلفات الشاعر محمد الهراوى أحد رواد شعر الطفولة فى الأدب العربى الحىث فى مصر.

وفى عام ١٩٢٩ أصدر حامد القصبى كتابه الموسوم «التربية بالقصص لمطالعات المدرسة والمنزل» ويبدو عن عنوان هذا الكتاب أن صاحبه بدأ ينبه أقرانه من رجال التربية والتعليم إلى أهمية فن القصة للأطفال خارج المدرسة كوسيط تربوى ينمى الميول القرائية والأدبية، ولا يعيب محاولة حامد القصبى سوى الاعتماد على الاقتباس عن أصول بعض القصص الإنجليزية التى وجدها ملائمة للتلاميذ، بينما توجد أفكار تلك القصص التى اقتبسها فى الأدب العربى.

وطوال عقد الثلاثينيات من القرن الحالى كان النتاج الأدبى لمرحلة الطفولة فى أطوارها المختلفة ينمو ويتنوع ، بفعل جهود التأليف للأطفال التى رداها رائد المؤلفين كامل الكيلانى الذى اتسم إنتاجه للأطفال بالاصالة والغزارة فقدم عشرات القصص لكل طور من أطوار مرحلة الطفولة ، ولا نبالغ إذا قلنا إن مكتبة كامل كيلانى للأطفال تعدل فى قيمتها الفنية ودرجة الإقبال عليها من جمهور



الأطفال والآباء والأمهات ، ما حققته كتابات هـ . اندرسن فى الأدب الغربى ، ويشير الى ذلك الأستاذ محمد مصطفى الماحى فى مقالة مطولة عنوانها " أدب الطفل " فيذكر: «... وكلنا نعرف فضله وسبقه (كامل الكيلانى) فى هذا الميدان، ونعلم كيف استقبل العالم العربى بل كيف استقبلنا - نحن الآباء - تلك المنتجات الفكرية كفتح فى أدب الأطفال...» (٥٦).

كما يؤكد شاعر القطرين «خليل مطران» على ريادة الكيلانى فى إنشاء مكتبة الأطفال القصصية فيذكر «... لو لم يكن للأستاذ الكيلانى من فضل إلا أنه المبتكر فى وضع (مكتبة الأطفال)، بلسان الناطقين بالضاد، فكفاه فخرا بها، ما قدمه لرفع ذكره، وما أحسن به إلى قومه وعصره». (٥٧)

وقد شهد عقد الأربعينيات من القرن الحالى اهتماما بأدب الطفل بين رجال التربية الحديثة فى مصر، وهو اتجاه مستحدث وضع بنوره ومهد التربة له وتعهده بالرى والتأصيل كوكبة الأدباء الرواد من زمن «الشوقيات» (أحمد شوقى)، ودواين «سمير الطفل» (الهرابى) إلى مكتبة كامل الكيلانى للأطفال، فى عام ١٩٤٤ عمق محمد محمود رضوان أحد الميادين الجديدة فى أدب الطفل وهو مسرح الطفل، الذى وضع نواته الأولى فى العشرينيات محمد

الهرافى، فكتب محمد محمود رضوان مسرحياته المستوحاة من التاريخ الإسلامى وعنونها بـ «قصص إسلامية» ولقيت مسرحياته رواجاً كبيراً فى المسرح المدرسى، توالى بعد ذلك الكتابات القصصية والمنظومات الشعرية والمسرحيات النثرية للأطفال من جانب رجال التربية والتعليم أمثال: محمد سعيد العريان وأمين دويدار ومحمود زهران، وتوفر أحمد برانق على كتابة القصص الدينى وسيرة أمهات المؤمنين، بينما توفر سعيد العريان وأمين دويدار ومحمود زهران على إصدار القصص المدرسية من مثل: «الصيد التائه» و«الطيور البيضاء» و«النهر الذهبى» و«أصحاب الكهف» و«شجرة الشعر» و«ساقية العفارىت» و«الحظ الجميل» وغيرها. وقدم محمد عطيه الابراشى مجموعة قصص وحكايات للأطفال مستوحاة من أصول شرقية وغربية مثل «زهرة السنط» و«النمر الأسود» و«الموسيقيون الثلاثة» و«راعية الإوز» وغيرهما.

وفى عام ١٩٤٧ نشر لمحمد فريد أبو حديد قصة خيالية مثيرة للأطفال تحت عنوان (عمرون شاه) وبطلها عقلة الأصبع الذى استطاع أن يغلب الساحر الماكر الذى سحر المدينة الكبيرة، ومسحها أرانب وفئران، وأشكالا حجرية، وفى النهاية استطاع عقلة الأصبع أن يعيد الحياة إلى المدينة، وأتبع ذلك - وفى نفس العام -

بأن أصدر قصة جديدة مشوقة بعنوان «كريم الدين البغدادي» وهي كسابقتها مليئة بالمفاجآت والحوادث الخيالية.

ولم يهمل رجال التربية والتعليم الذين اهتموا بأدبيات الطفل في المنهج الدراسي وخارج المدرسة - لم يهملوا الأدب الشعبي فصاغوا مجموعة من القصص الشعبي بعد تبسيطه في أسلوب جميل ولغة مهذبة مثل: ألف ليلة وليلة، وعنترة بن شداد، وسيف بن ذي يزن، وأبو زيد الهلالي، والأميرة ذات الهمة، حيث اشترك في تأليف مجموعة القصص الشعبي للناشئين من رجال التعليم والتربية: محمد أحمد برانق وحسن جوهر وأمين أحمد العطار.

وشهد عقد الأربعينيات من القرن الحالي أيضاً ازدهار رافد جديد هو إعادة ظهور صحافة الأطفال مرة أخرى بعد أن احتجبت مجلة «روضة المدارس المصرية» عن الصدور في عام ١٨٧٧، وكانت إرهاصات عودة الصحافة المتخصصة للأطفال وليدة الإحساس الوطني في مواجهة غزو الدوريات والمترجمات الأجنبية، ومع ذلك فقد كانت البداية متواضعة عندما صدرت مجلة (بابا صادق) في عام ١٩٤٣ ومجلة (الببل المصورة) التي اتبعتها في الصدور عام ١٩٤٦، ثم مجلة (على بابا) عام ١٩٥١، ثم توالى بعد ذلك إصدارات مجلات الأطفال مثل مجلة (سندباد) في عام ١٩٥٢ ومجلة (سمير) في عام

١٩٥٦ من «والت ديزنى» و(ميكى) ابتداء من عام ١٩٥٩ ومجلة (كروان) كما صدرت طبعات عربية من الدوريات والكتب الأجنبية للأطفال مثل: المعرفة والهدف ٢٠٠٠، ووالت ديزنى، وتان تان وغيرهما، وما زالت صحافة الأطفال إلى وقتنا الحاضر فى أغلب مضامينها تسرد القيم الواقدة وتنمى الغزو الثقافى الأجنبى فى الوسائط الإعلامية للطفولة، لأنها تعتمد على الألغاز المادية، والمغامرات المرسومة «Comic strip» وحكايات العنف المصورة، والخوارق غير المألوفة، تكاد لا تجد أسطورة عربية أو منظومة شعرية هادفة. أو قصة شرقية خيالية، كما أن المؤسسات التى تشرف على اصدار دوريات الأطفال تهتم فى وقتنا الحاضر بميكى ماوس ودونالد داك، وتوم وجيرى، وسوبرمان، والرجل الأخضر، وتان تان، ولاكى لوك، واستريكس، ودان كوبر وغيرها من الشخصيات الغربية التى تغزو خيال وعقل الطفل المصرى، أما نتاج الرواد من رجال البيداجوجيا ورواد الشعر أو القصص المحدثين واسهامات المعاصرين للناشئين، فلم يلق معظم ذلك النتاج أو يجد طريقه لعقول الأطفال ووجدانهم، إننا لا نغفل دور الترجمة الهادفة للطفل عن الثقافات الأجنبية، ولكننا بصدد ضرورة التصدى لغزو مضامين لا تتفق والقيم العربية الاسلامية.

## آدب الطفل العربى بين الواقع والطموح:

ربما استطعنا الوقوف على ملامح صورة أدب الطفل العربى من خلال عرضنا لنشأته وملامح تطوره، وهى ملامح متجددة، وليس معنى ذلك أن أدب الطفل العربى قد بلغ الكمال الفنى الذى نرجوه له، وإنما خطأ خطوات واسعة وسديدة على طريق تأصيله كجنس أدبى، على نحو ما ألمحنا فى الصفحات السابقة. إن ثمة قضايا مطروحة على ساحة أدب الطفل العربى، أبرزها تثبيت وجوده وتأصيل مفاهيمه، وضرورة تغيير النظرة الأقل للطفل، ولأدب الطفل كذلك، ثم يلى ذلك إجراء البحوث العلمية حول اشكالية الكتابة الأدبية للطفل فى بنيتها ومضمونها الأمر الذى يصل بنا فى سلامة ويقظة إلى عقل الطفل ووجدانه لنثبت المحتوى الذى نهدفه عبر المنهج المدرسى من ناحية، ومن خلال التذوق الحر للأنواع الأدبية من ناحية أخرى، وفى حقيقة الأمر فإن جهود الهيئات العالمية والقومية والوطنية، تضع فى برامجها المعاصرة العناية بالطفل العربى، من مثل جهود منظمة (اليونسكو) و(اليونسيف)، والمنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، والمجلس العربى للطفولة والتنمية، ومكتب التربية العربى لدول الخليج، والدوائر الثقافية الوطنية لثقافة الطفل بمعظم الدول العربية - وهى

تستهدف جميعا - إعادة بناء الإنسان العربى، لذلك بدأت بقاعدة ذلك البناء ألا وهو الطفل، وما يتير الدهشة أنه وبعد مضى نحو قرن من الزمان على الدعوة التى أطلقها أحمد شوقى لإرساء دعائم جنس أدبى للطفل فإن أساسات الثقافية العربية لم تخطط لحاضر أو مستقبل هذا الجنس الأدبى المستحدث، إن تكريس الخدمات الثقافية العامة للكبار أفقد الطفل العربى القدرة على الإحساس الجمالى والاستثارة الوجدانية، وهذا لا يقلل من الأهمية الفائقة للمجالات التربوية، والصحية والنفسية، والرياضية، والوسائل الإعلامية بالنسبة للتشكيل الوجدانى والمعرفى للطفل، لكنه يجب الاحتفال بأهم وأخطر تلك الجوانب ألا وهو الأدب. لا جدال على الأنوار التى يمكن أن تلعبها مجالات الأطفال العربية فتصبح بمثابة مشاعل هداية تنير عقل الطفل وتستثير وجدانه، كذلك البرامج الهادفة «والممتعة» فى الإذاعة والتلفزة. إن الكبار - معظم الكبار من الراشدين - لا يفهمون «الثقافة» فى معانيها الشائكة المتعددة ومازلنا نقدم للأطفال نتاج هذا المفهوم المركب من النتاج المعرفى والتاريخى والعلمى والاعلامى على أنه ثقافة أطفال تارة، وأدب أطفال تارة أخرى، والذى يرى فى أدب الطفل ضربا من اللهو، ويعامله على أنه أدنى من الأدب المكتوب للكبار (٥٨).

إن ما أشار إليه الناقد أنفا يشكل صعوبة تعترض ازدهار أدب

الطفل العربي، شأنها شأن عدم وعى كتاب الطفولة بخصائص النمو الانفعالي اللغوي والنفسى للطفل، ربما جاءت قضية تأصيل مفهوم أدب الطفل<sup>(٥٩)</sup> أو معناه الاصطلاحي أولى القضايا التى عكف على حسمها كثير من الدارسين، وبخاصة فى السنوات العشر الأخيرة، يقول د. توفيق عزوز: «على الرغم من شيوع اصطلاح أدب الطفل، وقبول هذا الاصطلاح فى مجالات البحث العلمى وفى دور المعارف والمراجع الأساسية. إلا أنه لا يمكن أن نفصل هذا الأدب والأدب المتخصص والموجه للأطفال عما يسمى بالأدب العام أو أدب الكبار، فإن هذا الأدب العام يبقى مصدرا غنيا لمواد وكتابات تم اختيارها للأطفال، وأية دراسة لتاريخ الأدب تؤيد هذه الحقيقة، فكثير من الكتابات التى لم توضع أصلا للصغار، قد أقبل عليها الأطفال لأنها وجدت هوى فى نفوسهم، لأن هذه الكتابات استطاعت أن ترضى حاجاتهم ورغباتهم وعلى مختلف مناحى نموهم المختلفة<sup>(٦٠)</sup>.

ويضيف الباحث الأردنى روكس بن زايد العزىزى رؤية عصرية لهذا اللون الأدبى، فيذكر: «ولا ترانا مبالغين إذا أسمينا القرن العشرين عصر المرأة والطفل كما هو عصر الذرة وريادة الفضاء، لأن الاهتمام بالطفل غير مفاهيم التربية.. بل غير مفاهيم الحياة كلها. وقد احتفى أدبنا بالطفل يوم اعتبر عالم الطفل عالما مقدسا، فاتخذ الأدباء من الطفل منطلقا لبث آرائهم السياسية والاجتماعية،

وجعلوا الطفل رمزا للشعوب المستعبدة والطامحة إلى الاستقلال، ثم اتخذوه رمزا للحرية، ينشأ كما تنشأ، وينمو كما تنمو»<sup>(٦١)</sup>.

إن مصطلح أدب الأطفال ذو دلالة مستحدثة، فلم يتبلور في أدبنا العربي الحديث سواء من حيث «الكم» أو من حيث «الكيف» إلا في العقدين الأخيرين، على الرغم من أن الإرهاصات الأولى لهذا اللون الأدبي تعود إلى بدايات القرن الحالي، إذ أن أدب الأطفال كفن متميز لم يجد طريقه إلى الأدب العربي قبل أحمد شوقي في الشعر وكامل كيلاني في القصة<sup>(٦٢)</sup> ثم بداية ظهور مجلات الطفل المتخصصة وتوفر بعض الأدباء للكتابة للطفل.

وقد اجتهد الأديب السوري عادل أبو شنب في تحديد مفهوم أدب الأطفال فيذكر: «... يتحدد مفهوم أدب الأطفال ضمن معايير نظرية الأجناس الأدبية، القصة والقصيدة والمسرحية وغيرها من الأنواع الأدبية، بمعنى آخر ضمن سمات وخصائص النص الأدبي، ووفق هذا التصور يتم الفصل بين ما يكتب للأطفال من معارف، وما يكتب لهم من أدب، فبين أن تكتب للأطفال وبين أن تنشئ أدبا للأطفال فارق شاسع...»<sup>(٦٣)</sup>.

وإذا كانت اللغة بوصفها النسيج الذي يشكل قوام أي عمل أدبي، فإن كتاب الطفولة في العالم بحاجة ضرورية إلى الوقوف عند نتائج البحوث اللغوية المعاصرة فيما يتعلق بالنمو اللغوي والقاموس



(المعجم) اللغوى للطفل، وعلم النفس اللغوى بحقائقه التى تدور حول الفهم والإدراك والذكاء والإكتساب والميل والتفكير وغيرها من الحقائق المتصلة بعالم الطفولة فى أطوارها المختلفة. إن اللغة فى أحد مفاهيمها مهارة مكتسبة، وفى ضوء ذلك فهذه المهارة بحاجة إلى تنمية مطردة، وإذا كان كتاب الطقولة مطالبين بمراعاة قدر حصيلة الطفل اللغوية، فإنهم مطالبون كذلك بالارتقاء بالطفل - وبالتدريج - إلى مستويات لغوية أكثر رقىا لأن المستويات اللغوية التى تخاطب عقل الطفل وإدراكه يجب أن تراعى نمو الطفل العقلى والجسمى والنفسى. إن الأناشيد القصيرة المنغمة التى يرددها الأطفال فى (رياض الأطفال) تتسم بالبساطة اللغوية والإيجاز الدال، مع ثراء واضح فى الإيقاع الموسيقى، وتتأى أناشيد الأطفال وأغانيهم فى تلك المرحلة عن الخيال والجمل الطويلة وبعض المفردات الأكثر رقىا، وهى من السمات اللغوية والأسلوبية التى تتلاءم وأطفال مرحلتى الطفولة الوسطى والمتأخرة، فكل عمل أدبى مفرداته وتراكيبه اللغوية الخاصة به، كما أن لكل طور من أطوار مرحلة الطفولة القاموس اللغوى الخاص به والتراكيب اللغوية الخاصة به كذلك، ولا نستطيع وصف اللغة التى استعملها كتاب الطفولة، بأنها لغة ملائمة للأطفال كى يفهمونها ويقدرونها بسبب الخطأ المركب الذى يقع فيه معظم الكتاب وهى السهولة المبالغة فى التقريرية أو الخطابية

المباشرة المقترية من النثر، أو الصعوبة اللغوية بما تحمله اللغة من ألفاظ غير مستعملة أو غريبة، أو بناء الجملة المركبة، وتعد ذلك من تعقيد الاستعمال اللغوي من ناحية وتضمين الرمز المبالغ من ناحية ثانية. لقد نجح بعض الكتاب - وهم قلة من المبدعين - في عدم الوقوع أسرى تحت مظلة السهولة أو الصعوبة التي أشرنا إليها نذكر منهم على سبيل المثال الشعراء العرب: فاروق سلوم (العراق) على الشرقاوي<sup>(٦٤)</sup> (البحرين) أحمد زرزور، أحمد سويلم (مصر)، سليمان العيسى و خليل خوري (سوريا) يوسف العظم (الأردن) محمد منذر (الكويت) وغيرهم.

كما نجح رواد الأدب القصصى في الإفلات من مشكلة التيسير اللغوي أو تعقيده، نذكر من المعاصرين: عبد التواب يوسف الأديب المصري - رائد أدب الأطفال المعاصر - بمؤلفاته المتنوعة وبحوثه الجادة، أيضا روضة الهدد ومحمود شقير (الأردن) زكريا تامر (سوريا) محمد عدنان غنام (الكويت). وفي الشعر والمسرح الشعري الغنائي للطفل يتصدر هذ اللون الأدبي المستحدث سليمان العيسى وأحمد سويلم وحسيب كيالى وأحمد زرزور ومحم السنهوتى وحسين على محمد وعبد العليم القباني ويس الفيل وغيرهم. وما زالت الآمال معقودة علي كوكبة أخرى من المبدعين والدارسين لإرساء الخصائص اللغوية والنقدية لأدب الطفل العربي، بمزيد من النتاج الإبداعي

والبحثى حول الطفولة، والإفادة من المؤتمرات العلمية<sup>(٦٥)</sup> العربية المنعقدة حول الطفولة، وبخاصة المؤتمرات التى تتناول بالدرس والتحليل أدب الطفل العربى، وليس من شك أن نتائج مثل هذه الحلقات البحثية تضيف إلى أدب الطفل من المكاسب مما يعدل ازدهار حركة التأليف الأدبى للطفل، وإن أول خطوة جادة قطعها أدب الطفل - ونحن نتبع أصوله - هو إمكانية التمييز بين التربية والآداب من خلال الفصل بينهما فيما يتعلق بأدب الطفل، وهذا الفصل لا يعنى التعارض بينهما وإنما تكتسب التربية الإبداع الأدبى للطفل كمثير وجدانى فى العملية التعليمية، فلم تعد السيادة للمحفوظات المدرسية الجامدة أو الأناشيد الخطابية الفجة، بل ألفينا أنفاساً من روح شعر الطفولة تسرى فى أوصال الكتب المدرسية الأدبية جنباً إلى جنب مع حكايات الأطفال وأقاصيصهم، أى أن أدب الطفل اكتسب مفهومه النظرى والتطبيقات.

لكن المثير للدهشة - بعد الخطوات الواعية التى قطعناها - أن تقوم الباحثة الأردنية هيفاء شرايحة بتعميم مفهوم أدب الأطفال قائلة: «أدب الطفولة لا يعنى مجرد القصة أو القصيدة، وإنما يشمل المعارف الإنسانية»، إن كل ما يكتب للأطفال سواء أكان قصصاً أم مادة علمية، أم تمثيلات فى كتب أو مجلات نعنى بها أدب الأطفال<sup>(٦٦)</sup>.

ويطرح د. عبد العزيز المقالح رؤيته حول صورة أدب الطفل فى الأدب العربى القديم فيذكر «... فيما عدا المواقف التى كان فيها الطفل «موضوعا» لا طرفاً للأخذ والعطاء، فإن أدبنا العربى القديم قد خلا من أدب الطفولة، باستثناء تلك الأغانى الموسومة بأغاني المهد: أغاني ترقيص الأطفال، وهى أدب تنغمى، قد يهتم الموسيقيين ودارسى الألحان الفلكلورية أكثر - ربما - مما يهتم الدارسين من الأدباء»<sup>(٦٧)</sup> ومع ذلك ففى أدبنا العربى القديم المقطوعات الشعرية والحكايات القصصية التى تتوجه للطفل، بل كان فيها الطفل طرفاً، ألفيناه شاعراً تارة، ويرقص ويضطرب على إيقاع الأغاني الشعرية القصيرة تارة أخرى، مثلاً كان الطفل «موضوعاً» فى صلب الحكاية أو الأرجوزة وهذا ما حاول الكتاب تأصيله بين يدي القراء.

ربما كانت قضية (المضمون) فى أدب الطفل العربى هى المحور الذى ينطلق منه توجهتنا لتمهيد الطريق الصحيحة أمام الأجيال الناشئة، ونحن نؤمن بأن الأطفال العرب لا يخضعون فى معظم الأحوال لتربية متكاملة ومتوازنة، فهم يعانون من الجمود والحشو وكثرة التعديل فى المنهج المدرسى، وإهمال جسيم فى التربية الوجدانية، مع قصور وتباين فى أساليب التثقيف الذاتى والخارجى، واستمرار عزوف كبار الأدباء عن الكتابة الأدبية للطفل، كما أن صورة القيم المتباينة، وصورة القدوة متغيرة غامضة وبالتالي فإن

القاعدة التي ينطلق منها أدب الطفل يجب ارتكازها على أسس راسخة واضحة، فمن المعروف أن مضمون الأدب هو العمود الفقري الذي يبعث فيه الحركة والحياة، ويجب أن يسير في خط مواز مع (الشكل) المعبر عنه باللغة والقواعد والأساليب. ليس هناك شك في أن هدف كاتب أدبيات الأطفال تقديم منظومة متكاملة من «القيم» غير أن هناك اختلافا قيميا في العالم كله، فبعض القيم الأجنبية صالح للأطفال العرب، وبعضها الآخر غير صالح، إضافة إلى أن القيم نابعة من توجهات المجتمع والسياسة العامة فيه، ولهذا السبب نرى بعض الاختلاف بين الدول العربية في القيم المطروحة على أطفال كل قطر على حدة، وإن لم يكن هذا الاختلاف كبيرا، وعلى أية حال فقد استند العرب إلى تصنيف «وايت» Waitt للقيم وأدخلوا عليه بعض التعديلات ليتلاءم والوضع العربي<sup>(٦٨)</sup>. إن ترسيخ القيم<sup>(٦٩)</sup> الإيجابية المنشودة في وجدان الطفل العربي من أهم سمات المضمون الجيد، ويجب على كتاب الطفولة أن يعمقوا تلك القيم في عقول الأطفال وقلوبهم، بأسلوب فني يتلاءم وإدراكهم. إن الغزوة الأجنبية ومخاطرها الوافدة بمثابة خطر داهم تهدد أجيالنا، كما أن الثقافة الغازية تلاحق أبناءنا في أعقار بيوتهم بواسطة سلبيات الدوريات المترجمة التي لا تساعد إلا على تكوين شخصية مزورة في الطفل العربي<sup>(٧٠)</sup>.

أما قضية الرمز فى أدب الأطفال، فستظل ملازمة لهذا اللون الأدبى شريطة أن يكون الرمز فى الحكاية أو المنظومة الشعرية من السهولة بحيث يمكن التقاطه بسرعة، لأن اتباع الرمز فى النص الأدبى الموجه للطفل يحفز خياله بشكل صحيح، فلا يمكننا أن نمحو الرمز فى الأدب باعتبار ما يرمىء إليه من ناحية وقدرته على تنمية خيال الناشئة من ناحية أخرى. الصعوبة الوحيدة فى قضية الرمز فى أدب الأطفال، هى مبالغة الكتاب فى استعماله بحيث يستغرق على الأفهام، والطفولة حين تكون امتداداً للذات لا تقترب بالحاضر فقط، ولكنها تمثل الماضى بنفس القوة التى تمثل فيها المستقبل، فالكبار كانوا صغاراً والصغار سيغدون كباراً وما يلحق بهذا أن يتحول الماضى والمستقبل إلى ملجأ أو مخبأ يهرب إليه المرء فتكون الطفولة - الرمز - زجاجة شفافة لا لذاتها، إنما توجد باعتبار ما ترمىء إليه<sup>(٧١)</sup>.

وفى النهاية يمكننا القول بأن أدب الطفل العربى ما زال ينمو - عقب ولادته الصحية اليافعة - كجنس أدبى يندرج تحت مظلة الأدب العام، ومن ثم بقى على المبدعين والباحثين تكريس مؤلفاتهم ودراساتهم فى إطار هذا اللون الأدبى المستحدث، كما يجب أن يحرص رجال التربية على التوسع فى استثارة ميول الطفل الوجدانية فوق خارطة المنهج المدرسى، ولو تطلب الأمر الحذف

والتعديل اللّازمين، إن الاختيار والتّقييد النظريّ الممزوج بالنتاج التطبيقى السديد للنصوص الأدبية للطفل هو حجر الزاوية فى هذا المجال.

إن الطفولة تعنى المستقبل، وواجبنا بناء طفولة سليمة الجسد والروح، صحيحة الأخلاق، قد لقنت شيم الرجولة وخصال الفتوة وبهجة الحياة، ومعرفة الحاضر، والاستعداد لمواجهة المستقبل، وأدبنا العربى أحد وسائلنا إلى تلك الغايات، ولن يتم الازدهار المأمول لأدب الطفل العربى إلا بمزيد من الدراسات الأسلوبية والدلالية فى حقل أدبيات الطفولة فضلا عن الدراسات الأدبية المقارنة مع الآداب العالمية فى هذا المجال.

### هوامش الفصل الثالث

- (١) طبع الكتاب «المرشد الأمين للبنات والبنين» لرفاعة الطهطاوى عام ١٨٧٥م وكانت مجلة روضة المدارس قبل ظهور طبعته الأولى عام ١٨٧٥م تنشره فصولاً.
- (٢) تاريخ التعليم فى مصر، د. أحمد زكى عبد الكريم، ص ١٧٢، ط النهضة المصرية، ١٩٤٨م.
- (٣) المرشد الأمين للبنات والبنين، رفاعة رافع الطهطاوى، خطبة الكتاب (المقدمة)، مطبعة المدارس الملكية، ١٢٨٩هـ.
- (٤) العيون اليواقظ فى الأمثال والمواعظ، تحقيق عامر بحيرى، المقدمة طبع الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٨.
- (٥) أتم محمد عثمان جلال تعريب حكايات لافونتين لعهد الخديوى عباس باشا الأول (٤٩ - ١٨٥٤) وطبع الديوان فى عهد الخديوى عباس حلمى الثانى (ط مدرسية)، وقد عثر المؤلف على الطبع الأولى المجهولة - غير الموجودة بدار الكتب - قيد التحقيق بحوزته.
- (٦) فى أدب الأطفال، د. على الحيدى، ص ٢٤٥.
- (٧) أطفالنا فى عيون الشعراء، أحمد سويلم، ١٥٢.
- (٨) ديوان الشوقيات، المقدمة، ط-١ مطبعة الآداب ١٨٩٨م.
- (٩) نفس المرجع
- (١٠) فى النقد المسرحى، د. محمد غنيمى هلال، ص ٩٤، ط بيروت ١٩٧٥م.
- (١١) أنظر: منتجات من شعر شوقى فى الحيوان، ط/ المكتبة التجارية القاهرة ١٩٤٩م.
- (١٢) تنوعت موضوعات نظم الجمان من مثل: صبى كذوب، خطاب الموت، زنجى وغيرها، فضلاً عن حكايات الحيوان: الثور، الثعلب، الذئب، الحداد وكلبه،



امرأة ودجاجة، ولم تخل حكاياته المنظومات جميعاً عن إيراد مثل ماثور  
ينهى به الشاعر منظومته.

(١٣) مسامرات البنات، على فكرى، مطبعة اللواء، ١٩٠٣م

(١٤) النصيح المبين فى محفوظات البنين، على فكرى مطبعة مجلة الشباب،  
١٩١٦م.

(١٥) أداب العرب، ابراهيم بك العرب، ص ١١١، ط ١ المطبعة الأميرية بمصر  
١٩١١م.

(١٦) عنون المؤلف كل منظوماته بلفظه: العظة الأولى، العظة الثانية، وهكذا إلى  
العظة التاسعة والتسعين ثم يشير إلى الحكاية باسمها كالطاووس والنحلة،  
والكلب والهر، تهذيب الأسد وغيرها.

(١٧) سميع الأطفال، محمد الهراوى، ط دار الكتب المصرية، ١٣٤٠ هـ ١٩٢٢م.

(١٨) انظر حياة الشاعر وأدبه فى كتابنا «رواد أدب الطفولة دراسة تحليلية» -  
قيد الطبع.

(١٩) أدب الأطفال بين الهراوى وكامل الكيلانى، مقالة الدكتور زكى مبارك،  
صحيفة البلاغ، عدد ٨/٩/١٩٣١، وأدبيات الطفل، مقالة لسطح الحصرى،  
مجلة التربية، عدد يناير، بغداد، ١٩٣٠، كامل كيلانى والتأليف للطفل، مقالة  
للدكتور أسعد حكيم، مجلة المجمع العلمى العربى. ٤ أكتوبر ١٩٣٢ دمشق،  
وتتابعت المقالات حول الطفل وأدبه فى الدوريات العربية بعامة، والمصرية  
بخاصة، لمزيد من التفاصيل حول استخدام مفهوم أدب الطفل بمعناه ودلالاته  
أنظر: الهلال: أول مايو ١٩٣٣، البلاغ: ١٣ و ٢٥ / ٨ / ١٩٢٣. الحال: ٨/٨،  
١٩٣٤/٩/١٦. الأهرام ١٩٣٤/٩/١٦م وغيرها.

(٢٠) أنظر كامل الكيلانى فى مرآة التاريخ لمجموعة من المؤلفين، ط المكتبة  
الكيلانية، القاهرة ١٩٦٢م.

(٢١) نشر الرصافى أول منظومة للطفل بعنوان «تنويم الأم لطفلها» فى مجلة  
المرأة الجديدة عام ١٩٢٣، وتوالت منظوماته فى المجلات المدرسية، ومجلة

التربية والتعليم والفتوة وغيرها من المجالات للأطفال، وجمعت في كتاب نشره في الأربعينيات (د.ت) في طبعته الأولى (تمائم التربية والتعليم) بمقدمة ليوسف يعقوب سكوفى، ومن بين هذه المنظومات الشعرية: انشودة العرب، الله، الوطن، الأم وابنها الصغير، الثعلب والغراب، اغرودة العندليب، الببل والورد، الدب والذئب، الهرم وغيرها.

(٢٢) ظهر في تلك الفترة لمحمود أبى الوفا منظومات وأناشيد جمعت في ديوان للأطفال وفي أعماله الشعرية الكاملة.

See : Lutfi, Mohamed: Changes needed in Egyotian (٢٣) School Raders to increas their value medie of instruction, chicago, 1984.

(٢٤) انظر: عدد من مجلة التربية الحديثة (مصر) يناير ١٩٣٨م. ع ٩ مجلة الثقافة يوليو ١٩٣٩م، يونية ١٩٤٩م المعلم العربى (سوريا) ع ٣٢١: ١٩٥٧ م وتوالت بعد ذلك المقالات فى الأديب البيروتية، الهلال القاهرية، العربى الكويتية، الدوحة، الفيصل السعودية وغيرها من الدوريات العامة والمتخصصة.

(٢٥) أنظر: التربية المكتبية: أحمد نجيب ومدحت كاظم، دار غريب ١٩٧٤ (الأطفال يقرأون) هدى برادة (بالاشتراك) هيئة الكتاب ١٩٧٤، والخدمة المكتبية العامة للأطفال، سهير محفوظ، آداب القاهرة ١٩٧٥م.

(٢٦) القصة فى التربية، أصولها النفسية، تطورها، مادتها، طريقة سردها، د. عبد العزيز عبد المجيد. ط ١ دار المعارف ١٩٥٦م.

(٢٧) فن الكتابة للأطفال، أحمد نجيب، دار الكتاب العربى، ١٩٦٨م.

(٢٨) عمق المؤلف بالتأصيل والتحليل هذا الموضوع فى أطروحته للدكتوراه.

(٢٩) أدب الأطفال، فلسفته، وسائله، هادى نعمان الهيتى، بغداد ١٩٧٧م.

(٣٠) تناولد. هادى نعمان الهيتى فى كتابه المشار إليه شعر الطفولة فوق صفحات من ٢٠٧ إلى ٢١٦ من جملة صفحات الكتاب التى بلغت زهاء ٤٤٣

- وهو قدر ضئيل جدا بالقياس إلى إجمالي صفحات الكتاب من ناحية وإلى عنوانه الأدبي، من ناحية أخرى، وقد أسهمت د. هدى قناوى بكتابين هما (أدب الأطفال، ووسائل الأطفال) وهما إضافة لحقل أدبيات الطفل ووسائله مستعنية بخبرة ميدان علم نفس النمو والتذوق الأدبي الجمالى.
- (٣١) انظر: ثقافة الأطفال، د. هادى نعمان الهيتى، ع ١٣٣ سلسلة عالم المعرفة الكويت ١٩٨٨م.
- (٣٢) لمزيد من التفاصيل: أنظر رسالة دكتوراه للمؤلف مخطوطة تحت عنوان: (شعر الطفولة فى الأدب المصرى الحديث قضاياها واتجاهات رواده.. أداب بنها ١٩٨٦م) قيد الطبع.. وقد الحق بها دراسة تاريخية لأدب الطفل الحديث فى الأدبين العربى والأجنبى.
- (٣٣) مجلة روضة المدارس، دراسة تحليلية، محمد عبد الغنى حسن د. عبد العزيز دسوقي، ص ٦٥ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م.
- (٣٤) المرجع السابق، ص ٧٨.
- (٣٥) العيون اليواظ فى الأمثال والمواعظ، محمد عثمان جلال، تحقيق عامر البحرى، المقدمة ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م.
- (٣٦) أنظر: الدراسة التحليلية حول «العيون اليواظ» تحقيق ونقد (الباب الثالث - رسالة دكتوراه، أداب بنها، للمؤلف، مصدر سابق)
- (٣٧) مجلة روضة المدارس، دراسة تحليلية محمد عبد الغنى حسن د. محمد عبد العزيز الدسوقي، ص ٨٩ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م.
- (٣٨) مجلة روضة المدارس، دراسة تحليلية، محمد عبد الغنى حسن (بالاشتراك) ص ٨٠.
- (٣٩) المرشد الأمين، رفاعة الطهطاوى، طبعة مطبعة المدارس الملكية ١٨٧٥م. (الشافهى، هكذافى الأصل).
- (٤٠) نهضة مصر. د. أنور عبد الملك، ص ١٨٩، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣م.

- (٤١) روضة المدارس، السنة السادسة، العدد ١٤، ص ٨.
- (٤٢) المرحع السابق، السنة الثانية، العدد ١٢، ص ١٦.
- (٤٣) روضة المدارس المصرية السنة الأولى شعر اسماعيل عاصم، ع ١٠، ص ١٩.
- (٤٤) مجلة روضة المدارس، الافتتاحية، على رفاعة الطهطاوى، ع ١، ابريل ١٨٨٧ مطبعة وادى النيل.
- (٤٥) تاريخ التعليم فى عهد محمد على د. أحمد عزت عبد الكريم، ص ١٧٤ ط القاهرة ١٩٣٨ م.
- (٤٦) مجلة روضة المدارس، العدد الأول (شعار) وضع تحت عنوان المجلة.
- (٤٧) المدارس الابتدائية.
- (٤٨) انظر تاريخ التعليم د. أحمد عزت عبد الكريم ص ١٧٣ - ١٨.
- (٤٩) «الشوقيات» أحمد شوقى، المقدمة، الطبعة الأولى ١٨٩٨ م.
- (٥٠) مسامرات البنات، على فكرى، ط ١١، ١٩٠٣ م.
- (٥١) آداب العرب، ابراهيم العرب، خطبة المقدمة.
- (٥٢) النصيح المبين فى محفوظات البنين، على فكرى، طبع مطبعة الشباب ١٩١٦.
- (٥٣) مثل (آداب الفتى)، (آداب الفتاة)، (تربية البنين) (تربية البنات) (التربية الاسلامية) وغيرها.
- (٥٤) انظر الباب الأخير من دكتوراه مخطوطه للمؤلف، مصدر سابق.
- (٥٥) أنظر: الباب الأخير من دكتوراه، مخ، للمؤلف، مصدر سابق.
- (٥٦) صحيفة الحال، مقال عنوانه «أدب الأطفال لمحمد مصطفى الماحى» ع ٨ / ١٩٣٤ م.
- (٥٧) كامل الكيلانى فى مرآة التاريخ، لمجموعة من الكتاب، مقال عنوانه: استجاب لحاجات عصره، خليل مطران، ص ٣٩٣.
- (٥٨) مجلة الشئون العربية، ملف: أدب الطفل، سمر روى الفيصل، ص ٢١٩،

ط جامعة الدول العربية تونس ١٩٨٥ م.

(٥٩) من أهداف البحث الرئيسية تعميق، وتأسيس هذا المفهوم في الأدبين القديم والجديد

(٦٠) جريدة الرأي الأردنية، مقال في أدب الطفل للدكتور توفيق عزوز، ع ١٩٧٩/٤/٢ م.

(٦١) الطفل في الأدب العربي، روكس العزيزي، ص ٧٧٧ - ٨٠٣. بحث لمؤتمر الأدباء العرب العاشر، ط وزارة الثقافة والإعلام، الجزائر ١٩٧٥ م.

(٦٢) مجلة شئون عربية، مقال: اشكالية الكتابة للأطفال، أحمد المصلح، ص ٣٢٠ - ٢٣١.

(٦٣) أدب الأطفال في سوريا، بحيث مقدم لمؤتمر الأدباء العاشر، عادل أبو شنب، ج ١ ص ٥٩٤ - ٥٩٥.

(٦٤) شاعر بحريني معاصر، متعدد المواهب أصدر للأطفال ديوانه الموسوم: أغاني العصفير، واتبعه ج ١ أغاني العصفير، واتبعه برصيفه شجرة الأطفال، طبع بعناية وزارة الاعلام البحرينية وأهم ما يميز شعره للأطفال احتفاله بالإيقاع الصوتي المنغم..

(٦٥) انظر لمزيد من التفاصيل: لبحوث مؤتمر ثقافة الطفل، مركز التوثيق التربوي، القاهرة ١٩٧٠، بحوث مؤتمر الأدباء العرب العاشر «الجزائر» ط وزارة الثقافة ١٩٧٥ م. الحلقة الدراسية حول مسرح الطفل، ط هيئة الكتاب القاهرة ١٩٧٩، لغة الكتابة للطفل، ط هيئة الكتاب، القاهرة ١٩٨١. كتب الأطفال في الدول العربية والنامية، ط هيئة الكتاب ١٩٨٣ م. الثقافة العلمية في كتب الأطفال، ط هيئة الكتاب ١٩٨٤، .. أدب الأطفال في مواجهة الصهيونية، ط الجامعة الأردنية عام ١٩٨٥ م. أدب الأطفال في مواجهة الصهيونية (المؤتمر الثاني) ط الجامعة الأردنية، عمان ١٩٨٦، أدب الأطفال في دول الخليج العربية (البحرين بالتعاون مع اليونسكو) ١٩٨٥ ط الرياض ١٩٨٧، أدب الأطفال، لمن نكتب وكيف؟ ندوة عربية موسعة نظمتها مجلة

شئون عربية، ط جامعة الدول العربية، تونس ١٩٨٥ م. الندوة الدولية لكتاب  
الطفل، ط. هيئة الكتاب، ١٩٨٧ م. أطفالنا والتراث، ندوة عربية، ط المحلي  
الأعلى للثقافة مصر ١٩٨٨. المؤتمر السنوى الأول للطفل المصرى، ط مركز  
الدراسات الطفولة، جامعة عين شمس ١٩٨٨ م. وغيرها.

(٦٦) أدب الأطفال ومكتباتهم، هيفاء شرايحه، ص ٩، ط عمان ١٩٧٨.

(٦٧) الطفل فى الأدب العربى، بحث مقدم لمؤتمر الأدباء العرب العاشر، د. عبد  
العزیز المقالح، ج ١ ص ٦٩١ - ٦٩٢ ط وزارة الثقافة والاعلام، الجزائر،  
١٩٧٥.

(٦٨) مجلة شئون عربية، ملف أدب الطفل سمر روى الفيصل، ص ٢٢٣ ط  
جامعة الدول العربية وتونس ١٩٨٥ م.

(٦٩) مازال دراسات تحليل المضمون فى أدب الطفل العربى قليلة للغاية  
بالقياس مع الدراسات التاريخية والعامة والبليوجرافية فأبرز دراسات  
تحليل المضمون هى التى قدمها سمر روى الفيصل (مشكلة القيم فى  
قصص الأطفال السورية) وخلف الهيثى (القيم السائدة فى صحافة الأطفال  
العراقية) وكافية رمضان (تقويم قصص الأطفال فى الكويت) د. سعد ظلام  
(الحكاية على لسان الحيوان فى شعر شوقي) وأهم ما تطرحه نتائج  
دراسات تحليل المضمون هو الوقوف على القيم، كالقيم: الأخلاقية، الوطنية،  
والترويحية، والاجتماعية والمعرفية، وقيم تكامل الشخصية وغيرها.

(٧٠) جريدة الراى الأردنية، ثقافة الأطفال، د. صالح الخرفى، ع ٧ ديسمبر  
١٩٧٩ م.

(٧١) الطفولة فى الشعر العراقى الحديث، بحث مقدم لمؤتمر الأدباء العرب  
العاشر، عبد الجبار البصرى ج ١. ص ٦٢٩، ط وزارة الثقافة والاعلام،  
الجزائر ١٩٧٥ م.

## المحتويات

### الفصل الأول

– أدب الطفولة في التراث العربي ..... ٥

### الفصل الثاني

– أدب الطفولة في العصر الحديث ..... ١٠٧

### الفصل الثالث

– أدب الطفل العربي رؤية تاريخية وفنية ..... ١٦٥

---

## صدر من هذه السلسلة

- ١- علم السياسة ..... د. علي الدين هلال
  - ٢- الإعلام والاتصال الجماهيري ..... د. سمير حسين
  - ٣- جوهر الإيمان في الإسلام ..... جابر حمزة فرج
  - ٤- الأدب وفنونه ..... د. محمد عناني
  - ٥- الأدب الشعبي وفنونه ..... د. أحمد مرسى
  - ٦- علم الاجتماع ..... د. محمود الجوهري
  - ٧- الفنون التشكيلية ..... صبحي الشاروني
  - ٨- الموسيقى والإنسان ..... فرج العنتري
  - ٩- [ الوجود خارج الذات ] ..... سعيد منصور
  - ١٠- الفيلم السينمائي ..... علي أبو شادي
  - ١١- المسرح والتراث العربي ..... د. سمير سرحان
  - ١٢- الثقافة الجماهيرية ... الواقع والمستقبل ..... محمود سعيد
  - ١٣- عن الشعر والشعراء ..... فتحي سعيد
  - ١٤- الطب الشرعي في خدمة العلم .... د. صلاح الدين مكارم/د. محمد محمدى العراقى
  - ١٥- علم الإنسان ..... فوزية رمضان أيوب
  - ١٦- التنمية الثقافية والثقافة الجماهيرية ..... فؤادة البكرى
  - ١٧- البحر عدوا وصديقا ..... صلاح عبدالغنى
  - ١٨- دفاعا عن التنوير ط١ ..... د. جابر عصفور
  - ١٩- دفاعا عن التنوير ط٢ ..... د. جابر عصفور
  - ٢٠- شخصية الطفل وثقافته ..... السيد المخزنجى
  - ٢١- الفكاكة التلفزيونية وجمهور الأطفال ..... د. سامية أحمد على
  - ٢٢- فن الدراما التلفزيونية ..... محمد الشربيني
  - ٢٣- السيد من حقل السبانج ..... صبرى موسى
-



- 
- ٢٤- عن الموالم : دراسة فى الأدب الشعبى ..... مسعود شومان
- ٢٥- متافيزيقا الحركة ..... د. صالح سيد
- ٢٦- نبوة البطل فى السيرة الشعبىة ..... د. أحمد شمس الدين الحجاجى
- ٢٧- المسرح الاقليمى وقضاياها ..... أمير سلامة
- ٢٨- تأملات فى الأدب المصرى القديم ..... لويس بقطر
- ٢٩ - أطفالنا من أين نبداً ..... د. مصطفى رجب
- ٣٠ - فى النقد السينمائى ..... ترجمة : مصطفى محرم
- ٣١ - النقد المسرحى فى مصر ..... د. أحمد شمس الدين الحجاجى
- ٣٢ - عن أدب الطفل ..... عبد القواب يوسف
- ٣٣ - الاكتشاف وتنمية المواهب ..... د. شاكرا عبد الحميد سليمان
- ٣٤ - عن أدب الرحلات ..... فؤاد قنديل
- ٣٥ - مرايا قوس قزح ..... ماجد يوسف
- ٣٦ - حادى بادى ..... محمد كشيك
- ٣٧ - متافيزيقا الحركة ..... د. صالح سعد
- ٣٨ - ثقافة برلمانية ..... محمد عترىس
- ٣٩ - الانسان وحيداً ..... د. حسن حماد
- ٤٠ - فضاءات مسرحية ..... د. حسن عطية
- ٤١ - سيكولوجية العدوان ..... خليل قطب أبو قورة
- ٤٢ - مدخل الى دراسة علم العلامات ..... عصام الدين أبو العلا
- ٤٣ - فصول عن ثقافة الطفل ..... عبد القواب يوسف
- ٤٤ - مدرسة الديوان وأثرها فى الشعر ..... د. عبد العزيز الدسوقى
- ٤٥ - محمد السيرة النبوية ..... فتحى الابرارى
- ٤٦ - البريدات الاسلامىة ..... سعيد مغاورى
- ٤٧ - تأملات فى العلم ..... نهاد شريف
-

- 
- ٤٨ خفايا حصار السويس ..... حسين العشى  
٤٩ - القصة فى القرآن ..... محمد قطب  
٥٠ - الوحى والدين والاسلام ..... مصطفى عبد الرازق  
٥١ - الهندسة الوراثية ..... د. عبد الباسط الجمل  
٥٢ - القصة القصيرة جدا ..... أحمد عبد الرازق أبو العلا  
٥٣ - الأداء السياسى فى مسرح الستينيات ..... عبد الغنى داود  
٥٤ - الخطاب الأدبى والطفولة ..... د. أحمد زلط

رقم الايداع : ٩٧/٥٣٥٧  
الترقيم الدولى : I.S.B.N.  
977-235-813-1

شركة الأمل للطباعة والنشر

ت : ٣٩٠٤٠٩٦

---



## هذا الكتاب

إن عقل الطفل وإدراكه بحاجة إلى مختلف  
الأجناس الأدبية على تنوع مادتها وثراء خيالها  
وسحر تأثيرها واختلاف أساليب تشكيلها  
الفنى ومثل هذه الحكايات المتنوعة فى الأدب  
القصصى تغذى جوانب تفكير الأطفال وتقوى  
تواحي الخيال عندهم ووسيلة من وسائل  
التعليم والتثقيف والمشاركة فى الخبرة، وطريقا  
لتكوين العواطف السليمة، والوطنية الصادقة  
للأطفال، وأسلوبا يقفون به على حقيقة العقيدة  
ويكشفون مواطن الصواب والخطأ فى  
المجتمع، ويتعرفون طرق الخير والشر فى  
الحياة.

09

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA



0522090

شركة الأمل للطباعة

التمن حصة